الدراسات الأفريقية والعربية

فصلية دولية علمية محكمة تصدر عن:
المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية "

المجلد الثاني - العدد الخامس - مارس ٢٠١٩م

Iraqi-African Center For Strategic Studies
Tel: 00964776837196
(NGO)1E78478
http://ciaes.net/

مجلة الدراسات الأفريقة والعربية

African & Arab Studies

international scientific periodical journal issued
by the "Iraqi-African Center for Strategies Studies"
ISSN: 2709-2828

تصدر عن:

المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية

Iraqi-African Center for Strategies Studies

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق ببغداد

٢٠١٨/١٨١٩

وكيل المجلة في ليبيا

دار البيـــان للنشر والتوزيع والإعلان

رقم الايداع بدار الكتب الوطنية - ليبيا

٢٠١٨/١٥٥

الترقيم الدولي بالمكتبة الوطنية الألمانية

ISSN: 2709-2828

الهيئة التحريرية للمجلة

رئيس التحرير: دينا العشري

مديرا التحرير:

د. أسامة نور الدين (مصر)

أ. رشا العشري (مصر)

سكرتير التحرير:

د. خالدة سالم بابكر (السودان)

أ.محمد عز الدين (مصر)

أ.عبيد إميجن (موريتانيا)

التنسيق والمراجعة:

أ. مصطفى فؤاد

تصميم الغلاف والإخراج:

أ. كمال سند

الهيئة العلمية الاستشارية للمجلة

✍ **أ.د. جمال السيد الضلع**

أستاذ العلوم السياسية ورئيس قسم السياسة والاقتصاد الأسبق بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية – جامعة القاهرة (مصر)

✍ **أ.د. ريم موسى**

استاذ العلوم السياسية وعميد كلية الدراسات الاجتماعية والاقتصادية جامعة بحري (السودان)

✍ **د. محمد المختار جي**

أستاذ وباحث أكاديمي رئيس مركز البحوث والدراسات الإفريقية بالسنغال وأمين عام للاتحاد العربي الإفريقي للتنمية المستدامة المتكاملة التابع لجامعة الدول العربية بالسنغال (السنغال)

✍ **د. بلهول نسيم**

أستاذ محاضر بقسم العلوم السياسية/ جامعة البليدة (الجزائر)

✍ **د. مهدي دهب حسن دهب**

أستاذ العلوم السياسية – رئيس قسم العلوم السياسية المشارك بجامعة افريقيا العالمية (السودان)

✍ **د. محمد فاضل نعمة**

أستاذ العلاقات الدولية – جامعة بابل (العراق)

✍ **د. محمد أدريس عبد العزيز**

رئيس قسم العلوم السياسية بجامعة طبرق (ليبيا)

✍ **د. رامي عاشور**

دكتور العلوم السياسية والأمن القومي وزميل أكاديمية ناصر العسكرية العليا (مصر)

✍ **د. عبد الفتاح نعوم**

باحث في العلوم السياسية – جامعة محمد الخامس (الرباط)

✍ **د. عبدالسلام بشير خليفه الصغير**

دكتوراه في العلاقات الدولية وباحث متخصص في الشؤون الأفريقية. الجامعات الليبية (ليبيا)

✍ **د. محسن الندوي**

علوم سياسية وعلاقات دولية – رئيس المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية (المغرب)

✍ **د. جمال علي سالم**

باحث متخصص في العلاقات الدولية (العربية والأفريقية) (ليبيا)

✍ **د.محمد حسن عطا المنان عبد الله**

أستاذ مشارك في البلاغة والنقد الادبي - جامعة كسلا (السودان)

رؤية المجلة وشروط النشر بالمجلة

"مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" فصلية دولية محكّمة تصدر عن "المركز العراقي الأفريقي للدراسات الاستراتيجية" العراق بغداد، بالتعاون مع دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عمومًا في مجالات العلوم السياسية والعلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقارة الأفريقية ودول حوض النيل والدول العربية، كما تسعى المجلة لتحقيق هدف المركز في التقارب العربي الأفريقي، والاهتمام بالقضايا التي تهم الطرفين اقتصاديًا وسياسيًا، وثقافيا واجتماعيًا، املا في وجود دراسات وابحاث تطرح رؤى وافكار تسهم في تشكيل كيان أفريقي عربي يقف في وجه التحديات والأيدولوجيات الخاطئة التي تفرض على الساحة الدولية، لتكون افكارنا نحن الأفارقة والعرب معا يدًا وصوتًا واحدًا يسمع له العالم باهتمام ويسير خلفه وليس العكس.

شروط النشر:

- أن يكون البحث أصيلا معدا خصيصا للمجلة، وألا يكون قد نشر جزئيا أو كليا أو نشر ما يشبهه في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
- أن يرفق البحث بالسيرة العلمية للباحث باللغتين العربية والإنكليزية.
- أن يقوم الباحث بإرسال البحث المنسق على شكل ملف مايكروسفت وورد، إلى البريد الإلكتروني: african.arabia@gmail.com
- يجب أن يكون البحث مكتوبا بلغة سليمة، مع العناية بما يلحق به من خصوصيات الضبط والرسم والأشكال.
- لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيئة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيئة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.
- يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة الى اللغات الأخرى، من غير الرجوع الى الباحث.
- تخضع الابحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتّها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ - يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب - يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ت - الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.

ث - الأبحاث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

- يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.
- يراعى في أسبقية النشر:

أ - الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب - تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

ج - تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.

د - تنويع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

- تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

كيفية اعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنكليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي اليها.

عنوان جهة الباحث:

- الملخص التنفيذي باللغة العربية - الإنكليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل اليها البحث.
- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.
- كما بجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة بيبليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في الهوامش، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الاصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.
- تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في متن البحث، ويذكر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.
- ترتب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالتسلسل، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائيا في القائمة حسب اسم المؤلف وفقا للآتي:

أ- إذا ا كان المرجع بحثا في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث وإسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتابا، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر.

- يراوح عدد كلمات البحث بين ٢٠٠٠ و٧٠٠٠ كلمة، وللمجلة أن نتشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.
- يتم تنسيق الورقة على قياس (A4)، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

- نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو Simplified Arabic
- حجم ١٦ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، ١٤ غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و١٤ عادي بالنسبة لحجم المتن.
- حجم ١١ عادي للجداول والأشكال، وحجم ٩ عادي بالنسبة للملخص والهوامش.
- نوع الخط في الأبحاث باللغة الانجليزية Times New Roman، حجم ١٤ غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم ١٢ غامق للعناوين الفرعية، ١٢ عادي لمتن البحث وترقيم الصفحات، ١١ عادي للجداول والأشكال، ١٠ عادي للملخص والهوامش.
- يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسبة (٢,٥) من جميع الجهات.

- وتعتمد "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية المحكّمة.
- والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظّم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالمحكمين في الاختصاصات كافة.
- وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الاكاديميين من الدول العربية والأفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة.
- حيث أن "المركز العراقي الافريقي للدراسات الاستراتيجية" جهة اصدار "مجلة الدراسات الأفريقية والعربية" كما تتولى دار البيان للنشر والتوزيع والإعلان الليبية التوكيل الرسمي لإصدار المجلة في ليبيا ونشرها في كافة الدول العربية والافريقية.

Iraqi-African Center For Strategic Studies
Tel: 00964776837196
NGO)1E78478)
/http://ciaes.net

تقرأ في هذا العدد

***الافتتاحية:**

بقلم: رئيس التحرير..... 9

*** أهمية الدبلوماسية الاقتصادية في العلاقات المغربية الأفريقية**

إعداد/ د. محسن الندوي (المغرب)..... 11

*** التنافس في البحر الاحمر (دراسة تاريخية تحليلية)**

إعداد/ د. حاتم الصديق محمد أحمد (السودان)..... 32

*** الشخصية الإعتبارية للشركة والآثار المترتبة عليها (دراسة قانونية مقارنة)**

إعداد : د. الرشيد العوض محمد.... 50

*** الإعلام كأحد مقومات القوة الشاملة للدولة المصرية**

إعداد الباحثة/ سهام محمد عزالدين صالح جبريل (مصر)..... 79

*** الأمن السياحي في التشريعات السودانية والمواثيق الدولية (من منظور قانوني)**

إعداد/ د. محمد التجاني محمد الشريف (السودان)..... 94

*** مراجعات في الفكر النقدي عند العرب حتى القرن الرابع الهجري**

إعداد/ د. محمد حسن عطا المنان عبد الله (السودان).....114

*** التجديد في الشعر السوداني**

إعداد / د. إيمان الطريفي عبد الرحمن (السودان).....140

* **منهج الشيخ علي بيتاي في التعامل مع الحديث الشريف دراسة تحليلية.**

إعداد/ د. حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد البولادي (السودان).....166

* **منهج النحاة في رسم القاعدة النحوية (بين القبول والرفض)**

إعداد/ د. أيمن مصطفى طه سلطان، د. محمد عبد القادر الصديق علي (السودان).....186

* **القواعد التوجيهية ودورها في ترجيح الحكم النحوي عند اختلاف الأدلَّة**

إعداد/ د. أيمن مصطفى طه سلطان (السودان).....199

افتتاحية العدد

ما أن بدأ العام ٢٠١٩ وقد وجدنا اهتماما لا حصر له بالقارة الأفريقية، وهذا يدل على أن القارة الأفريقية دائما محط انظار العالم، لما تذخر به من موارد طبيعية وبشرية، ولكن هذه المرة لم يكن الاهتمام فقط عالمي، ولكن وجدنا الاهتمام العربي الافريقي، وذلك بإقامة العديد من المبادرات التي تساهم بشكل كبير في تطور وصهر الموارد البشرية الأفريقية والعربية في بعضها البعض ليصبح الكل كيانا واحد، وهذا كان مطلبنا وهدف لمجلتنا العامرة، مجلة الدراسات الأفريقية والعربية، وقد طلّ علينا هذا العام الجديد بتولي دولة محورية عربية أفريقية وهي جمهورية مصر العربية، واتخاذها دفة القيادة في الاتحاد الأفريقي، تحت قيادة الرئيس عبد الفتاح السيسي، بعد غياب سبعة عشر عاما، والذي استطاع أن يشغل الرأي العام العالمي والأفريقي منذ اللحظة الأولي عقب تسلم رئاسة الاتحاد من نظيره الرواندي بول كاغامي، حيث وضع للقارة الأفريقية خريطة اقتصادية تنموية استثمارية، سوف تنفذ بعزيمة وإرادة شبابها، وتعددت المبادرات الهادفة لخدمة شباب القارة الصاعدة، بطرق رسمية ومجتمعية.

فإعلان أسوان عاصمة للشباب الأفريقي، وانطلاق منتدى الشباب العربي الإفريقي، الذي عُقد منتصف شهر مارس ٢٠١٩، وبدأت فاعلياته بملتقى الشباب العربي والأفريقي واستمر لثلاثة ايام، ورصد كافة التحديات التي تواجهها الإنسانية خاصة الانتشار غير المسبوق للصراعات والنزاعات، واللاجئون والعائدون والنازحون داخليًا: والحلول الدائمة للنزوح القسري في أفريقيا.

بالإضافة للعديد من المبادرات التي تم عرضها من الشباب الأفريقي من العديد من دول القارة الأفريقية المشاركة في الملتقى، والتي مثلت رؤى مستقبلية وكذلك حلول لمجابهة التحديات التي تواجه مجتمعاتنا الأفريقية كبادرة نحو الارتقاء بالقارة ومقدراتها.

بلغ عدد الدول الأفريقية المشاركة في المؤتمر ٢٣ دولة وهم "زيمبابوي، سيراليون، بوروندي، افريقيا الوسطي، ليبيريا، كينيا، اوغندا، زامبيا، المغرب، غينيا كوناكرى، غانا، الكونغو الديمقراطية، اثيوبيا، تنزانيا، الكاميرون، ناميبيا، الصومال، السودان، نيجيريا، جيبوتي، ليبيا، تشاد"، بالإضافة إلى جمهورية مصر العربية. حيث مثلت استجابة تلك الدول للمشاركة في المؤتمر الدافع نحو رغبة الشباب الأفريقي في التواصل والتعاون بين شعوب القارة باعتباره أحد أهم الدوافع في تعزيز التواصل الفكري والثقافي وكذلك الرغبة أيضًا لدى هؤلاء الشباب في البحث عن حلول للمشكلات التي تعج بها القارة ولا تطول في النهاية سوى شبابها الواعد الذي يتطلع لمستقبل مشرق خالٍ من كافة التحديات التي تعيق طموحاته نحو الارتقاء للأفضل له ولمجتمعه.

بقلم:

دينا العشري

رئيس التحرير

أهمية الدبلوماسية الاقتصادية في العلاقات المغربية الأفريقية

بقلم/ د. محسن الندوي

رئيس المركز المغربي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية

والعلاقات الدولية (المغرب)

Nadoui_mohcen@yahoo.fr

ملخص:

لقد عمل المغرب على تعزيز شراكة تضامنية مع إفريقيا – نتيجة الروابط الثقافية والانتماء الجغرافي – من خلال عمل زيارات متبادلة، هدفها دفع قاطرة الاقتصاد والتنمية، واحتلت إفريقيا أولوية السياسة الاقتصادية الخارجية المغربية، مع الأخذ في الحسبان البعد التنموي، وليس الاقتصادي فقط، على الرغم من أن المغرب بات عضوًا في الاتحاد الإفريقي. وعمل على تشجيع الاستثمار الخاص في إفريقيا، والانفتاح الاقتصادي عليه، مما جعل المغرب ثاني أكبر بلد إفريقي مستثمر في إفريقيا بعد جنوب إفريقيا.

واستطاع المغرب فرض نفسه كقوة اقتصادية قادرة على الترويج للتقدم الملموس في القطاع الاقتصادي ان الدينامية الاقتصادية المغربية في افريقيا من شأنها ان تحل كثير من المشاكل التي تعاني منها إفريقيا ويوقف تسونامي الهجرة التي تعرفها القارة نحو «الشمال المتقدم» .انما هناك تحديات استراتيجية للدبلوماسية الاقتصادية المغربية في افريقيا من بين اهمها ان أفريقيا تعاني من تدني مستوى البنى التحتية بل وانعدامها في العديد من المناطق .ولذلك سيحاول المغرب لعب دور مركز التقاء للعلاقات الاقتصادية بين القارة والشركاء الأوروبيين والشركاء العرب خاصة في دول مجلس التعاون الخليجي، وربما أيضًا مع بعض الشركاء في الشرق الآسيوي.

لقد أصبح المغرب بفضل السياسة الخارجية والدبلوماسية الملكية بعد الزيارات المهمة للملك إلى عدد من الدول الإفريقية و التي همت ما يفوق العشرين دولة، الشيء الذي يعطي إشارات سياسية و واضحة و قوية على أن المغرب دائما و أبدا يراهن على دوره استراتجيي في مد جسور التواصل مع باقي الدول الإفريقية و فتح بوابة أساسية نحوها، الشيء الذي يحتم على المملكة التفكير في إعادة التموقع داخل المجال الإفريقي.

الكلمات المفتاحية:

الدبلوماسية – الدبلوماسية الاقتصادية – العلاقات الاقتصادية – المغرب – افريقيا

Abstract:

Morocco was able to impose the same economic force able to promote tangible progress in the economic sector.

The economic dynamism of Morocco in Africa that will solve many of the problems afflicting Africa and stop the tsunami of migration defined by the continent towards the «developed North» .anma there are challenges strategy Moroccan economic diplomacy in Africa are among the most important that Africa suffers from low level of infrastructure, but and the lack of it in many areas. Therefore Morocco will try to play the role of the confluence of economic relations between the continent and the European partners, especially in the Gulf cooperation Council (GCC) and the Arab Center partners, and probably also with some partners in the Asia-Middle East.

It has become Morocco thanks to the Royal foreign policy and diplomacy after the mission visits the king to a number of African countries, which Hemmat more than twenty state, the thing that gives a political signal and a clear and strong that Morocco has always and never bet on his role Astratjaa to build bridges with the rest of African countries and open a key towards the gate, the thing that makes it imperative for the Kingdom of thinking in re-positioning within the African area.

Key words:

Strategy- Diplomacy- Economic diplomacy- Economic relations- Morocco- Africa

مقدمة:

لم يعد مفهوم الدبلوماسية يقتصر على إدارة العلاقات السياسية بين الدول فحسب، بل اتسع ليشمل مجالات عدة. ففي ظل التغير في بيئة النظام العالمي، وتوحيد العولمة للجسد الدولي، من خلال انفتاح الأسواق الوطنية على الأسواق الحرة الدولية، بحيث باتت قوة الدول تقاس بقوة اقتصاداتها، تخلت الدول عن المفهوم التقليدي في إدارة العلاقات بينها، وأصبح من المستحيل فصل السياسة عن الاقتصاد، حتى أضحى الاقتصاد سببًا رئيسيًا في نشوء العلاقات الدبلوماسية بين الدول.

إن الأمة العربية يجب أن تعيد النظر في فلسفتها الخاصة بالدبلوماسية التقليدية، والنظر من كافة المحاور والزوايا في العلاقات بين الدول، مثل المصالح الاقتصادية، وهو ما يطلق عليه حاليًا الدبلوماسية الاقتصادية، التي فرضتها العولمة، من خلال وضع أسس ومعايير تتجاوز من خلالها الدول الصعوبات لتحقيق مصالح اقتصادية مشتركة. وقد قال رئيس الوزراء البريطاني الشهير وينستون تشيرتشل ذات مرة: «ليس هناك عداوات دائمة ولا صداقات دائمة بين الدول بل هناك مصالح».

وحيث يطرح ذلك تساؤلاً حول كيفية استغلال الدبلوماسية الاقتصادية في التعامل مع الشأن الإفريقي بما يضمن الوصول للمواطن الإفريقي ذاته.

لذا، لا بد من جعل السياسة والاقتصاد أمرين متوازيين، ويمكن الاستفادة في ذلك من تجارب دول عديدة حشدت الطاقات لإعطاء الدبلوماسية الاقتصادية باعًا طويلاً، أبرزها الصين التي وصلت لكل دول العالم من خلال الدبلوماسية الاقتصادية.

المحور الأول / مفهوم الدبلوماسية الاقتصادية:

أولاً- الدبلوماسية الاقتصادية.. النشأة والتطور

إذا كانت الدبلوماسية هي فن تمثيل الحكومة ورعاية مصالح الدول لدى بلد أجنبي ويتضمن هذا السهر على احترام حقوق ومصالح الدولة وإدارة العلاقات الخارجية طبقا للتعليمات المرسلة والقيام بالمفاوضات الدبلوماسية[1]، فإن الدبلوماسية الاقتصادية يقصد بها تلك النشاطات

١- غازي حسن صباريني، الدبلوماسية المعاصرة (دراسة قانونية،) ط ٣ .عمان: دار الثقافة،٢٠١١ .ص:١٢

الدبلوماسية التي تستخدم العامل الاقتصادي في التعامل السياسي. وذلك بعد أن تبين للدول المتقدمة مدى قوة تأثير هذا العامل في التحركات السياسية على المسرح الدولي. وفي هذا الصدد قال باولو بورتاس، النائب الأسبق لرئيس مجلس الوزراء البرتغالي :»على سفراء الدول القيام بمهمة الخبير الاقتصادي وتحري المنفعة، لأننا بحاجة لممارسات عملية تصب في مصلحتنا جميعًا عند إبرام الاتفاقيات الثنائية مع الدول الأخرى»[1].

نشأت الدبلوماسية في البداية كنوع من الرسائل التي ينقلها الدبلوماسي من الدولة المضيفة لدولته، ثم تطورت مع تطور العلاقات الدولية، وأصبحت وسيلة للتفاوض بين الدول، ثم التمثيل الدبلوماسي التبادلي، نتيجة تعمق المصالح، ثم حدثت تغيرات وطرأت تحديات تاريخية جعلت الدبلوماسية تغير مسارها، وتهتم بتعميق العلاقات بين الدول، وفقًا لمصالحها الاقتصادية.

ويقصد بالدبلوماسية الاقتصادية النشاطات الدبلوماسية التي تستخدم العامل الاقتصادي في التعامل السياسي. وعادة ما يتم ذلك من قبل الدول المتقدمة أو الغنية في مقابل الدول النامية.

وقد نشأت الدبلوماسية الاقتصادية في الولايات المتحدة في فترة الرئيس الأمريكي روزفلت، وسميت آنذاك بدبلوماسية الدولار – أي تحقيق المصالح الأمريكية من خلال الدولار – وكانت وزارة الخارجية هي الأداة الرئيسية في تحقيق هذه المصالح، من خلال تمويل رجال الأعمال الأمريكيين في الخارج لتسيير أعمالهم الاقتصادية. ومن هنا، تم تعريف الدبلوماسية الاقتصادية بأنها استخدام الأدوات الاقتصادية للدولة لتحقيق المصالح القومية، وبمعنى آخر استخدام الثقل السياسي للدولة لخدمة مصالحها الاقتصادية. ومن بين هذه الادوات الاقتصادية (المعونات والمساعدات....) وهناك مجالات جديدة ستشكل العالم في المرحلة القادمة، مثل البيئة، والصحة، والطاقة، والتكنولوجيا، فكلها مجالات دخلت في صميم العمل الاقتصادي، وبالتالي صميم العمل الدبلوماسي.

ثانيا – الجوانب القانونية للدبلوماسية الاقتصادية:

ركز النظام الاقتصادي العالمي على مأسسة الدبلوماسية الاقتصادية في العلاقات الدولية بين الدول الرأسمالية المتقدمة والدول النامية. ويتضح ذلك في ضوء التنظيمات الاقتصادية التي أقيمت

١- محاضرة نظمتها «أكاديمية الإمارات» بالسياسة الخارجية للدولة، حول الدبلوماسية الاقتصادية بعنوان «الدبلوماسية الاقتصادية: محور العلاقات الدولية الجديدة»، جريدة الاتحاد الاماراتية ٢٣ ماي ٢٠١٦

في محيط الدبلوماسية الاقتصادية وهي: صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، والتي صممت أساسًا لتحقيق مصالح الدول الرأسمالية المتقدمة، وتكريس سيطرتها، مما اضطر الدول النامية إلى الدخول معها في صراع تسلحت له بالتكتل في مجموعة الـ ٧٧. لكن هذا الاتجاه سرعان ما انتكس، وعادت الدول المتقدمة إلى الهيمنة المطلقة على النظام الاقتصادي، وكان إنشاء منظمة التجارة العالمية أكبر تجسيد لهذه الحقيقة.

ثالثا - تجربة المغرب في الدبلوماسية الاقتصادية:

إن المغرب عمل على تعزيز شراكة تضامنية مع إفريقيا - نتيجة الروابط الثقافية والانتماء الجغرافي - من خلال عمل زيارات متبادلة، هدفها دفع قاطرة الاقتصاد والتنمية، واحتلت إفريقيا أولوية السياسة الاقتصادية الخارجية المغربية، مع الأخذ في الحسبان البعد التنموي، وليس الاقتصادي فقط، على الرغم من أن المغرب بات عضوًا في الاتحاد الإفريقي. كما، ونشير أيضا إلى الإجراء الهام الذي أعلنه العاهل المغربي والمتعلق بإلغاء وشطب ديون الدول الإفريقية الأقل نموا (PMA)، وجعل صادراتها تلج السوق المغربية دون قيود جمركية[1].

وعمل على تشجيع الاستثمار الخاص في إفريقيا، والانفتاح الاقتصادي عليه، مما جعل المغرب ثاني أكبر بلد إفريقي مستثمر في إفريقيا بعد جنوب إفريقيا.

كما تبنى المغرب استراتيجية اقتصادية تهدف إلى عمل مشاريع مشتركة ذات طابع إقليمي فيما يتعلق بالماء، والكهرباء، والأمن الغذائي، واستطاع المغرب فرض نفسه كقوة اقتصادية قادرة على الترويج للتقدم الملموس في القطاع الاقتصادي، خاصة البنوك، والصناعة، والتجارة، والعمل كحلقة وصل يربط بين الشمال والجنوب. وقد ركز الملك محمد السادس في الرسالة التي وجهها إلى ندوة السفراء المنعقدة بالرباط بتاريخ ٣٠ غشت ٢٠١٣ على ضرورة تفعيل الدبلوماسية الاقتصادية

1 - Omar Kabaj, le modèle marocain de coopération Sud-sud, le matin 17 mars 2008. op-cit, page 11.

- وفي هذا الصدد يقول جلالة الملك، في خطابه الذي وجهه إلى قمة منتدى التعاون الصيني الإفريقي ببكين يوم ٥/ ١١/ ٢٠٠٦، ما يلي: "وقد قررنا في هذا الإطار منذ سنة ٢٠٠٢، إلغاء جميع الديون المستحقة للمملكة على الدول الإفريقية الأقل نموا، وكذا إفساح المجال لصادراتها لولوج السوق المغربية بدون قيود"، عودة إلى:
http://www.maec.gov.ma/arabe/F-com-ar.asp?num=3583&typ=dr07/06/2007.

في العمل الدبلوماسي حين قال[1]: «(...) يجب على حكومتنا إعطاء الأولوية لدبلوماسية اقتصادية مقدامة قادرة على تعبئة الطاقات بغية تطوير الشراكات وجلب الاستثمارات وتعزيز جاذبية البلاد وكسب مواقع جديدة وتنمية المبادلات الخارجية. كما ندعوها للتنسيق والتشاور مع مختلف الفاعلين الاقتصاديين في القطاعين العام والخاص للتعريف بالمؤهلات الاقتصادية التي تزخر بها بلادنا وخاصة في القطاعات الإنتاجية الواعدة بهدف المساهمة في تنميتها ولإرساء تعاون مؤسسي بين القطاعات الوزارية التي لها نشاط دولي في المجال الاقتصادي. وإننا نعتبر سفراءنا بمثابة جنود يجب أن يسخروا كل جهودهم لخدمة القضايا الاقتصادية لبلادهم».

ولا شك في أن طموح المغرب غدا أكبر في ريادة اقتصادية بالقارة السمراء وهو ما جاء في الرسالة الملكية التاريخية إلى القمة الـ ٢٧ للاتحاد الإفريقي في يوليوز ٢٠١٥ حين قالها الملك صراحة[2]: «(..) وإن الانخراط المكثف للفاعلين الاقتصاديين المغاربة، وحضورهم القوي في مجالات الأبناك والتأمين والنقل الجوي والاتصالات والسكن، يجعل من المغرب، في الوقت الحالي، أول مستثمر إفريقي في إفريقيا الغربية. وهو أيضا ثاني مستثمر في إفريقيا كلها. ولكن ليس لوقت طويل، لأنه عبر عن إرادته القوية في أن يكون الأول».

ففي مجال الاستثمار، أصبح المغرب أول مستثمر أفريقي في منطقة المجموعة الاقتصادية والنقدية لدول وسط أفريقيا CEMAC ومنطقة الاتحاد الاقتصادي والنقدي للغرب الأفريقي UEMOA.

اذن فالبعد التأسيسي في خارطة الطريق الملكية هو إعادة الاعتبار للبعد الاقتصادي في العلاقات بين الدول الإفريقية -في إطار علاقة جنوب جنوب- ذلك ان العلاقات الدبلوماسية وحدها أصبحت متجاوزة ولا تلبي تطلعات الشعوب الأفريقية نحو التقدم والتنمية والازدهار. فالمقاربة الدبلوماسية وحدها تحرم بلدان إفريقيا من استثمار إمكاناتها الاقتصادية فيما بينها في إطار تكتلات إقليمية وقارية .ان هذه الدينامية الاقتصادية من شأنها ان تحل كثير من المشاكل التي تعاني منها إفريقيا ويوقف تسونامي الهجرة التي تعرفها القارة نحو «الشمال المتقدم» وذلك بإنعاش التشغيل والدورة الاقتصادية من خلال المشاريع الكبرى عامة،ولكن أيضا وخصوصا المشاريع الصغرى والمتوسطة لدورها الكبير في امتصاص البطالة وخلق الثروة مع الاعتماد الكلي على الكفاءات

1 - http://www.maroc.ma/ar

2 - http://www.mapnews.ma/ar/activites-royales موقع وكالة المغرب العربي للانباء

الوطنية في جميع مراحل انجاز المشاريع،ويمكن الاستئناس في هذا المجال بالتجربة المغربية.

المحور الثاني -مسار الدبلوماسية الاقتصادية المغربية في افريقيا:

أولا - إفريقيا بإيجاز:

ان إفريقيا قارة ضخمة بكل المقاييس؛ بجغرافيتها المترامية الأطراف، بساكنتها المتنوعة الأعراق واللغات والديانات والثقافات، بمناجمها ومعادنها وثرواتها الطبيعية الهائلة، بموقعها الجيو/ استراتيجي الذي يجعل منها معبرا لتيارات السلع والرساميل والخدمات.

ان أفريقيا هي القارة التي تتوسط قارات العالم القديم، وهى ثاني قارات العالم مساحة إذ تبلغ مساحتها حوالي ٣٠ مليون كم٢ . وتملك دولها التي يصل عددها إلى ٥٤ دولة خصائص مشتركة إلا أنها تختلف اختلافا بينا في المساحة وعدد السكان والموارد الاقتصادية. فنيجيريا هي أكبر دولة من حيث عدد السكان الذين يقدر عددهم بحوالي ٥ ,١١١ مليون نسمة (عام ٢٠٠٠) بينما يوجد سبع دول مستقلة في القارة لا يتجاوز عدد سكان كل منها مليون نسمة وتعد سيشيل هي الدولة الأصغر من حيث عدد السكان الذين قدروا بحوالي ٧٧ ألف نسمة. أما إجمالي عدد سكان القارة فيصل إلى حوالي ٥ ,٧٨٣ مليون نسمةعام ٢٠٠٠[٣].

وتقدر المعطيات الإحصائية سوق إفريقيا الداخلي بأكثر من ملياري نسمة في أفق العام ٢٠٥٠. حيث ستشكل ٪ ٢٢ من سكان العالم.

وتقدر الأراضي غير المزروعة في أفريقيا بنحو ٦٠٠ مليون هكتار، أي نصف الأراضي الخصبة غير المستغلة دوليا، كما أن الغابات تغطي أكثر من ٢٣ بالمئة من مساحة القارة.

كما تحتوي القارة على ٣٠ في المائة من الاحتياطي العالمي للمعادن وضمنها ٨٠ في المائة من المعادن النفيسة من فصيلة الكروم والبلاتين، و١٢ في المائة من الاحتياطي العالمي للمحروقات، ٢٤ في المائة من الاحتياطي العالمي للذهب الخام، و١١ في المائة من الأراضي الصالحة للزراعة غير المستغلة، ومعها ١٨ في المائة مما يُستَغل في الفلاحة، في الوقت الذي تستحوذ فيه القارة على ٥١ في

٣- راوية توفيق، القارة الافريقية، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، القاهرة، المصدر: موقع الجزيرة نت
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/326D650F-9484-4782-814E-AA813ACF8754

المائة من الاحتياطي العالمي من الفوسفات، ١١ في المائة منها توجد في المغرب. هذا في قارة تعاني من خطر الفقر والجوع وعدم الاستقرار.

ويؤكد خبراء صندوق النقد الدولي أن احتياجات القارة إلى تمويل مشاريع البنية التحتية تقدر بحوالي ٥٤٠ مليار دولار في أفق ٢٠٢٠.

وقد عرفت القارة الأفريقية، بين سنتي ١٩٦٠ و٢٠٠١، أكثر من ١٠٠ انقلاب عسكري، سواء في الصومال أو ليبيريا أو سيراليون أو رواندا أو بوروندي أو الكونغو وقبل تلك الدول في ليبيا القذافي وغيرها دون الحديث عن الحروب الأهلية والنزاعات حول الحدود بين أكثر من دولة إفريقية، وهنا لنا أمثلة في الصراع بين الصومال وبين إثيوبيا حول منطقة الأوجادين؛ أو الصراعات على الحدود الموروثة عن الاستعمار التي لم تأخذ بعين الاعتبار الخصائص المشتركة والطابع القبلي والعرقية للعديد من المناطق الإفريقية.

وربما ميثاق الاتحاد الافريقي قد وضع حدا للانقلابات، حيث ينص في فصله الـ٣٠ عن توقيف عضوية كل دولة تستعمل طرقا غير ديمقراطية للوصول إلى السلطة، وهو المضمون نفسه للفصل الـ٣ من ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية.

ولذلك، فليس من المتعذر حقا فهم خلفيات التسابق الدولي على أفريقيا، إن لم يكن لضمان موطئ قدم بنقط تمركز هذه الثروات، فعلى الأقل لفتح الطريق أمام الشركات التجارية الكبرى لتحصيل حصص معتبرة بسوق داخلي يتزايد بوتيرة متسارعة، نتيجة التمدن الكثيف الذي تعرفه القارة، وانبعاث طبقات متوسطة متماهية قلبا وقالبا مع نموذج الاستهلاك الغربي.

هذا الفضاء الجغرافي والاقتصادي والاجتماعي والبشري الواسع والواعد لم يكن ليترك بعض البلدان «الصاعدة»، وضمنها المغرب، في وضعية حياد أو لامبالاة، بل دفعها إلى بناء توجهات دبلوماسية واقتصادية وسياسية باستحضار هذا الواقع وبالارتكاز على معطياته والمغرب كبلد إفريقي بموقعه الاستراتيجي الهام وبإمكانياته المتطورة وبتراكماته التاريخية العديدة مع دول القارة، أصبح ملزما بتفعيل هذه العلاقات وتسجيل حضور متميز في علاقاته الدولية فيما يتعلق بقضايا دول إفريقيا. ولعل التحركات الدبلوماسية والأمنية الجديدة التي أصبح يضطلع بها المغرب على المستوى الإفريقي تعكس هذا التوجه الجديد في علاقاته الخارجية.

ثانيا -العلاقات الدبلوماسية المغربية الأفريقية:

عرفت العلاقات الدبلوماسية المغربية -الأفريقية مرحلتين مختلفتين، وسيادة مفهومين متناقضين تحكما في هذه العلاقة؛ من جهة مرحلة الأزمة حيث ساد مفهوم التنافر قياسا على الموقف من قضية الصحراء، ومرحلة الانفتاح التي تجاوزت المعطى السياسي الصرف واعتمدت البعد التجاري والاقتصادي لتعزيز مكانة المغرب داخل الفضاء الإفريقي.

أثرت قضية الصحراء بشكل كبير على سلوك الدبلوماسي المغربي في كافة المحافل الدولية، حيث تم اعتمادها كمحرار ومناط للتعامل مع أي طرف، وقد كرست هذه السياسة تشبث المغرب بأرضه، وعدم تنازله عنها مهما كانت التضحيات، وفي مقابل ذلك، هيأ أعداء الوحدة الترابية مناخا مناسبا لعزل المغرب دبلوماسيا.

بعد استرجاع المغرب لصحرائه، لم تستطع الدبلوماسية المغربية المحافظة على مكانتها بين الدول الإفريقية، الأمر الذي استغلته الجزائر ومن كان يسبح في فلكها، حيث استطاعت دفع الوفد المغربي إلى الانسحاب من أشغال الدورة ٣٨ للمجلس الوزاري لمنظمة الوحدة الإفريقية في ٢٢ فبراير ١٩٨٢، بسبب قبول الوفد الممثل لجبهة البوليساريو[١].

ورغم ذلك، حاول المغرب أن يبقى على ارتباط بإفريقيا، وقد عبر عن ذلك المرحوم الحسن الثاني حين قال: «سيظل المغرب في خدمة إفريقيا من خلال جامعة الدول العربية فيما يخص التعاون العربي الإفريقي، ومن خلال منظمة عدم الانحياز للدفاع عن الشرعية والحفاظ على سيادة أفريقيا، ومن خلال منظمة المؤتمر الإسلامي لتنمية التعايش والتعاون بين الديانات، وفي منظمة الأمم المتحدة سنكون في المقدمة لضمان كرامة الإنسان الإفريقي واحترام قارتنا»[٢].

وعلى الرغم من أن المغرب يعتبر ضمن الآباء المؤسسين للمنظمات الأفريقية الأولى (منظمات ما بعد الاستقلاليات السياسية لبلدان القارة)، لا سيما منظمة الوحدة الأفريقية، فإن اعتراف هذه الأخيرة، في العام ١٩٨٢، بجبهة البوليساريو، قد أسهم وإلى حد كبير في تسميم العلاقات المغربية الأفريقية، إذ بعد انسحاب المغرب من المنظمة إياها في العام ١٩٨٤، لم تعد الدبلوماسية

1 - Mostafa Mouâtassim, la politique africaine du Maroc, Revue Marocaine d'études Internationales, éditée par la CERIM, Oujda, juin 1999, p. 92.

2 - Jeune Afrique : N° 1105, 10 mars 1982, pp. 18-22.

المغربية تشتغل إلا عبر «أطراف صديقة»، تارة لثني المعترفين بذات الجبهة إلى سحب اعترافهم بها، وتارات أخرى إلى الاعتراف بمغربية الصحراء، أو على الأقل «رفع اليد» عن الملف وترك طرفي النزاع يحتكمان إلى المنظمات الدولية المختصة، مع العمل بموازاة ذلك على تجسيد روح الوحدة والتعاون التي سنها مؤسسو المنظمة إياها، والتي تحولت إلى منظمة الاتحاد الأفريقي فيما بعد.

فالواقع أبان عن تراجع واضح للمغرب عن الساحة الاقتصادية والسياسية، مما جعل الدبلوماسية المغربية مضطرة لإعادة التموقع في إفريقيا، ومخاطبة كل دولها بما فيها تلك التي اعترفت بالبوليساريو على اعتبار أن الخلاف أحيل إلى الأمم المتحدة. فكان أن اقترح الراحل الحسن الثاني سنة ١٩٩٤ وضع مخطط مارشال جديد لصالح الدول الإفريقية، كما شكلت زيارة الوزير الأول المغربي سنة ١٩٩٩ لمجوعة من الدول الإفريقية جنوب الصحراء محطة هامة لتمتين العلاقات الاقتصادية مع هذه الدول في مجالات الطاقة والمعادن والصيد البحري والصناعة والتجارة، كما عمل المغرب على تفعيل الاتفاقيات الموقعة مع العديد من الدول سنة ١٩٦٠ [1].

وقد توج المغرب هذا المنحى الجديد في ملئ الكرسي الفارغ بالانضمام إلى مجموعة دول الساحل والصحراء (COMESSA) في قمتها الثالثة في فبراير ٢٠٠٠ بالخرطوم، هذه المجموعة أصبحت تضم منذ ٧ مارس ٢٠٠٢ ثمانية عشر بلدا، وهكذا تمكن المغرب من تفعيل دوره الإفريقي، وتعبيد الطريق لمختلف صناعاته ومنتجاته، لولوج سوق شاسعة تضم أكثر من ٢٥٠ مليون نسمة.

ثالثا- لماذا الدبلوماسية الاقتصادية للمغرب في افريقيا؟

نهج المغرب بعد ١٩٨٤ سياسة تعتمد تطوير العلاقات الثنائية ومتعددة الأطراف بالاعتماد على التعاون الاقتصادي والثقافي أساسا مع الدول الإفريقية الناطقة بالفرنسية في غرب ووسط إفريقيا والمجالات المسلمة، والمنظمات الجهوية: المجموعة الاقتصادية والمالية لغرب إفريقيا والمجموعة الاقتصادية والمالية لوسط إفريقيا وتجمع دول الساحل والصحراء. ويساهم المغرب بعدد من القوات العسكرية لحفظ الأمن تحت المظلة الأممية بعدد من المناطق الحساسة في سبع عمليات كأول دولة عربية من الشمال الإفريقي تساهم من حيث العدد والمهمات في قوات حفظ الأمن الأممية، كما يشكل المغرب حاليًا ثاني مستثمر اقتصادي داخلي بالسوق الإفريقية بعد جمهورية جنوب إفريقيا.

1 - Mostafa Mouâtassim, la politique africaine du Maroc, Revue Marocaine d'études Internationales, éditée par la CERIM, Oujda, juin 1999, p.95.

فالبعد الإفريقي للمغرب بدأ يتشكل بوضوح في بداية الألفية الثالثة باعتباره إحدى التوجهات المركزية في سياسة المغرب الخارجية.

ويمكن إبراز مظاهر هذا التوجه في مشاركة الملك محمد السادس بنفسه في العديد من المؤتمرات والزيارات إلى البلدان الإفريقية، منها مشاركته في القمة الإفريقية الفرنسية الثانية والعشرون المنعقدة بباريس عام ٢٠٠٣ حيث ألقى خطابا يقول في مقتطفات منه: «وبينما تقدر الاحتياجات السنوية لإفريقيا من الاستثمارات العمومية بعشرة ملايير أورو، إلا أن البلدان الإفريقية جنوب الصحراء لا تمثل سوى ٥ في المائة من مجموع المبلغ الذي رصده البنك الدولي للاستثمار في قطاع الماء.. هذا الواقع المؤلم يطرح علينا تساؤلات عدة...»[١]، هذه الكلمات تظهر رغبة المغرب في الحفاظ على المبادئ الخاصة لعلاقته بدول الجنوب، ونخص بالذكر إفريقيا التي تحظى بتضامن ملحوظ يعكس مدى دفاع المملكة عن إفريقيا في المنتديات الدولية، كما هو الحال في القمة الأروبية-الإفريقية المنعقدة بمصر وقمم ومنتديات اخرى...

فلو كان المغرب في هذا التاريخ واقصد ٢٠٠٣ بدأ بالتغلغل في إفريقيا اقتصاديا وأيضا سياسيا لكنا اليوم نجني ثمار ما زرعناه بالأمس؟

رابعًا- المبادلات التجارية و الاستثمار المغربي بأفريقيا:

لا يشكل التبادل الاقتصادي المغربي الإفريقي سوى ١٠ في المائة من مجموع النشاط الاقتصادي المغربي مع الخارج في انتظار التوقعات التي قد تصل إلى ٢٠ في المائة سنة ٢٠١٨. وعمومًا، يعرف التبادل البيني الإفريقي ضعفًا شديدًا حيث لا يتجاوز ١٠ في المائة من مجموع تجارته الخارجية، بنسبة أضعف بين دول المغرب العربي لا تتجاوز ١ في المائة[٢].

ومن خلال تحليل الأرقام الاقتصادية، يمكن أن نلاحظ انتقالاً مهمًّا في حجم المبادلات التجارية بين المغرب وإفريقيا، من مليار دولار سنة ٢٠٠٤ إلى حوالي ٤ ,٧ مليارات دولار سنة ٢٠١٤، ووصل حجم الصادرات المغربية نحو إفريقيا جنوب الصحراء حوالي ٧ ,١ مليار دولار

١ - خطاب جلالة الملك محمد السادس أمام القمة الإفريقية الفرنسية الثانية والعشرين بباريس، ٢٠/ ٠٢/ ٢٠٠٣، عودة إلى موقع وزارة الخارجية على الشبكة العنكبوتية:
http;//www.maec.gov.ma/arabe/F-com-ar.asp?num=2761&typ=dr. 7/6/2007.

٢ - د.خالد الشكراوي، السياسة المغربية في إفريقيا: المصالح الحيوية والحسابات الإقليمية والدولية، مركز الجزيرة للدراسات،١٣ يوليو ٢٠١٤

سنة ٢٠١٣ مقابل ٢٢٠ مليون دولار سنة ٢٠٠٣ م[١] وهو ما يعني أن المغرب قد ضاعف حجم مبادلاته التجارية مع إفريقيا ست مرات خلال السنوات العشر الماضية، الأمر الذي يعكس اهتمامًا متزايدًا من المغرب نحو التعاون الاقتصادي جنوب - جنوب خاصة مع البلدان الإفريقية.

بيد أن هذا الطموح المتزايد للمغرب في أفريقيا، يجب ألا يخفي حقيقة أن مستوى تبادلاته التجارية معها لا يرقى الى المستوى المطلوب، فبمقياس التوزيع الجغرافي للتيارات التجارية للمغرب مع الخارج، فإن أفريقيا تعتبر الحليف التجاري الإقليمي الرابع فقط، بما نسبته ٦,٥ بالمائة من حجم التجارة الخارجية العامة للمغرب، إذ تبقى أوروبا الحليف التجاري الأول بأكثر من ٦٢ بالمائة من مجموع التبادلات، ثم آسيا بـ ١٩ بالمائة، ثم أميركا بـ ١٢ بالمائة.

يعتبر المغرب البلد الأول من حيث تمثيل الشركات الفرنسية في إفريقيا؛ فالمملكة المغربية تشكّل نقطة انطلاق للعديد من الشركات الفرنسية الصغيرة والمتوسطة التي غزت بمنتوجاتها وخدماتها الأسواق الإفريقية. إن المجموعات الرائدة في العمل الاستثماري في إفريقيا هي في معظمها مؤسسات عامة مقربة من دوائر السلطة في المغرب من أمثال: «اتصالات المغرب» التي تمتلك ٣٥ ٪ من فروع شركة «فيفندي» العملاقة الفرنسية التي تعمل في إفريقيا، كما أن مجموعة «أونا».

الاختصار الفرنسي: Omnium Nord Africain، أومنيوم شمال إفريقيا(وهي شركة مغربية متعددة النشاطات ولها وزن كبير في الاقتصاد المغربي عبر فروعها المسيطرة على قطاعات كبيرة من الاقتصاد داخل المغرب وخارجه قد اندمجت مع شركة الاستثمارات الوطنية (SNI) في عام ٢٠١٠، فصارت الشركة الجديدة من أنشط المجموعات الاقتصادية في بعض البلدان الإفريقية.

إن تدفق الاستثمارات المغربية المباشرة نحو العديد من البلدان في إفريقيا جنوب الصحراء يغطي العديد من القطاعات التي تتمتع بإمكانات نمو عالية كالاتصالات السلكية واللاسلكية، والخدمات المصرفية والتأمين والبناء والصناعات والمناجم وغيرها[٢].

أما على مستوى بنية هذه المبادلات، فالملاحظ أن طبيعة العلاقات هي نفسها التي كانت سائدة تقليديا بين أفريقيا ومستعمريها الغربيين. إذ يستورد المغرب من أفريقيا حوالي نصف حاجياته

1 Ministry of Economy & Finance Report. 2014. Moroccan-African relations. (visited 6 February 2017)

٢ - د. غيسيما كاغو نائب عميد كلية القانون الخاص باماكو: سياسة المغرب الافريقية الرهانات والدوافع والافاق، مركز الجزيرة للدراسات، ١٣ يوليو ٢٠١٤

من الغاز وباقي المشتقات النفطية، ويصدر إليها سلعا صناعية أو نصف مصنعة، مكونة أساسا من «مصبرات» السمك والأسمدة الطبيعة والكيميائية وما شابه، وهي كلها مبادلات حصرا على دول فرنكفونية بعينها، حيث تمثل المبادلات التجارية بين المغرب من جهة، والسنغال وموريتانيا وغينيا وساحل العاج والغابون وغامبيا ومالي من جهة أخرى، حوالي ثلث صادرات المغرب لبلدان أفريقيا ككل.

وتشمل الاستثمارات المغربية بأفريقيا قطاعات متنوعة ذات قيمة مضافة كبيرة مثل القطاع البنكي، وقطاع الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، والبناء والأشغال العمومية، إضافة إلى قطاعات أخرى رئيسية مثل الزراعة والصناعة والمعادن...إلخ[٣].

وقام المغرب بتوقيع حوالي ٥٠٠ اتفاقية منذ سنة ٢٠٠٠، مع عدد من البلدان الإفريقية تتضمن اتفاقيات مع القطاع الخاص والحكومات الإفريقية المختلفة، تشمل التجارة والاستثمار والتعاون. وقد بلغ حجم هذه الاستثمارات في بلدان القارة ما يزيد على ١١ مليار دولار في ٢٠١٥، بزيادة ١٢ في المئة عن عام ٢٠١٤، و٧٥ في المئة مقارنة بالعام ٢٠١٣.

ومن خلال المعطيات الرقمية التي أوردتها «مديرية الدراسات والتوقعات (DEPF/ ماي ٢٠١٠)[٤]»، نسجل أن حوالي ٥١٪ من الاستثمارات المباشرة المغربية اتجاه الخارج كانت في اتجاه إفريقيا جنوب الصحراء ما بين ٢٠٠٣/ ٢٠١٣، ومن جهة أخرى سجلت المبادلات التجارية المغربية مع دول المنطقة تطورا مهما خلال نفس الفترة حيث قاربت٧٪، تمثل صادرات تجارة المغرب منها **٢,٦**٪ وهي نسبة ضعيفة مقارنة مع الإمكانيات، نظرا لاستمرار العديد من المعوقات المختلفة التي تحد من تطور هذه العلاقات بين الطرفين.

وفي الصف الأول من هذه الدبلوماسية التجارية الجديدة، شركات مهمة في القطاع الخاص تشارك في بعضها بما فيها الشركة القابضة للأسرة الملكية الشركة الوطنية للاستثمار كمساهم.

وتشير تقديرات تقرير المراقبة المصرفية للأسواق الناشئة لسنة ٢٠١٤ إلى أن أكبر ٣ بنوك مغربية وهي التجاري وفا بنك والبنك الشعبي والبنك المغربي للتجارة الخارجية، تمكنت من

٣ – المبادلات التجارية والاستثمارات المباشرة المغربية في إفريقيا"، مجلة المالية لوزارة الاقتصاد والمالية المغربية، العدد ٢٨، أغسطس/ آب ٢٠١٥، ص ١٤-١٧.

٤ –د.العربي بن رمضان، المقاربة الجيوسياسية الجديدة للدبلوماسية المغربية في افريقيا جنوب الصحراء، موقع أفريكا عربي، ٢٠١٦، http: / /afrikaar.com

خلال عمليات الاستحواذ وافتتاح فروع واسعة، مضاهاة نظيراتها الفرنسية الفاعل التاريخي الأساسي في البلدان الأعضاء في البنك المركزي لدول غرب أفريقيا .كما يعتمد المغرب على شركته العامة مثل "المكتب الشريف للفوسفات" أحد أهم المجموعات المنتجة للأسمدة في العالم وينوي استثمار ١٥ مليار دولار في إفريقيا في السنوات ال١٥ المقبلة.ومع ذلك، تبقى العلاقات الاقتصادية بين المغرب وإفريقيا ضعيفة جدًّا إذا ما قورنت بحجم العلاقات الاقتصادية مع الشركاء التقليديين في بقية العالم وعلى رأسهم دول الاتحاد الأوربي.

خامسا –رؤية الدول الإفريقية للاستثمار المغربي بها:

ينظر الأفارقة إلى انتشار المجموعات الاستثمارية المغربية بالقارة الإفريقية على أنه انتشار يسمح بشراكة أكثر توازنًا، لكونها شراكة متماثلة فهي مندرجة ضمن العلاقات جنوب جنوب؛ حيث إن العلاقات شمال جنوب أظهرت حدودها غير المتماثلة والتي لم ينتج عنها خلال العقود الماضية أي تقدم تنموي ملموس. لقد أصبح التعاون بين بلدان الجنوب بديلاً اقتصاديًا مهمًا. إن تنوع الاستثمار المغربي وتلبيته للكثير مما تتطلبه دول جنوب الصحراء الكبرى، المرتبط بخبرة مغربية في التصدير إلى الأسواق الإفريقية أمور سمحت بخلق فضاءات تنموية وهوامش واسعة في العلاقات البينية المغربية–الإفريقية.

أصبح المغرب في نظر دول إفريقيا جنوب الصحراء القريبة منه مرشحًا أكثر من أي وقت مضى لأن يصبح حلقة وصل ديناميكية بين أوروبا وإفريقيا. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك والمثيرة للإعجاب الإفريقي الشراكة السنغالية المغربية؛ –فهي شراكة على درجة عالية من الاحتراف في المجالات الجوية والبحرية والنقل البري. وعلى سبيل المثال وفي إطار استراتيجيتها الجديدة التي تضع إفريقيا في قلب سياستها قامت الخطوط الملكية المغربية بزيادة عدد طواقم ضيافتها باكتتاب وتوظيف وكلاء من بلدان غرب إفريقيا. وسينتقل عدد من ثمانمائة إلى ألف مضيف ومضيفة قبل نهاية عام ٢٠١٤ ؛ على أن يكون ٣٠ إلى ٤١ ٪ من هؤلاء من جنسيات إفريقية، وفقًا لما صرح به الرئيس العام للخطوط الملكية المغربية السيد إدريس بن هيمه الرئيس في ٥٠ مارس/ آذار ٢٠١٤ خلال عرضه لاستراتيجية الخطوط الملكية المغربية في أفريقيا. كما ظلت إعادة بناء كوت ديفوار ومالي فرصة للشركات المغربية نظرًا لما تتمتع به من مهارات تكنولوجية قابلة للتسويق[١].

١ – د. غيسيما كاغو– نائب عميد كلية القانون الخاص باماكو: سياسة المغرب الافريقية الرهانات والدوافع والافاق، مركز الجزيرة للدراسات، ١٣ يوليو ٢٠١٤

سادسا – الدبلوماسية الاقتصادية في عهد الملك محمد السادس:

بعد تولي الملك محمد السادس الحكم سنة ١٩٩٩، شهدت العلاقات المغربية الإفريقية دينامية جديدة تجلت في الجولة الإفريقية الرسمية التي قام بها العاهل المغربي لعدد من الدول الإفريقية في سنة ٢٠٠١ و٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ كدولة بوركينافاسو وموريتانيا والسنغال والغابون، إضافة إلى الجولة التي قام بها سنة ٢٠٠٦ إلى العديد من الدول الإفريقية من بينها دولة الغابون والكونغو وجمهورية الكونغو الديمقراطية وغامبيا، هذا دون الحديث عن الزيارة التضامنية التي قام بها العاهل المغربي لدولة النيجر باعتبارها بلدا صديقا في محنته أمام الأزمة الغذائية بسبب الجفاف الذي ضرب البلاد.

فالانخراط الملكي في السياسة الخارجية للمغرب على المستوى الإفريقي يظهر من خلال الزيارة التضامنية التي قام بها لدولة مالي لحضور مراسيم تنصيب الرئيس "إبراهيم بو بكر كيتا" بعد الأزمة التي شهدتها البلاد، والتي كادت أن تنتهي بتمزيق البلاد لولا التدخل الفرنسي الذي وضع حدا للتحركات المتطرفة التي كانت تهدف إلى إقامة دولة إسلامية، هذه الزيارة تترجم إرادة الطرف المغربي في الدفاع عن وحدة البلد الترابية، وكذلك المساهمة في إعادة بناء الدولة المالية.

وكذلك حين أعلن خلال أشغال القمة الاورو– افريقية الأولى بالقاهرة في ابريل ٢٠٠٠ عن إلغاء ديون المغرب المستحقة على الدول الإفريقية الأقل نموا وإعفاء منتجاتها الواردة إلى المغرب من الرسوم الجمركية[١].

هذه التحركات الدبلوماسية الملكية تترجم الاهتمام الكبير من طرف المغرب بقضايا ومشاكل القارة السمراء، فالأمر لا يتعلق فقط بزيارات ولقاءات من أجل توقيع اتفاقيات، بقدر ما يترجم روحا جديدة زرعها العاهل المغربي في العلاقات الدولية الإفريقية، والتي ركزت على المقاربة الاجتماعية عبر المساعدات المختلفة المقدمة للعديد من الدول الإفريقية[٢] وهو ما يدخل في باب الدبلوماسية الاقتصادية.

كما تظهر أيضا الدينامية الجديدة في العلاقات المغربية الإفريقية من خلال التوقيع على حوالي ٥٠٠ اتفاقية وبروتوكول في العديد من الميادين الحيوية، كالفلاحة والتأهيل الحضري والتربية والبنية التحتية مقارنة مع ٨٨ اتفاقية تعاون في الفترة الممتدة ما بين ١٩٧٢ / ١٩٨٥ [٣].

١ – وكالة الأنباء القطرية، ٠١ فبراير ٢٠١٧

2 -Jeune Afrique, Que cherche le Maroc en l'Afrique ?53ème année, n° 2731 du 12 au mai 2013, p.p : 25-27-28.

3 Alin Antil, le royaume du Maroc et sa politique envers l'Afrique subsaharienne, étude réalisée par l'institut Française des relations Internationales (IFRI) en novembre 2003.

وتعتبر سنة ٢٠١٤م سنة جد متميزة في علاقات المغرب الدولية، إذ أقدم المغرب على تغيير شركائه التاريخيين وأدار ظهره لأول مرة لفرنسا باعتبارها الشريك التاريخي الأوربي الأول للبلاد لاعتبارات تاريخية، وسيظهر المغرب على الساحة الدولية حينما غير وجهته نحو شركاء جدد، حيث أصبح الشريك الإفريقي الأول لدولة روسيا(تصدير الطماطم والبرتقال)، وهنا يظهر توجه جديد في السياسة الخارجية للمغرب، يتجلى ذلك في إقحام الآلية الاقتصادية باعتبارها إحدى الآليات الفعالة في العلاقات الدولية، هذا التوجه الذي يهدف من ورائه المغرب إلى الحصول على مساندين جدد من الناحية السياسية لقضيته الوطنية، خاصة إذا أخذنا في الحسبان أن روسيا إحدى الدول الدائمة العضوية في الأمم المتحدة وبالتالي بإمكانها الدفاع عن مصالحه بهذه الهيأة الدولية[1].

كما تأتي الزيارات الأخيرة التي قام بها عاهل البلاد خلال من ٢٠ مايو ٢٠١٥ إلى ١٢ يونيو ٢٠١٥ إلى عدد من الدول الإفريقية كالسنغال وساحل العاج والغابون وغينيا بيساو في إطار الخيار الاستراتيجي الجديد للمغرب القائم على تعزيز التعاون مع دول القارة والمبني على المصالح المشتركة.

لقد حققت الدبلوماسية الاقتصادية المغربية نجاحات وقفزة تاريخية بعد الزيارات التي قادها الملك محمد السادس لكل من رواندا، تنزانيا، الغابون، السنغال، إثيوبيا، مدغشقر، ونيجيريا، وكرست حقيقة كون المغرب المستثمر الاول في غرب القارة، والثاني بالنسبةلعموم إفريقيا. توجت هذه الزيارات بمجموعة من الاتفاقيات والمشاريع شملت مختلف المجالات والقطاعات الحيوية، وفي الإجمال بلغ عدد الاتفاقيات الموقعة بين المغرب والعديد من البلدان الافريقية أكثر من ٥٩٠ اتفاقية، ساعدت المغرب من توسيع نفوذه الاقتصادي والمالي في القارة.

ومن أبرز الاتفاقيات والمشاريع المبرمة، إطلاق مشروع إنجاز خط أنابيب للغاز الذي سيربط موارد الغاز الطبيعي لأكبر بلد افريقي وهو نيجيريا بالمغرب، مرورا بدول غرب افريقيا، هذا الأمر سيكون له عدة تداعيات إيجابية على المدى القريب والمتوسط والبعيد، أولها، منح المغرب مكانة استراتيجية دولية بتحوله إلى وسيط تجاري أساسي بين بلدان الشمال وبلدان الجنوب، ومفاوض رئيسي في المنطقة. ثانيا، استفادة المغرب بشكل مباشر من الاستثمارات الضخمة والاكيدة التي ستواكب هذا المشروع والتي تعد بملايير الدولارات، ومما لا شك فيه فإن غالبية الشركات المغربية ستجد متسعا وملجأ في هذا المشروع الكبير مما يساعدها على امتصاص البطالة وذلك بإحداث

1 Jeune Afrique, l'Afrique en 2015, 55é année, Hors-séries N°39, p : 129.

مناصب شغل دائمة وبأجور جيدة. ثالثا، سيتحول المغرب إلى مركز طاقي يربط دول غرب افريقيا بسوق الطاقة الاوروبي، وسيمكن من تصدير الغاز إلى البلدان الأوروبية، وهذا الأمر سينشط التجارة الخارجية المغربية وسيعبأ خزينة الدولة المغربية بالعملة الصعبة وسيعيد الاعتدال إلى الميزان التجاري، رابعا، هذا المشروع سيَفُك ارتباط المغرب الطاقي وسيخفض الفاتورة الطاقية وبالتالي سيساعد الدولة على تقليص الدين الخارجي وبنسب مهمة.

علاوة على ذلك، سيستفيد المغرب من الاستثمارات التي سيَضُخها في تنزانيا والتي تقدر بـ٢ مليار دولار، وباستثمار ما قيمته ٣,٧ مليار دولار خلال السنوات الخمس القادمة لإقامة مجمع ضخم لإنتاج الأسمدة الزراعية بإثيوبيا. بهذا المشروع سيُحقق المغرب عدة منافع، أبرزها: أولا، تمكين مجموعة المكتب الشريف للفوسفاط ومعها مجموعة من الشركات المغربية من التَّمَوقع افريقيا. ثانيا، سيحول المغرب إلى شريك أساسي لدعم أفريقيا في التنمية الزراعية عبر توفير الأسمدة الأقل تكلفة وأكثر قدرة على التكيف مع المحاصيل والتربة الأفريقية. ثالثا، سيقوي صادرات المغرب وسينعش المبادلات التجارية وسيدفع بعجلة التنمية الاقتصادية وبتطور مؤشر النمو وبنسب مهمة.

إذن، فإعلان المغرب في عهده الجديد عن تقوية علاقات "جنوب-جنوب" كان مناسبة سانحة لاستثمار إمكانياته وخبرته بأفريقيا، سواء على المستوى الثنائي أو المؤسساتي أو عبر إشراك القطاع الخاص. وقال أمين ضفير، الأستاذ في جامعة الحسن الثاني بالمحمدية والخبير في "الدبلوماسية الاقتصادية" إن "الرؤية المغربية تقضي بجعل هذه الشركات الوطنية سفراء حقيقيين في إفريقيا".

المحور الثالث- التحديات الاستراتيجية للدبلوماسية الاقتصادية المغربية في أفريقيا

- يبدو ان هناك صراع النماذج في افريقيا بحيث هناك مواجهة بين نموذج الحكامة والتنمية والنموذج الاقتصادي الريعي، وهنا أجاب الخطاب الملكي باديس ابابا على خصوم المغرب بوضوح من خلال القول" وعلى الرغم من عدم توفره على موارد طبيعية، استطاع المغرب أن يصبح بلدا صاعدا، بفضل خبرته المشهود بها. وقد أضحى اليوم من بين الدول الأكثر ازدهارا في إفريقيا". انه بخلاصة صراع بين نموذج دول تتوفر على الموارد ولا تستطيع تدبيرها لخدمة مواطنيها ونموذج مغربي لا يتوفر على نفس الموارد لكن منظومة تدبيره تمكنه من تفعيل المتاح لتحقيق الممكن.

فالتحول الذي تشهده القارة الإفريقية يتطلب تطوير بنيات تحتية ذات جودة، مشيرا إلى أن تمويل هذه البنيات يشكل حقلا للفرص بالنسبة للقطاع البنكي بالمغرب.

كما ان القطاع الخاص الأفريقي، أدرك أن إفريقيا يجب أن تعول على مواردها ووسائلها الخاصة من أجل تحقيق نموها، مبرزا الدور الذي يمكن أن تضطلع به الدول عبر رؤى استراتيجية على المدى البعيد من أجل تشجيع الاستثمارات ويمكن هنا للقطاع الخاص المغربي التعاون والافادة انطلاقا من تجربته في مختلف المجالات والمشاريع.

هذا، ولا يشكل التبادل الاقتصادي المغربي الإفريقي سوى ١٠ في المائة من مجموع النشاط الاقتصادي المغربي مع الخارج في انتظار التوقعات التي قد تصل إلى ٢٠ في المائة عام ٢٠١٨ عمومًا، كما يعرف التبادل البيني الإفريقي ضعفًا شديدًا حيث لا يتجاوز ١٠ في المائة من مجموع تجارته الخارجية، وبنسبة أضعف بين دول المغرب العربي لا تتجاوز ٣ في المائة.

ومع ذلك تبرز قطاعات اقتصادية يستثمر فيها المغرب إفريقيًا تتمثل في قطاع المعادن، البنوك، التأمين، الاتصالات، المنتجات الزراعية، البناء، المنشآت، المواصلات، الماء، الكهرباء، الموانئ.

- عدم مقدرة المغرب «منفردا» على تنفيذ المشاريع الكبرى في افريقيا لحاجة تلك المشاريع لرؤوس أموال ضخمة.
- أن معظم تجارة أفريقيا موجهة نحو الدول الصناعية وليست موجهة لزيادة التعاون التجاري والاقتصادي على المستوى الإقليمي.

- تعاني أفريقيا من تدني مستوى البنى التحتية بل وانعدامها في العديد من المناطق ما يؤدي إلى صعوبة النقل والشحن للبضائع وارتفاع تكلفته. وقد أكد – على سبيل المثال – أحد تقارير الأمم المتحدة المتخصصة أن وجود شبكة بنية تحتية في إفريقيا أهم بكثير من إزالة القيود على التجارة.
- عدم وضوح الرؤية فيما يتعلق بطبيعة التشريعات المشجعة للاستثمار وحوافز وضمانات ذلك الاستثمار وبخاصة في الدول الأفريقية.
- قلة البيانات والمعلومات المتاحة عن فرص الاستثمار في أفريقيا.
- صعوبة التحويلات النقدية والمالية عبر بعض دول أفريقيا، وعدم وجود سياسات مالية واقتصادية ثابتة تبعث على الاطمئنان بالإضافة الى معاناة بعض الدول الأفريقية من حالة عدم الاستقرار السياسي.

وعليه، فالتوجه الاقتصادي نحو إفريقيا تمليه أسباب موضوعية بالأساس، بالضرورة تشترك مع السياسي في ما يخص عودة المغرب للكيان الإفريقي والعمل على بناء حضور متميز تمليه المصلحة المشتركة، وهو ما يجد قبولاً من لدن السوق الإفريقية؛ وذلك بالنظر إلى حجم المشاريع المشتركة التي أُنجزت في بلدان القارة من لدن القطاع الخاص والعام المغربي في السنوات الأخيرة بالمساهمة أو الاقتناء: ٢١ بنكًا إفريقيًا، ٤ شركات للاتصالات بالقارة الافريقية، بما يقارب ٣٠ مليون مستعمِل للهاتف النقال، الحضور في ١٣ دولة في قطاع التأمين، الحضور في ٦ دول في قطاع استخراج المعادن: الذهب والنحاس والكوبالت، إلى غير ذلك. عمومًا هناك ٩٣٠ مقاولة مغربية حاضرة في السوق الإفريقية، وثلثا الاستثمارات الخارجية المغربية تتجه نحو القارة؛ مما يجعل المغرب أول مستثمر إفريقي في غرب ووسط افريقيا[١].

ويندرج هذا الحضور الاقتصادي المغربي بالقارة في أفق بناء علاقات استراتيجية بينية إفريقية، من أهم مميزاتها الارتكاز على العلاقات الثلاثية والتي تحاول في المستقبل القريب وآنيًا جعل المغرب مركز التقاء/ محورًا للعلاقات الاقتصادية بين القارة والشركاء الأوروبيين والشركاء العرب خاصة في دول مجلس التعاون الخليجي، وربما أيضًا مع بعض الشركاء في الشرق الآسيوي.

كما تتجه هذه السياسة إلى ملء الفراغ والضعف الذي تعرفه بنية التبادل بين الدول العربية بالشمال الإفريقي خاصة دول اتحاد المغرب العربي الجامد بفعل النزاع بين المغرب والجزائر حول قضية الصحراء.

لذلك لا يشكل هذا العمل أية تنافسية مع الجزائر مثلاً بحكم ان هناك تكامل اقتصاد البلدين وليس تنافس بينهما؛ حيث تعتمد الجزائر بنسبة ٩٠ في المائة على تجارة واستخراج المحروقات؛ الشيء الذي لا يتوفر عليه المغرب. بل بالعكس بإمكان هذا النموذج من التعاون إن انفتح على الجزائر، افتراضيًا، أن يمثل قوة اقتصادية كبرى على الأقل لو تم التفكير في شراكة استراتيجية موضوعية بين هرم الاقتصاد في الجزائر (سوناطراك للمحروقات) وهرم الاقتصاد في المغرب المكتب الشريف للفوسفات.

خلاصة القول، إن التحركات الدبلوماسية الجديدة للمغرب على المستوى الإفريقي تنم على الفاعلية الأساسية للمؤسسة الملكية، بل تعتبر محددا أساسيا لاختيارات الدولة الخارجية. إن دور «المؤسسة الملكية في الدبلوماسية المغربية إزاء إفريقيا أصبحت اليوم عاملا مركزيا لتحقيق

١ – د.خالد الشكراوي، السياسة المغربية في افريقيا، مركز الجزيرة للدراسات، قطر،٢٠١٤

الأهداف المرسومة، نظرا لعنصر استمرارية المؤسسة الملكية وما راكمته من روابط سياسية وروحية واجتماعية مع دوائر القرار والنفوذ في الكثير من دول غرب إفريقيا[1].

خاتمة:

لقد أصبح المغرب بفضل السياسة الخارجية والدبلوماسية الملكية بعد الزيارات المهمة للملك إلى عدد من الدول الإفريقية و التي همت ما يفوق العشرين دولة، الشيء الذي يعطي إشارات سياسية و واضحة و قوية على أن المغرب دائما و أبدا يراهن على دوره الاستراتيجي في مد جسور التواصل مع باقي الدول الإفريقية و فتح بوابة أساسية نحوها، الشيء الذي يحتم على المملكة التفكير في إعادة التموقع داخل المجال الإفريقي جنوب الصحراء خاصة بعد التجاوب الذي لقيه الدعم القوي الذي قدمه المغرب لمالي و على الدور الذي يلعبه الملك و تدخله شخصيا في حماية الاستقرار بالشمال الإفريقي و غربه عبر خطة بعيدة المدى في مكافحة الإرهاب.

قائمة المراجع:

كتب:

- Omar Kabaj, le modèle marocain de coopération Sud-sud, le matin 17 mars 2008. op-cit, page 11.

- غازي حسن صباريني، الدبلوماسية المعاصرة (دراسة قانونية)، ط ٣ .عمان: دار الثقافة،٢٠١١ .ص:١٢

صحف و مجلات:

١ - محاضرة نظمتها «أكاديمية الإمارات» بالسياسة الخارجية للدولة، حول الدبلوماسية الاقتصادية بعنوان «الدبلوماسية الاقتصادية: محور العلاقات الدولية الجديدة»، جريدة الاتحاد الاماراتية ٢٣ مايو ٢٠١٦م.

٢ - مجلة مغرب اليوم، ملك إفريقيا، العدد٢٢١(السلسلة الجديدة)، من٤/ ١٠ أكتوبر ٢٠١٣، ص: ٢٣.

٣ - المبادلات التجارية والاستثمارات المباشرة المغربية في إفريقيا»، مجلة المالية لوزارة الاقتصاد والمالية المغربية، العدد ٢٨، أغسطس/ آب ٢٠١٥، ص ١٤-١٧.

4 -Jeune Afrique ; N° 1105, 10 mars 1982, pp.18-22.

(١) مجلة مغرب اليوم، ملك إفريقيا، العدد٢٢١(السلسلة الجديدة)، من٤/ ١٠ أكتوبر ٢٠١٣، ص: ٢٣.

5 -Mostafa Mouâtassim, la politique africaine du Maroc, Revue Marocaine d'études Internationales, éditée par la CERIM, Oujda, juin 1999, p.92.

6-Jeune Afrique, Que cherche le Maroc en l'Afrique ?53èannée, n° 2731 du 12 au mai 2013, p.p : 25-27-28.

أبحاث:

١ – د.خالد الشكراوي، السياسة المغربية في إفريقيا: المصالح الحيوية والحسابات الإقليمية والدولية، مركز الجزيرة للدراسات،١٣ يوليو ٢٠١٤

٢ – د. غيسيما كاغو نائب عميد كلية القانون الخاص باماكو: سياسة المغرب الافريقية الرهانات والدوافع والافاق، مركز الجزيرة للدراسات، ١٣ يوليو ٢٠١٤

3- Alin Antil, le royaume du Maroc et sa politique envers l'Afrique subsaharienne, étude réalisée par l'institut Française des relations Internationales(IFRI) en novembre 2003.

مواقع إلكترونية:

1 -http://afrikaar.com

2 - http://www.maec.gov.ma/arabe/F-com-ar.asp?num=2761&typ=dr. 7/6/2007

3 - http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/326D650F-9484-4782-814E-

4- http://www.maroc.ma/ar

5- http://www.mapnews.ma/ar/activites-royales

6 - http://www.maec.gov.ma/arabe/F-com-ar.asp?num=3583&typ=dr

التنافس في البحر الاحمر
(دراسة تاريخية تحليلية)

بقلم: د. حاتم الصديق محمد أحمد

استاذ مشارك جامعة الزعيم الأزهري كلية التربية – قسم التاريخ

تاريخ التنافس على ساحل البحر الأحمر
(دراسة تاريخية تحليلية)

مستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على تاريخ التنافس والصراع على منطقة البحر الحمر، وتتبع مراحل هذا الصراع مع شرح لتوضيح أهمية البحر الأحمر السياسية والاقتصادية والثقافية والامنية، حيث انه يعتبر بحيرة عربية التكوين والإطلالة حيث أن الدول العربية المطلة على هذا البحر تمثل العنصر الابرز بالإضافة لدولة اريتريا واسرائيل التي ومن خلال احتلالها لفلسطين استطاعت أن تجد لها موطئ قدم على خليج العقبة ولمعرفتها بأهمية البحر الأحمر أصبحت تبحث عن مناطق نفوذ لها في باقي الجزر المطلة على البحر الأحمر وقد تمكنت من ذلك بواسطة دولة ارتيريا التي سمحت لها بتأجير عدد من الجزر منذ فترة طويلة. تنبع أهمية الدراسة من أنها تحاول تسليط الضوء على تاريخ التنافس والصراع حول البحر الأحمر، وتحديد عوامل واسباب هذا الصراع وذلك للاستفادة من هذا السرد التاريخي في إعداد قراءة مستقبلية تفيد في فهم وتصور مراحل ومألات الصراع في البحر الأحمر . أتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغرض الوصول إلى نتائج والتي من أهمها، ان تاريخ التنافس في البحر الاحمر تاريخ قديم جدًا وتجدد مع ازدهار حركة التجارة البحرية. سعت معظم الدول الأوربية والممالك والسلطنات في المنطقة للسيطرة على البحر الأحمر لتصبح المتحكم الرئيس في طرق التجارة الداخلية والقارية.

Abstract:

This study aims at identifying the history of conflict and competition at the area of the Red Sea. It tries to traces the different phases of such history while explaining the political, cultural, economic and security significance of this area. The red coastal areas fundamentally represent different Arab groups. Besides, Eriteria and Israiel also control some parts of the Red Sea. Israel through invading Plastine get a hold of al-a'qaba gulf. Israel due to its understanding of strategic significance of the Red Sea attempted to expand its power to more area of the Sea. To this end, Isreal rented some islands on the Red Sea from Eriteria. The significance of this study emerges from approaching conflict and competition on the Red Sea area and determining its reasons. In this way, the study tries to reach a future reading that is valuable in understanding the phases and fate of the Red Sea area. This study followed the descriptive analytic approach to reach findings. The most of these findings were; the conflict on the Red Sea area is an old one but renewed with the renaissance of trade. The study also found that most of European countries, kingdoms and Sultanates attempted to control areas of the Sea for the sake of being the main controlling power of trade roads.

مقدمة:

يعد البحر الأحمر واحدًا من أهم البحار في العالم من حيث الأهمية التاريخية والتجارية والسياسية والاستراتيجية، وقد نبعت أهمية هذا البحر من موقعه الاستراتيجي ودوره في خدمة الملاحة والتجارة البحرية، كما يعد أسهل وأسرع طريق لنقل السلع والبضائع بين قارات أسيا وأفريقيا وأروبا، وقد ساهم موقع البحر الأحمر والموانئ التي تطل عليه في اجتذاب العديد من القوى العالمية للتصارع حوله والسعي المتواصل للحصول على مطي قدم لها في هذا الممر المائي الحيوي . زادت أهمية البحر الأحمر بعد الازدهار التجاري في شرق أسيا مناطق الهند والصين والملايو وبعد

افتتاح قناة السويس واكتشاف النفط و أصبح صاحب القدح المعلى في تسهيل عملية النقل البحري في المنطقة وبين قارات العالم. والمتتبع لتاريخ البحر الأحمر يجد أن هذه المنطقة شهدت في الكثير من الأوقات صراع محتدم بين القوى العظمي للسيطرة عليه ولن يتوف هذا الصراع بسبب العوامل السياسية والاقتصادية والأمنية مما يساعد على تجديد الصراع حول السيطرة على البحر الأحمر في الماضي والحاضر والمستقبل.

جغرافية البحر الأحمر:

عُرف البحر الأحمر بعدد من الاسماء التي اطلقت عليه من قبل الجغرافيين القدماء وهما بحر الحجاز والخليج العربي، من الاسماء التي اطلقت عليه ايضا (البحر الأحمر) وهي صيغة مختصرة عن اسمه القديم بحر الملك الأحمر، ويذكر المؤرخ الاغريقي (اغاثار خيدس) أن كلمة (اريثريان) (اريتريا) الحلية كانت اسمًا للبحر الأحمر، كما عرف البحر الأحمر باسم البحر الفارسي وذلك لكثرة صناع السفن وملاحوها من الفرس، كما اطلق عليه اسم بحر القلزم، وذكر أن اسمه جاء من لون الطحالب الحمراء التي تنمو في داخل البحر [١].

يمتد البحر الأحمر من قناة السويس وخليج العقبة شمالاً حتى باب المندب جنوبًا، ويتصل من ناحية الجنوب بخليج عدن الذي يتصل بالمحيط الهندي ويضم ساحله تسع دول هي على الساحل الأفريقي مصر، السودان، اريتريا، جيبوتي، وعلى الساحل الآسيوي فلسطين المحتلة، الأردن، السعودية، اليمن، ويبلغ الطول الجمالي للبحر الأحمر بما فيه سواحل خليجي السويس والعقبة ٣٠٦٩ ميلا [٢].

توزيع الجزر في البحر الأحمر:

اللبد	عدد الجزر	أهم الجزر
السعودية	١٤٤	فرسان – صنافير – تيران
اريتريا	١٢٦	دهلك – فاطمة– حالب – دوميرا
اليمن	٤١	بريم – حنيش الكبرى – قمران– ذقر

(١) عبدالله عبدالمحسن السلطان، البحر الاحمر والصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢٥-٢٦.

(٢) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، مطابع الاتباع، الكويت، ١٩٨٢م ص، ٧٨.

السودان	٣٦	سواكن
مصر	٢٦	شدوان
جيبوتي	٦	سيبا – موليله

تشكل هذه الجزر أهم الجزر في البحر الأحمر[١].

هناك العديد من الجزر في البحر الاحمر منها المأهول والبعض الأخر خالي من السكان، وتبع أهمية هذه الجزر من كونها شكلت في بعض الأوقات مرافئ للسفن على ساحل البحر الأحمر، والبعض منها أشبه باستراحات تتجمع فيها السفن التجارية والركاب العابرين للبحر الأحمر، وقد ساهمت العديد من موانئ البحر الأحمر في ازدهار التجارة الحرة، وذلك نظير قيمة مالية يقوم بدفعها رجال الاعمال واصحاب الوكالات التجارية للسلطة الدولية القائمة على الإقليم المعني[٢].

يعد البحر الأحمر أعظم طرق المواصلات البحرية في العالم، يحمل التوابل بين الشرق والغرب في العصور القديمة وهو يمثل الآن اعظم الطرق التجارية والمواصلات البحرية في العالم فهو يحمل السلع الاستراتيجية بين مختلف مناطق العالم وبمر الوقت تحول من بحر ادخلي إلى أهم شريان ينقل البترول من مناطق الانتاج في البلاد العربية وايران إلى أوربا وأمريكا، ولأهميته العسكرية والسياسية والاقتصادية أصبح محط انظار واضعي القرار السياسي ومحور للصراعات على مر العصور بين القوى العالمية والمحلية والإقليمية[٣].

كما لعب البحر الأحمر دورًا مهمًا في الربط الحضاري بين شبه الجزيرة العربية ومناطق شرق وشمال أفريقيا، حيث أنه سهل وبصورة كبيرة حركة الهجرة بين مناطق أسيا وأفريقيا .

دور البحر الأحمر في دعم العلاقات العربية الأفريقية:

بالإضافة لأهمية البحر الأحمر التاريخية نجد أنه قد ساعد في تسهيل حركة التواصل بين الشعوب العربية في الجزيرة العربية ومناطق شرق القارة الأفريقية، وقد لعب الحضارمة واليمنيين دورًا مهمًا في فتح الطريق الواصل بين الجزيرة العربية وشرق القارة، وذلك عبر القوارب الخشبية الصغيرة قبل القرن الثاني ق.م وبالإضافة للحضارمة كانت هناك مجموعات من العمانيون

(١) عبدالله عبدالمحسن السلطان، مرجع سابق، ص ٣١.

(٢) نعيمة شديد محمد زين، أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبر البحر الأحمر خلال العصر الاسلامي، كتابات سودانية، كتاب غير دوري، يصدر عن مركز الدراسات السودانية، القاهرة،العدد ٤٦، يناير ٢٠٠٩م، ص٥١.

(٣) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص ٧٧.

والبحرنيون الذين اتجهوا ايضًا صوب شرق القارة الأفريقية وتحديدًا منطقة الساحل التي كانت تعرف باسم (بر الزنج) وتحول هذا الشريط الساحلي إلى شريط عربي بالكامل بعد ازدياد الهجرات العربية بين القرن السادس والثالث عشر الميلادي [١].

ساعدت موجات الجفاف التي ضربت مناطق عمان الحالية والبحرين وانخفاض الطلب على اللؤلؤ وذلك بعد احجام الرومان عن شرائه وذلك بسبب منافسة لؤلؤ جزيرة سيلان الأمر الذي أدى إلى انتقال البحارة العرب إلى العمل بالتجارة بين شرق القارة الأفريقية والبلاد العربية مما أسهم في ازدياد حركة الهجرة نحو شرق القارة عبر البحر الأحمر، وقد كان هذا التواصل التجاري الحضاري الثقافي عبر البحر الأحمر قبل ظهور القوى الأوربية الحديثة في القرن السادس عشر الميلادي، وقد زاد التأثير العربي على ساحل البحر الأحمر وتوغل إلى عمق القارة وذلك قبل وصول البرتغاليين بما يزيد عن ألف عام [٢].

الأهمية الاقتصادية للبحر الأحمر:

أسهم البحر الأحمر في ربط القارة الأفريقية بمناطق التجارة العالمية في شرق أسيا والخليج العربي والجزيرة العربية ومناطق أوربا عبر البحر المتوسط عبر برزخ قناة السويس، وقد ظهرت العديد من الموانئ المطلة على البحر الأحمر ذات الأهمية التجارية وخدمة السفن مثل موانى جدة وسواكن وعيذاب وعدن ومصوع وعصب وغيرها من الموانئ كما أن حركة التبادل التجاري نشطت بصورة واضحة عبر البحر الأحمر مما أسهم في انعاش المناطق المطلة على ساح البحر الأحمر [٣].

ولأهمية البحر الأحمر التجارية لأنه يعتبر الرابط الرئيس بين البحر المتوسط وشرق اسيا، ظهرت حركة من التنافس الاوربي للسيطرة عليه وذلك بعد ضعف الممالك والدويلات الاسلامية بحلول القرن السادس عشر الميلادي، وتعتبر البرتغال أول القوي الاستعمارية التي سعت إلى السيطرة على البحر الأحمر من خلال السيطرة على المناطق المطلة على ساحل البحر الأحمر، وقد كان الصدام حتميًا بين البرتغاليين وشعوب شرق القارة لعدة اسباب منها:

١ – تحويل التجارة إلى رأس الرجاء الصالح من قبل البرتغال وذلك بغرض ضرب المدن والقوى

(١) عبدالله عبدالمحسن السلطان، مرجع سابق ص،٢٩-٣٠.
(٢) المرجع نفسه، ص ٣١.
(٣) حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، (السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي)، ج٤، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١،ص٣٨٤.

الاسلامية على طول البحر الأحمر وأجزاء من البحر المتوسط.

٢ – عمل البرتغاليين على استخدام القوة بغرض السيطرة على الساحل الشرقي من القارة .

٣ – السيطرة على الساحل الشرقي من قارة أفريقيا تتيح للبرتغال التحكم في حركة التجارة العالمية والتي كانت تمر عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر ثم البحر الأبيض المتوسط.

٤ – ساعد تحويل التجارة إلى رأس الرجاء الصالح من قبل البرتغال في اضعاف المراكز التجارية المطلة على اساحل الشرقي لأفريقيا والبحر الأحمر ومناطق البحر المتوسط، كما ازدهرت من غرب القارة الأفريقية والمحيط الاطلسي[١].

تاريخ التنافس في البحر الأحمر:

يعد البحر الأحمر أكثر البحار في العالم سببًا في الصراعات بين الأمم، ومرد ذلك الخواص الاستراتيجية لهذا البحر على مر التاريخ، حيث مثل عامل جذب واهتمام للكثير من القوى المختلفة والتي دخلت في صراعات ومنافسة محمومة .وقد زادت أهمية البحر الأحمر بمرور الزمن، حيث بدأ أول الأمر كبحيرة داخلية مهمتها خدمة تجارة المنطقة التي تحيط أول تطل عليه، ومرد ذلك قلة عدد السكان في ذلك الوقت، كما أن حاجات السكان نفسها كانت بسيطة ووسائل النقل كذلك، بدأت المجموعات السكانية تعرف قيمته البحرية وحركة الملاحة فيه بمرور الوقت، كما زادت حركة الملاحة فيه على يد جماعات وشعوب كثيرة منها الفراعنة والإغريق والعرب والرومان، والأحباش والبيزنطيين والمماليك [٢].

أبحر الفراعنة في مياه البحر الاحمر قاصدين جنوب الجزيرة العربية ومناطق (بونت) المناطق الساحلية المحيطة بباب المندب وبلاد الصومال باحثين عن البخور، والصمغ العربي، والعاج، والاخشاب العطرية، ويذكر أن أول الحملات العسكرية التي قام بها الفراعنة عبر البحر الأحمر كانت بين (٢٧٤٣-٢٧٣١ ق.م) وتبعتها حملات أخرى اشهرها في الفترة بين (١٥٠٠- ١٤٧٩ ق.م)، كما قام الإغريق بغزو شعوب البحر الأحمر في الفترة بين (١٩٨٠-١٩٣٥ق.م)، كما اتسم البحر الأحمر بأهمية كبيرة لدى العرب وتحديدًا عرب اليمن الذين فرضوا سيطرتهم التجارية والملاحية على البحر الأحمر والمحيط الهندي [٣]. كما ان المماليك بعد بسط نفوذهم على مصر والشام نجحوا في منع السفن

(١) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص ٥٣-٥٤.
(٢) عبدالله عبد المحسن السلطان، مرجع سابق، ص ٣٨.
(٣) المرجع نفسه، ص ٣٩.

الأوربية من الدخول للبحر الأحمر والملاحة فيه، وأصبحوا هم المتحكمين في حركة الملاحة في هذا الممر المائي الحيوي[١].

الصراع العثماني البرتغالي في منطقة البحر الأحمر:

بحلول القرن السادس عشر الميلادي، ومع نشاط حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية في منطقة شرق القارة الأفريقية و ساحل البحر الأحمر، برز في الأفق (العصر العثماني) الذي يمثل طموح الإمبراطورية العثمانية الرامية للتوسع في البلاد العربية عموما والبحر الأحمر على وجه الخصوص، عندها ظهر صراع من نوع أخر مثل الدين أهم عناصره حيث رفعت البرتغال راية المسيحية، ورفعت الامبراطورية العثمانية راية الاسلام وتحول الصراع إلى صراع ديني للسيطرة على المنطقة [٢].

بعد السيطرة العثمانية على مصر في العام (١٥١٧م) ورث العثمانيين مهمة حماية وتأمين البحر الأحمر من الخطر البرتغالي، ولذلك عمل العثمانيين بالاحتفاظ بأسطول حربي دائم في السويس ليعمل على منع البرتغاليين من الدخول للبحر الأحمر، ولزيادة تأمين البحر الأحمر سيطرة القوات العثمانية على سواكن في العام(١٥٢٠م) بعد احباطهم لمحاولة برتغالية كانت تهدف للسيطرة على المدينة وجعلها قاعدة برتغالية في المنطقة، كما تمركزت حامية عثمانية في اليمن عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي[٣].

شهدت الفترة بين (١٤٩٨-١٨٦٩م) تراجع دور البحر الاحمر التجاري وذلك بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح بواسطة (فاسكوداجاما) البرتغالي في العام (١٤٩٨م)، كما فقد العالم الاسلامي الكثير من أهميته الاستراتيجية والسياسية والتجارية، حيث تأكد أن البرتغاليون يسعون إلى تحويل التجارة إلى رأس الرجاء الصالح وتهديد المصالح الاسلامية في البحر الأحمر وجعله ممر مائي عديم الفائدة . وفي العام (١٥٠١م) قام فاسكوداجاما ومعه عشرون سفينة بمهاجمة السفن المسلمة في البحر الأحمر، وتحول الصراع في البحر الأحمر إلى صراع محتدم بين البرتغاليين والمماليك وقد دارت الكثير من المعارك البحرية بين الطرفين حتى جاء العام (١٥١٧م) حيث

(١) شوقي عطا الجمل و عبدالله عبدالرازق ابراهيم، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، دار الزهراء الرياض، ٢٠٠٢م، ص،١٢.

(٢) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ٥٦.

(٣) أمين توفيق الطيبي، المواجهة العثمانية البرتغالية في القرن السادس عشر، مجلة الاجتهاد، العدد٤٣، السنة الحادية عشرة، دار الاجتهاد، بيروت،١٩٩٩م، ١٦٧-١٦٨.

استطاع العثمانيين بسط سيطرتهم على مصر وقضوا على المماليك وتحولت مهمة حماية البحر الأحمر بعد ذلك للعثمانيين [١].

ساهم تقرير رفع لملك البرتغال في العام (١٤٨٥م) يوضح املاك العرب في شرق القارة الأفريقية وسيطرتهم على البحر الاحمر، في يتحرك فاسكوداجاما نحو هذه المناطق بغرض السيطرة عليها [٢].

وقد هدف البرتغاليين من السيطرة على موانئ شرق القارة الأفريقية لاستخدامها كمحطات تمد سفنهم الذاهبة للهند بالعتاد، كما أكد العديد من الرحالة البرتغاليين على المكانة الحضارية والمعمارية لهذه الموانئ والمدن الساحلية،ولذلك سعوا الى اخذ ثروات هذه المناطق من ذهب وغيره من الثروات [٣].

للسيطرة على المواقع الاستراتيجية في البحر الأحمر عملوا على تأسيس اسطول بحري لهذا الغرض جعلوا قاعدته في مدينة (زيلع) في الصومال[٤].

كما شهدت منطقة الساحل الشرقي من البحر الأحمر منذ القرن السادس عشر الميلادي حركة استقطاب حادة جدًا حيث تطلعت المجموعات المسيحية في الحبشة ناحية البرتغال، وفي المقابل تطلعت الامارات الاسلامية الساحلية للعثمانيين، ووضح من خلال هذا التنافس أنه صراع قوى جاءت تبحث عن مناطق نفوذ وسيطرة وتوسع نجح بعضها وفشلت أخرى[٥].

خلال الاعوام بين (١٥٨٠-١٥٨٤-١٥٨٩م) نجحت القوات العثمانية في مهاجمة البرتغاليين في الخليج العربي والمستعمرات البرتغالية في شرق القارة عندها بدأت شمس الاستعمار البرتغالي في الافول بسبب المشاكل الداخلية والحروب التي عانتها بعد اتحادها مع اسبانيا في العام (١٥٨٠م) وظهور انجلترا وهولندا كقوتين بحريتين جديدتين، وقد شكل نهاية الوجود البرتغالي في البحر الأحمر دعوة رسمية للقوة الأوربية الأخرى لكي تفد إلى المنطقة [٦].

(١) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص٤٨-٤٩.
(٢) محمد ثابت، العالم كما رأيته، جولة في ربوع أفريقيا، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٣٦م، ص١٠.
(٣) جمال زكريا قاسم، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، دار الكتاب الحديث، الكويت، ١٩٩٦م، ص ٩٧-٩٨.
(٤) محمود شاكر، الصومال، موطن الشعوب الاسلامية في أفريقيا (٣) مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٦٤،ص، ص ١١.
(٥) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص ٥٧.
(٦) عبدالله عبد المحسن السلطان، مرجع سابق، ص٥٠.

يمكن القول إن السيطرة العثمانية على عدن وتدعيم وجدهم في مدخل البحر الأحمر الجنوبي ساعد في تأمين هذه المنطقة رغم التحالف البرتغالي الحبشي الرامي لتهديد البلاد الاسلامية والحرمين الشريفين ووقف التجارة الاسلامية في البحر الأحمر.

الوجود المصري في ساحل البحر الأحمر:

سعت مصر منذ قديم الزمان للسيطرة على البحر الأحمر والمناطق المطلة عليه، وقد ظهرت اليقظة المصرية واستيعابها لأهمية البحر الأحمر في القرن التاسع عشر الميلادي والذي تزامن مع بناء الدولة المصرية الحديثة، وقد بلغ الوجود المصري أقصى اتساعه وانتشاره في مناطق البحر الأحمر في عهد الخديوي اسماعيل الذي عمل على بسط سيطرته على المدن الساحلية في شرق القارة الأفريقية حيث امتدت السيطرة المصرية إلى مناطق اريتريا والحبشة والصومال، ووضعت مصر يدها على أهم الموانئ في المنطقة مثل (سواكن، ومصوع، وزيلع، وبربرة، وهرر) وغيرها من الموانئ[1].

رغم الوجود المصري الكبير في منطقة الساحل الشرقي للبحر الأحمر لكنها انسحبت من هذه المناطق لعدد من الاسباب منها:

ازدياد النفوذ الاوربي القوي جدا في مختلف المناطق الأفريقية والشرقية على وجه التحديد. وقد استطاعت بريطانيا الضغط على الخديوي اسماعيل واجبرته على وقف سياسته التوسعية وتقليص نفوذه ثم سحب جيوشه .

ظهور الازمة المالية في مصر في عهد الخديوي اسماعيل الأمر الذي أدى إلى افلاسها وتحجيم دورها ونشاطها في القارة الأفريقية عمومًا ومناطق ساحل البحر الأحمر على وجه الخصوص .

سقوط مصر تحت الاحتلال البريطاني في العام ١٨٨٢م وذلك بعد القضاء على الثورة العرابية على يد الاحتلال البريطاني، مما ساعد على انهاء الوجود المصري في شرق القارة الأفريقية.

أدى الانسحاب المصري من شرق القارة الأفريقية إلى خلق حالة من الفراغ في هذه المناطق، وهو أمر مقصود من قبل الدول الاستعمارية العظمى مثل بريطانيا وفرنسا وغيرها من الدول الاستعمارية، وذلك بغرض أن تملى هذه الدول الفراغ الذي ينتج من الانسحاب المصري من المنطقة وتعمل على السيطرة عليها ثم تقسيمها بعد ذلك،لذلك شهد القرن التاسع عشر الميلادي هجمة

(١) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص ٥٩.

شرسة تجاه القارة الأفريقية عموماً وشرقها على وجه لتحديد، لذلك ظهرت القوى البريطانية، والفرنسية، والألمانية،و الايطالية وكلها تتصارع وتتسابق بعنف من أجل اقتسام هذه المناطق، وقد كان يطلق على هذه المناطق وقتها (أرض بلا صاحب)[1].

كان للوجود المصري في الساحل الشرقي للقارة الأفريقية أثره الطيب في تعطيل الزحف الاستعماري الأوربي على المنطقة، لكنه لم يستطع وقف هذا الزحف وذلك لقوة ودافعية الحركة الاستعمارية.

النفوذ البريطاني في منطقة البحر الأحمر:

ظهرت بريطانيا كقوى استعمارية في المنقطة من خلال سيطرتها على مصر في العام (١٨٨٢م)، ثم اتجهت بعد ذلك إلى بسط نفوذها في المنطقة الممتدة من مصر شمالاً حتى رأس الرجاء الصالح جنوبًا الأمر الذي يعرف بالاستعمار الرأسي.

بعد السيطرة البريطانية على عدن في العام (١٨٣٩م) سعت إلى بسط سيطرتها على باب المندب والساحل الشرقي للبحر الأحمر وقد اعتمدت في استراتيجيتها التوسعية في هذه المناطق المهمة والاستراتيجية على:

العمل على امداد القوات البريطانية في عدن وشرق السويس باللحوم والمواد الغذائية والمتوفرة بكثرة في الساحل الصومالي.

تأمين الساحل الصومالي المواجه لقاعدتها في عدن، والتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر المودي لقناة السويس، وذلك بغرض قطع الطريق امام أي قوى أوربية تسعى للسيطرة على هذا الممر الملاحي الحيوي مما يعرض التجارة البريطانية القادمة من الهند عبر البحر الأحمر للخطر الداهم.

كانت السياسية البريطانية تقوم على السيطرة على المضايق المائية المهمة والمتحكمة في حركة التجارة البحرية وذلك لأن استراتيجية السيطرة على الممرات البحرية تعد من أهم الاستراتيجيات في ذلك الوقت[2].

(١) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص ٦٠.
(٢) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ٦٢.

لم تكن بريطانيا القوى العظمى الوحيدة التي سعت للسيطرة على المدن المناطق الساحلية في شرق القارة الأفريقية فقد ظهرت كل من إيطاليا وفرنسا حيث شاركتاها في السباق على السيطرة على المدن الساحلية في شرق القارة، فقد استطاعت إيطاليا أن تجد لها موطئ قدم في اريتريا وسواحل الصومال الجنوبية وامتدت اطماعها نحو الحبشة، وقد اظهرت فرنسا اهتمامًا متعاظمًا بالمنطقة منذ العام (١٨٣٠م) وذلك لأنها كانت لا ترغب في أن تكون أسيرة للقوات البريطانية في عدن والمتحكمة في تمويل الاساطيل الفرنسية المتجهة إلى مستعمراتها في مدغشقر والهند الصينية[١].

البترول ودوره في زيادة أهمية البحر الأحمر:

أدى اكتشاف وانتاج البترول بكميات ضخمة في الخليج العربي والجزيرة العربية وايران إلى تحويل المنطقة كلها إلى منطقة نزاع ونفوذ عالمي، فالدول الاوربية تعتبر نفسها صاحبة الحق الأول في بترول المنطقة فهي صاحبة الشركات المنقبة والمنتجة والناقلة وهي في الوقت نفسه المستهلك الأكبر، لكل ما يبق ظهرت أهمية البحر الأحمر في نقل البترول المنتج من هذه المناطق والذي يصدر إلى أوربا وأمريكا عبر الخليج العربي إلى خليج عدن ومنه إلى باب المندب ثم البحر الأحمر إلى قناة السويس، وتحول البحر الأحمر بذلك إلى خطر خط ملاحي استراتيجي لذلك نظرت إليه الدول الأوربية وأمريكا على أنه جزء من أمنها القومي ويجب حمايته[٢].

وبمرور الوقت تحولت الدل العربية من دول حاكمة ومالكة لهذا الطريق إلى دول محكومة ومملوكة لقوى خارجية (أمريكية وأوربية وغيرها)، لذلك أصبحت كل منطقة البحر الأحمر منطقة صراع للقوى العالمية من أمريكان واتحاد سوفيتي (روسيا) وبريطانيين وفرنسيين واسرائيليين لذلك ظهرت لعبة الاستقطاب الحادة في المنطقة والتي لن تغيب ابدًا[٣].

فرنسا في البحر الأحمر:

ظهرت فرنسا على مسرح الأحداث في البحر الأحمر منذ (١٦١٩-١٦٢٠م)، وتمكنت في الفترة بين (١٧٠٨-١٧٠٩م) القيام بزيارة لموانئ عدن والمخا في اليمن، وتمكنت في عام (١٧١١م) من الوصول إلى عدن وقامت القوات الفرنسية من قصف ميناء المخا عام (١٧٣٧م)، وبعد سيطرة نابليون على مصر في عام (١٧٩٧م) كان يرغب في تنشيط حركة التجارة الفرنسية عبر البحر الأحمر

(١) المرجع نفسه، ص ٣٦.
(٢) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص٢٩-٣٩.
(٣) المرجع نفسه، ص ٣٩.

وذلك في التنافس الفرنسي البريطاني، التي كانت تتاجر مع الهند عبر رأس الرجاء الصالح، بيد أن بريطانيا وبالتعاون مع الدولة العثمانية استطاعت هزيمة فرنسا في مصر في عام (١٨٠١م)، وظلت بعد ذلك المنافسة الفرنسية البريطانية حول البحر الأحمر قائمة حتى العام (١٨٦٢م) حيث استطاعت فرنسا شراء وجودها في البحر الأحمر من خلال وجودها في (اوبوك) جيبوتي الحالية من رؤساء القبائل الصوماليين[١].

نبهت حملة نابليون على مصر وسيطرته عليها البريطانيين إلى انه بإمكان أي قوة عسكرية أن تهدد طريقهم التجاري الواصل بين الهند والبحر الأحمر، كما انها فتحت الطريق أمام التدخل الانجليزي الفرنسي المباشر في المنطقة عمومًا والبحر الأحمر على وجه الخصوص[٢].

قامت فرنسا بعدة حملات استطلاعية لسواحل البحر الأحمر خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي وذلك بغرض منافسة بريطانيا على طريق الهند، وقد سبقتها بريطانيا بعد أن علمت نواياها في هذه المنطقة وقامت باحتلال عدن، وقد فشلت فرنسا في احتلال كل من (مصوع وزيلع) في العام (١٨٣٩م) الأمر الذي يوضح اصرار فرنسا على ايجاد موطئ قدم لها في سواحل البحر الأحمر[٣].

الملاحظ في الوجود العسكري الفرنسي في القارة الأفريقية عموما وشرق القارة على وجه الخصوص يجد أن هذا الوجود قديم، وقد احتفظت فرنسا بهذا الوجود حتى اليوم، وهي دائمة التدخل في مستعمراتها القديمة وقواعدها الجديدة، فهي قد تدخلت في جيبوتي عام (١٩٩١م) وهي متواجدة في قواعدها في جيبوتي حتى اليوم، وفي الصومال منذ العام (١٩٩٢م)، وتسعى فرنسا من وراء كل ذلك إلى تأكيد حضورها العسكري في شرق القارة الأفريقية[٤].

الاطماع الاسرائيلية في منطقة البحر الأحمر:

لم يكن لإسرائيل المحتلة منذ قرار التقسيم وحتى اعلان قيامها في مايو من عام (١٩٤٨م) أي حدود بحرية أو نقاط وصول للمياه على خليج العقبة، ولما جاء العام (١٩٤٩م) احتلت

(١) عبدالله عبدالمحسن السلطان، مرجع سابق، ص٠٥-١٥.
(٢) برنارد لويس، الغرب والشرق الأوسط، (تعريب) نبيل صبحي، (ب . د)، (ب .ت)، ص، ٥٤.
(٣) محمود شاكر، مرجع سابق، ص٧١.
(٤) هدى جلال الدين يوسف، السياسة الخارجية الفرنسية تجاه افريقيا، مجلة الدراسات الاستراتيجية، العدد ٩، ابريل،، مركز الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم، ٧٩٩١م، ص،١٤.

إسرائيل لسانًا ضيقًا على خليج العقبة عند منطقة (أم الرشراش) والذي تحول بعد ذلك إلى ميناء (ايلات) المجاور لميناء العقبة الأردني ومذلك ذلك التاريخ أصبحت إسرائيل تدعي حق المرور في خليج العقبة، وبعد نكسة عام (١٩٦٧م) احتلت اسرائيل سيناء لتسيطر على الشق الغربي من قناة السويس كما سيطرت على شرم الشيخ وفتحت مضيق تيران امام حركة ملاحتها البحرية، ويلاحظ من كل ما سبق أن اسرائيل كانت تهدف إلى الوصول إلى المحيط الهندي بسلام والاتصال بأسيا وأفريقيا وكسر الحصار العربي المفروض عليها[١].

والناظر لحرب (١٩٦٧م) واعلان الرئيس المصري جمال عبدالناصر اغلاق مضيق تيران بمثابة اعلان حرب من جانب مصر على اسرائيل لأمر الذى عجل بقيام دولة اسرائيل بعد أن كسبت معركة (١٩٦٧م)، وقد وجدت اسرائيل حرية في حركة الملاحة البحرية في البحر الأحمر بعد توقيع معاهدة السلام بينها ومصر والتي نصت مادتها الخامسة على :

- حق السفن والشاحنات المتجهة إلى اسرائيل في الملاحة عبر قناة السويس.
- يعتبر الطرفان مصر واسرائيل مضيق تيران وخليج العقبة من الممرات المائية الدولية المفتوحة لكافة الدول[٢].

بمرور الوقت سعت اسرائيل إلى ايجاد موطئ قدم لها في جنوب البحر الأحمر ومنطقة القرن الأفريقي، والدولة الوحيدة التي كان لها الاستعداد التام لتقوم بهذا الدور اثيوبيا والتي من خلالها نجحت اسرائيل في الحصول على تسهيلات عسكرية وبحرية في السواحل والجز الإرتيرية المطلة على باب المندب والتي كانت تحت السيطرة الأثيوبية قبل استقلال اريتريا في العام (١٩٩٢م) خاصة مينائي عصب ومصوع وفي ارخبيل جزر (دهلك) التي اقامت عليها اسرائيل تحت الغطاء الاثيوبي مراكز مراقبة واتصالات، كما دعمت اسرائيل قدرتها الحربية من خلال وصول الطيران الاسرائيلي حتى باب المندب في ذلك الوقت [٣].

دخل البحر الأحمر في دائرة الصراع العربي الإسرائيلي في عام ١٩٧٣م، حيث هاجمت الجيوش العربية المصرية والسورية إسرائيل، وفي الأول من أكتوبر ١٩٧٣م، قامت مصر بإغلاق باب المندب مع دولة اليمن الشمالي والجنوبي في وجه إسرائيل، وبذلك يكون البحر الأحمر أصبح واحدة من أدوات الصراع في المنطقة، ومن يسيطر عليه يستطيع أن يكسب الحرب.

(١) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص ٩٨.
(٢) المرجع نفسه، ص٩٩.
(٣) المرجع نفسه، ص ١٠٢.

في الفترة من ٢٧ ٢٨ فبراير من عام ١٩٧٧م، اجتمع في الخرطوم كل من الرئيس المصري أنور السادات، والرئيس السوداني جعفر محمد نميري، والرئيس السوري السابق حافظ الأسد وبمساندة كبيرة من الملكة العربية السعودية بغرض مناقشة أمن البحر ألأحمر، ووضع استراتيجية عربية مشتركة للمنطقة، وفي نفس الوقت كان النشاط الإسرائيلي في السواحل الإرتيرية والإثيوبية قد أثار قلقًا عربيًا بشأن أمن البحر الأحمر والوجود الإسرائيلي فيه. وفي ختام الاجتماع الثلاثي، أكد الرؤساء على اهتمامهم بأمن البحر الأحمر، وجعله بحيرة عربية، و منطقة سلام، والعمل على إبعاده عن الصراع الدولي مع وضع استراتيجية عربية خاصة بالبحر الأحمر، كما تم التأكيد على فتح البحر الأحمر للملاحة والسعي إلى إبعاد إسرائيل عن الساحل الإرتيري، وكذلك إبعاد إثيوبيا الموالية في ذلك الوقت للاتحاد السوفياتي[١].

نجد ومن خلال ما سبق ان هذا الاجتماع قد عمل على تأكيد العزم العربي على جعل البحر الأحمر بحيرة عربية، والإبقاء عليه بعيدًا عن الأيادي الإثيوبية والإسرائيلية، الأمر الذي يوضح مدى أهمية البحر الأحمر بالنسبة للقيادة في البلدان الثلاثة، وكذلك أهميته لجميع الدول المطلة عليه. ورغم هذه التأكيدات والمساعي الجادة من الدولة العربية في ذلك الوقت نجد أن اسرائيل سعت وبكل امكانياتها وعلاقاتها السياسية والعسكرية إلى ايجاد موطئ قدم لها على ساحل البحر الأحمر وقد مهدت لها اثيوبيا الطريق من خلال الحصول على وجود فعلي في كل من مينائي مصوع وعصب الأريتيريين ثم باقي الجزر الإرتيرية الواقعة في البحر الأحمر، كما أن حالة الضعف العربي والصراعات الداخلية شجعت اسرائيل للمضي قدمًا في تركيز وجودها دخل جزر البحر الأحمر وهي المناطق غير المأهولة بالسكان.

الوجود الأمريكي في البحر الأحمر:

كان لأمريكا وجود مباشر وغير مباشر في ساحل البحر الأحمر، وقد ساعدت العلاقات الاثيوبية الأمريكية في عهد الامبراطور (هيلا سلاسي) في أن يصبح لأمريكا أكبر قاعدة في منطقة (كاجنيو)الغريبة من اسمرة وهي تعتبر اضخم قاعدة عسكرية أمريكية خارج الولايات المتحدة الامريكية، ومن هذه القاعدة نجحت أمريكا في مراقبة كل حركة في المحيط الهندي وبحر العرب وخليج عدن والخليج العربي والبحر الأحمر [٢].

(١) عبدالله عبدالمحسن السلطان، مرجع سابق، صر ١٨٧-١٨٨.
(٢) صلاح الدين حافظ، مرجع سابق، ص ١٠٣.

بعد زوال الاستعمار التقليدي وانسحابه البحري سارعت الولايات المتحدة الامريكية إلى شغل الفراغ الذي نجم عن هذا الانسحاب، باعتبارها القوى العظمي الأولي في العالم وقد كنت الولايات المتحدة تهدف من خلال التوسع البحري في البحر المتوسط والمحيط الهادي والمحيط الهندي والبحر الأحمر إلى فرض حصار بحري على الاتحاد السوفيتي، ثم بعد ذلك تأمين حقول النفط في المنطقة العربية وايران [١].

الاتحاد السوفيتي والبحر الأحمر:

كان هم الاتحاد السوفيتي منذ وقت مبكر الخروج من المياه الباردة والمتجمدة والوصول إلى البحار الدافئة عبر مضيق البسفور والدردنيل إلى البحر المتوسط ثم البحر الأحمر لذلك سعت إلى تدعيم موقعها في كل من اليمن واثيوبيا، كما وقف الاتحاد السوفيتي ضد تعريب البحر الأحمر واعتباره بحيرة عربية، والسبب الذي دفع الاتحاد السوفيتي للاهتمام بالبحر الأحمر لأنه يعتبر أقصر الطرق يصل بين البحر الأسود والمحيط الهندي الذي يحظى بأهمية خاصة لدى السوفيت، لذلك تحول السوفيت من مرحلة الصداقة مع الدول المطلة على البحر الأحمر إلى مرحلة الوجود الفعلي في مدينة عدن وجزيرة سوقطرة وقاعدة (التواهي) في اليمن الديمقراطية وموانى عصب ومصوع وجزر (دهلك)[٢].

قناة السويس وزيادة أهمية البحر الأحمر:

يعد الطريق البحري الواصل بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر من أهم الممرات المائية في العالم، وقد ساعدت قناة السويس في انعاش الطريق التجاري الرابط بين شرق اسيا وأفريقيا وأروبا، وقد نجحت الشركة الفرنسية بقيادة المهندس (دلسبس) بتمويل فرنسي بريطاني من حفر هذه القناة[٣].

وقد مثل افتتاح قناة السويس في ١٧مايو(١٨٦٩م) نقطة مهمة في زيادة أهمية البحر الأحمر الاقتصادية والاستراتيجية، وقد كانت فكرة حفر قناة السويس تراود الكثير من القوى ابتدأ من الفراعنة الذين يعتبرون أول من حاول تنفيذ هذه المهمة، ثم البطالمة والرمان الذين اعادوا فتح هذه القناة خلال فترة حكمهم لمصر، وبعد فتح عمر بن العاص لمصر عام (٦٤٠م) اقترح افتتاح

(١) المرجع نفسه، ١٣٥.
(٢)، صلاح الدين حافظ، مرجع سابق ص ١٣٧-١٣٨.
(٣) بشير كوكو حميدة، تاريخ أوربا الحديث،، ط٣، دار الارشاد الخرطوم، ١٩٦٩، ص، ٥٤.

ترعة الفراعنة لكن وجد مقترحة معارضة شديدة من سيدنا عمر بن الخطاب الذي علل رفضه بأن هذا الإجراء سوف يتيح للرومان (البيزنطيين) فرصة الابحار عبر البحر الأحمر واستعمال هذه القناة لشن العديد من العمليات الحربية ضد المسلمين، لكن تراجع سيدنا عمر بن الخطاب بعد ذلك وأمر بفتح القناة من بلبيس إلى البحيرات المرة) وهي قناة تربط النيل والبحر الأحمر عرفت باسم (خليج أمير المومنيين)،وذلك لمساعدتها في نقل الاغذية من مصر إلى المدينة المنورة، وفي عهد الخليفة هارون الرشيد تم التفكير في شق قناة تربط البحر الاحمر بالبحر الأبيض المتوسط، وذلك بغرض دعم التجارة في هذه المنطقة لكنه تراجع عن فكرته بسبب خوفه من استخدام القناة بواسطة البحرية البيزنطية، وفي العد العثماني راودت فكرة حفر القناة الحكام العثمانيين[1].

الخاتمة

شهد البحر الأحمر ومنذ أقدم العصور حركة من الاهتمام الواضح به وبموقعه الاستراتيجي، وقد لعب البحر الأحمر دورًا مهمًا في حركة النقل والتواصل بين شطري قارتي اسيا وافريقيا وأصبح واحدًا من أدوات التواصل بين الشعوب المطلة عليه، وقد تضاعفت أهميته السياسية والاقتصادية والاستراتيجية بعد ظهر حركة الكشوف الجغرافية ومحالات الدول الأوربية الوصول إلى الهند وشرق أسيا، ثم بعد ذلك جاء عصر النفط الذى مثل النقطة المحورية في زيادة الاهتمام بالبحر الأحمر من قبل الدول الأوربية، والناظر للبحر لأحمر يجد أن هذا البحر يمثل بحيرة عربية كبيرة لكن في الوقت نفسه يجد أن هذه الدول العربية لم تستفد من هذا البحر الفائدة المرجوة وذلك بسبب الصراعات والمشاكل الداخلية بين هذه الدول ثم بعد ذلك محاولات القوى العظمى مثل امريكا وفرنسا وبريطانيا ومعهم اسرائيل الرامية إلى اضعاف النفوذ العربي على هذا البحر الاستراتيجي، لذلك نجد ان معظم هذه البلاد العربية قد وقعت تحت اطماع هذه الدول.

النتائج:

خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج والتي من أهمها:

١ – أهمية البحر الأحمر لحركة الملاحة والتجارة البحرية العالمية والاقليمية.

٢ – مساهمة البحر الأحمر في التواصل بين شعوب المنطقة.

٣ – شكلت الموانئ والمرافئ المطلة على البحر الأحمر محل اهتمام لكل القوى العالمية بغرض السيطرة عليها.

(١) عبدالله عبدالمحسن السلطان، مرجع سابق، ص ٥٣.

٤ – السيطرة على البحر الأحمر من قبل الدول العظمي يضعف النفذ العربي في المنطقة.

٥– سعي اسرائيل المستمر لتحقيق تواجد لها على طول الساحل بشتى الوسائل وقد نجحت إلى حدا ما في ذلك.

٦ – الصراع في البحر الأحمر لن يتوقف طالما أن هناك قوى عالمية تتشكل وأخرى تختفي.

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

١ – دراسة تاريخ التنافس والصراع حول البحر الأحمر بصورة مفصلة لمعرفة مستقبل على المنطقة.

٢– العمل على ايجاد صيغ تعاون بين الدول العربية المطلة على البحر الأحمر بغرض الاستفادة من خيراته الكثيرة لرفاهية وتطوير سكان المنطقة.

٣– السعي لتطوير موانى وجزر الدول المطلة على البحر الأحمر وذلك لإبعاد أي اطماع خارجية، وتطوير القدرات البحرية لهذه الدولة.

قائمة المصادر والمراجع:

اولاً: الكتب:

١ – برنارد لويس، الغرب والشرق الأوسط، (تعريب) نبيل صبحي، (ب . د)، (ب .ت).

٢– جمال زكريا قاسم، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية، دار الكتاب الحديث، الكويت، ١٩٩٦م.

٣– حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام، (السياسي، الديني، الثقافي، الاجتماعي)، ج٤، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠١.

٤ – عبدالله عبدالمحسن السلطان، البحر الاحمر والصراع العربي الإسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٤م.

٥– شوقي عطا الجمل و عبدالله عبدالرازق ابراهيم، تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، ط٢، دار الزهراء الرياض، ٢٠٠٢م.

٦- صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الأفريقي، مطابع الاتباع، الكويت، ١٩٨٢م .

٧- محمد ثابت، العالم كما رأيته، جولة في ربوع أفريقيا، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ١٩٣٦م.

٨- محمود شاكر، الصومال، موطن الشعوب الاسلامية في أفريقيا (٣) مطبعة الاتحاد، دمشق، ١٩٦٤.

٩- نعيمة شديد محمد زين، أهمية الموانئ السودانية للتجارة الدولية عبر البحر الأحمر خلال العصر الاسلامي، كتابات سودانية، كتاب غير دوري، يصدر عن مركز الدراسات السودانية، القاهرة،العدد ٤٦، يناير ٢٠٠٩م.

ثانيًا: المجلات:

١- هدى جلال الدين يوسف، السياسة الخارجية الفرنسية تجاه افريقيا، مجلة الدراسات الاستراتيجية، العدد ٩، ابريل،، مركز الدراسات الاستراتيجية، الخرطوم، ١٩٩٧م.

٢- أمين توفيق الطيبي، المواجهة العثمانية البرتغالية في القرن السادس عشر، مجلة الاجتهاد، العدد٤٣، السنة الحادية عشرة، دار الاجتهاد، بيروت، ١٩٩٩م.

الشخصية الإعتبارية للشركة والآثار المترتبة عليها
(دراسة قانونية مقارنة)

بقلم: د. الرشيد العوض محمد

أكاديمية السودان للعلوم المصرفية والمالية ـ الخرطوم

مستخلص البحث

الشركة كشخصية إعتبارية لها دور فاعل في إقتصاد الفرد والدولة ويمتد ذلك الي الجانب السياسي والإجتماعي. لذلك كان لابد من تدخل القانون حتى يحمي هذا النوع من المؤسسات الإقتصادية الضخمة ذات الخصوصية المتفردة والتي تستحق كل هذا الاهتمام في العصر الحديث. الذي إصبح فيه العالم قرية إقتصادية صغيرة.

إن ظهور الشركة ككائن قانوني جديد في الفضاء القانوني يستلزم أن تكون له أدوات تخول له التعامل مع الغير أو حتي التعامل ما بين أعضاء. ولذا إتفق الفقهاء حول ضرورة منح الشركة حقوق تسمح لها بتحقيق أهدافها من أهلية وذمة مالية وجنسية وهذا في حد ذاته يعتبر مدعاة لنشؤ الشخصية الإعتبارية للشركة. ومن هنا تكمن أهمية موضوع هذا البحث في تناوله لجوانب تتعلق بالشخصية الإعتبارية للشركة والتي تعتبر من أهم دعائم عملية التنمية الإقتصادية والإجتماعية وأحد الآليات الهامة لتجميع المدخرات الخاصة والعامة وتوجيهها نحو قنوات الإستثمار المتنوعة. إضافة إلي ذلك فإن الشركة كشخصية إعتبارية من المؤسسات الحديثة لا تكون إلا بتوفر ظروف معينة ويعتبر القانون هو أساس وجود الشركة وشخصيتها الإعتبارية هذا مما يجعل هذه الدراسة ذات أهمية بالغة للعاملين في المجال القانوني بصفة خاصة وغيرهم من المهتمين بمجال الشركات والمؤسسات ذات الشخصية الإعتبارية. كما تأتي أهمية هذه الدراسة لتحديد وتفعيل دور الشركة كشخصية أعتبارية لها ذاتها القانونية. إتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي وقسمت هذا البحث إلي ثلاثة فصول جاء الفصل الأول بعنوان مفهوم الشركة وأركانها كما إحتوي الفصل الثاني علي مفهوم الشخصية الإعتبارية للشركة أما الفصل الثالث إشتمل علي بداية

ونهاية الشخصية الإعتبارية للشركة والآثار المترتبة عليها. وتوصل البحث إلى مجموعة من النتائج من أهمها أن المشرع السوداني لقانون الشركات لسنة ٢٠١٥م قد لازمه التوفيق في تعريف الشركة لما صاحب التعريف من شمولية وعمومية. أن المشرع السوداني قد قام بمعالجة ما وقع فيه من خطأ وقصور لتعريف الشركة في قانون الشركات لسنة ١٩٢٥م. حيث جاء التعريف موضوعيًا وموضحًا لمفهوم الشركة وخصائصها وما يميزها عن غيرها من صور الإستثمار. تفادي المشرع السوداني لقانون الشركات لسنة ٢٠١٥م عيب الصياغة القانونية في تعريفه للشركة بأنها (عقد) وليست (شركة). وقد أوصت الدراسة بمجموعة من التوصيات أهمها. وضع إستراتيجية قانونية قومية ودولية لضبط أعمال الشركة والشخصية الإعتبارية لها. مستهدفةً في ذلك النواحي العملية والإجرائية لتسجيل الشركات. ضرورة قيام مسجل عام الشركات بتشكيل هيئة دائمة مختصة بالرقابة على عمليات وإيداعات الشركات السنوية. بحيث تمنح هذه الهيئة الصلاحيات الكافية للرقابة على الشركات وإجراءات تسجيلها ومقرها وإيداعاتها السنوية.

Abstract

The company as a legal person has an active role in the economy of the individual and the state and extends to the political and social aspects. Therefore, it was necessary to intervene in the law to protect this kind of huge economic institutions with unique privacy that deserve all this attention in modern times. Where the world has become a small economic village.

The emergence of the company as a new legal entity in the legal space requires that it have tools that allow it to deal with others or even deal among members. Hence, the scholars agreed on the necessity of granting the company rights that allow it to achieve its objectives of financial and sexual empowerment, which in itself is considered a reason

for establishing the corporate personality of the company.

Hence the importance of this research in dealing with aspects related to the corporate personality which is one of the most important pillars of the economic development process And one of the important mechanisms for the collection of private and public savings and channeling them to various investment channels.

In addition, the company as a corporate personality of modern institutions is not only in the availability of certain circumstances and the law is the basis of the existence of the company and its legal personality, which makes this study is of great importance to legal professionals in particular and others interested in the field of companies and institutions with a personal icon. The importance of this study to determine and activate the role of the company as a legal personality is the same legal.

In this research, the descriptive and analytical descriptive approach was divided and divided into three chapters. The first chapter was titled «The Concept of the Company and its Elements».

Chapter 2 also covered the concept of the corporate personality of the company. The third chapter included the beginning and end of the corporate personality of the company and its implications.

The research reached a number of results, the most important of which is that the Sudanese legislator of corporate law for the year 2015 has been required to conciliate in the definition of the company because of the definition of generality and generality.

That the Sudanese legislator has dealt with the error and failure to define the company in the Companies Act of 1925.

Where the definition was objective and clear to the concept of the company and its characteristics and what distinguishes them from other forms of investment.

Avoidance of the Sudanese legislator to the Companies Law for the year 2015 defect legal drafting in the definition of the company as a (contract) and not (company).

The study recommended a number of recommendations. Developing a national and international legal strategy to control the company's business and legal personality.

Targeting the practical and procedural aspects of corporate registration.

The need for the Registrar of Companies to form a permanent body to monitor the operations and deposits of the annual companies.

So that this body shall be granted sufficient powers to control the companies and the procedures of registering them and their location and their annual deposits.

مقدمة :

تعتبر الشركة من أكبر الكيانات الإقتصادية حيث تلعب دورًا بارزًا في إزدهار أو إنتكاس الاقتصاد، كما أن أثرها يمتد الي الجانب السياسي والإجتماعي . لذلك كان لابد من تدخل القانون حتي يضبط هذا النوع من المؤسسات الإقتصادية ذات الخصوصية المتفردة لإزالة الغموض واللغط الذي يرد علي الشركة. وقد برز القانون محاولاً إبتداءً توضيح مفهوم الشركة حتي لا يختلط هذا المفهوم بالأنظمة القانونية المشابهه .

إن ظهور الشركة ككائن إقتصادي جديد في الفضاء القانوني يستلزم أن تكون له أدوات تخول له التعامل مع الغير أو حتي التعامل ما بين أعضاء هذا الكيان ومن هنا بدء إختلاف الفقهاء حول

ضرورة أو عدم ضرورة أو حتي إنكار إحتياج الشركة للشخصية الإعتبارية. ولكن إتفقوا حول ضرورة منح الشركة حقوق تسمح لها بتحقيق أهدافها من أهلية وذمة مالية وجنسية وهذا في حد ذاته يعتبر مدعاة لنشؤ الشخصية الإعتبارية للشركة .

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية موضوع البحث في تناوله لجوانب تتعلق بالشخصية الإعتبارية للشركة والتي تعتبر من أهم دعائم عملية التنمية الإقتصادية والإجتماعية وأحد الآليات الهامة لتجميع المدخرات الخاصة والعامة وتوجيهها نحو قنوات الإستثمار المتنوعة. علاوة على إنها تمثل حلقة الإتصال بين القطاعات الإقتصادية المختلفة التي تقوم علي الإستثمارات والتي بدورها تخدم أهداف التنمية في أي دوله.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك عدة أسباب ساهمت في إختيار هذا الموضوع للمبحث فيه وكان من أهمها:

١ – أهمية الشخصية الإعتبارية للشركة ودورها الفاعل في التنمية الأقتصادية ومواكبتها للقوانين ذات الصلة.

٢ – الدراسة في هذا الموضوع تعتبر حافزًا لإدخال بعض التعديلات في القوانين ذات الصلة.

٣ – العمل علي تطوير القوانين ذات الصلة بالشركات لتواكب التطور المتسارع في مجال العمل التجاري بصفة عامة وبالشركات بجميع أنواعها بصفة خاصة من حيث الضوابط القانونية وأحكام الشريعة الإسلامية.

٤ – الكشف عما صاحب الشخصية الإعتبارية للشركة من ضوابط بعد صدور قانون الشركات السوداني لسنة ٢٠١٦م.

٥ – إعادة هيكلة وضبط الشخصية الإعتبارية للشركات وبيان الآثار المترتبة عليها وفقًا لأحكام الفقه الإسلامي والقانون.

مشكلة البحث:

يهدف الباحث من خلال الدراسة الوقوف على الآتي:

١ – بيان مدي مواكبة الشخصية الإعتبارية للشركة في القانون السوداني للتطور التشريعي والتنظيمي للشركات وفقًا للقوانين العربية ودول الجوار.

٢ – هل قام التشريع السوداني وخاصة قانون الشركات لسنة ٢٠١٦م بأداء دور فاعل في إبراز دور الشخصية الإعتبارية للشركة في السودان؟.

٣ – بيان أوجه الشبه والاختلاف في النظام التشريعي والإداري السوداني للشخصية الإعتبارية للشركة في السودان والدول الأخري ومدي إمكانية الإستفادة من ذلك.

منهج البحث:

إن المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوثائقي التحليلي الوصفي التأريخي الذي يعتمد على جمع المادة من مصادرها الأولية وتحليلها ومقارنتها وذلك بالرجوع إلى أمهات كتب القانون والفقه الإسلامي والاقتصاد والمال وتوثيق المعلومات وشرح المصطلحات القانونية والفقهية والاقتصادية.

هيكل البحث:

الفصل الأول: مفهوم الشركة وأركانها

المبحث الأول: مفهوم الشركة

المبحث الثاني: أركان الشركة

الفصل الثاني: مفهوم الشخصيةالإعتبارية وعناصرها.

المبحث الأول: مفهوم الشخصية إعتبارية للشركة.

المبحث الثاني: عناصر تكوين الشخصية الإعتبارية.

المبحث الثالث: التكييف القانوني لفكرة الشخصية الإعتبارية.

الفصل الثالث: بداية ونهاية الشخصية الاعتبارية والآثار المترتبة عليها.

المبحث الأول: بداية الشخصية الاعتبارية.

المبحث الثاني: إنتهاء الشخصية الاعتبارية.

المبحث الثالث: الأثار المترتبة على الشخصية الإعتبارية للشركة.

الفصل الأول

مفهوم الشركة وأركانها

يمثل مفهوم الشركة القلب النابض بالنسبة لجسد الشركة فهو يحدد النظام القانوني الكامل للشركة وأنواعها ومسؤولية أعضائها وتأسيسها وإدارتها وكافة الأحكام التي تنظم الشركة أثناء حياتها وحتي توقف الشركة عن العمل بأي وسيلة من الوسائل التي حددها القانون.

المبحث الأول: مفهوم الشركة

المطلب الأول: تعريف الشركة في اللغة:

الشركة في اللغة مصدر من شرك شركًا وشركةً، وشركت بينهما في المال وأشركته، جعلته شريكًا[١]. ومعناها الإختلاط، أو خلط الشريكين [٢].

المطلب الثاني: تعريف الشركة في الفقه الإسلامي.

إختلفت عبارات الفقهاء في تعريف الشركة إصطلاحًا، فعرفها فقهاء الحنفية بأنهابارة عن عقد بين متشاركين في راس المال والربح[٣]. أما المالكية فعرفها بأنها (إذن في التصرف لهما مع أنفسهما أو أن يأذن كل واحد من الشريكين لصاحبه في أن يتصرف في مال لهما مع إبقاء حق التصرف لكل منهما[٤].

عرفها الشافعية بأنها (ثبوت الحق في الشئ لأثنين فأكثر علي جهة الششيوع)[٥].

الشركة عند الحنابلة هي (الاجتماع في إستحقاق أو تصرف) [٦].

---

١ المصباحالمنير للمقري الفيومي مادة (شرك) - تحقيق عيد العظيم الشناوي - ط٣- دار المعرفة القاهرة – ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧- ص ٣١١.

٢ إبن منظور - لسان العرب - ج ٨ - ص ٦٧- ط ١- بيروت - دار صادر للطباعة سنة ٢٠٠٠ .

٣ حاشية الطحاوي علي الدر المختار - ص ٥١١- دار المعرفة بيروت ١٩٧٥م .

٤ فتح الباري بشرح صحيح البخاري - الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني - ج ٥ - ص ١٢٩ - دار المعرفة - بيروت.

٥ مغني المحتاج إلي معرفة ألفاظ المنهاج - محمد الخطيب الشربيني - دار الفكر بيروت - ج ٢- ص ٢١١. - شرح الكبير مع حاشية الدسوقي - ج٣- ص ٣٤٨ .

٦ المغني لإبن قدامة المحنبلي - ج ٥- ص ١- تعليق وتخريج محمد رشيد رضا - ط٣ - دار المنار ١٣٦٨هـ .

المطلب الثالث : تعريف الشركة في القوانين السودانية :

الفرع الأول : تعريف الشركة في قانون الشركات :

جاء تعريف الشركة في قانون الشركات السوداني لسنة ١٩٢٥ بأنها : « يُقصد بها شركة كُونت وسُجلت بموجب أحكام هذا القانون وحُددت مسئولية أعضائها بمقدار مالم يُدفعوا من قيمة الأسهم إن وُجِدت التي يحملها كل منهم»[١].

هذا وقد عرف قانون الشركات السوداني لسنة ٢٠١٥م الشركة في المادة الثالثة منه بأنها: «الشركة يُقصد بها إي شركة سجلت بموجب أحكام هذا القانون أو بموجب أحكام قانون الشركات لسنة ١٩٢٥»[٢].

فالشركة عبارة عن عقد بمقتضاه يلتزم شخصان أو أكثر بأن يساهم كل منهم في مشروع مالي بتقديم حصص من مال أو عمل لإقتسام ما قد ينشأ عن هذا المشروع من ربح أو خسارة[٣].

الفرع الثاني : تعريف الشركة في قانون المعاملات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٤م :

جاء تعريف الشركة في قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤ بأنها: «عقد يلتزم بمقتضاه شخصان أو أكثر بأن يساهم كل منهم في مشروع مالي بتقديم حصته من مال أو عمل لإستثمار ذلك المشروع وإقتسام ما قد ينشأ عنه من ربح أو خسارة»[٤].

من خلال ما سبق يتضح أن المشرع السوداني لقانون الشركات لسنة ٢٠١٥م قد لازمه التوفيق في تعريف الشركة لما صاحب التعريف من شمولية وعمومية . حيث أن المشرع السوداني قد قام بمعالجة ما وقع فيه من خطأ وقصور لتعريف الشركة في قانون الشركات لسنة ١٩٢٥م . بحيث جاء التعريف موضوعيًا وموضحًا لمفهوم الشركة وخصائصها وما يميزها عن غيرها من صور الإستثمار، كما أنه تفادي عيب الصياغة القانونية بتعريفه للشركة بأنها (عقد) وليست (شركة).

---

١ –قانون الشركات السوداني لسنة ١٩٢٥– المادة –٤ .

٢ – قانون الشركات السوداني لسنة ٢٠١٥م المادة (٣).

٣ – القانون التجاري - سمية القليوبي - ص ٤٥٥– القاهرة - دار النهضة العربية . محمود سمير الشرقاوي - القانون التجاري - ص١٦٢ - دار النهضة العربية ١٩٨٢م.

٤ – قانون المعاملات المدنية السوداني لسنة ١٩٨٤ - المادة (٢٦٤) .

بهذا يتضح أن المشرع السوداني في تعريفه للشركة في قانون الشركات لسنة ٢٠١٥ قاد تفادي التكرار كعيب من عيوب الصياغة القانونية مقارنة مع تعريف الشركة في قانون الشركات لسنة ١٩٢٥ حيث حذف عبارة (كُوِنت) وأكتفي بعبارة (سُجِلت)، علي إعتبار أن تسجيل الشركة بموجب قانون الشركات لسنة ٢٠١٥م لا يمكن أن يتم إلا إذا كان تكوينها قد تم بموجب قانون الشركات لسنة ٢٠١٥.

المبحث الثاني: أركان الشركة

إن التشريعات المختلفة قد عرفت الشركة بأنها عقد يتم بين شخصين أو أكثر. ولذا وجب أن تتوفر في الشركة الأركان الموضوعية العامة، وهي الأركان التي تشترك فيها مع كافة أنواع العقود الأخري بإعتبار أن الشركة عقد من العقود وتتمثل هذه الأركان في الرضا والأهلية والمحل والسبب.

ونظرًا لأن عقد الشركة يقوم خلافًا لبقية العقود علي إتحاد المصالح بين أطرافه وليس علي تقابلها أو تعارضها لزم أن يضاف الي أركانه الموضوعية العامة أركان موضوعية خاصة تميزه عن غيره من الكيانات والأنظمة القانونية المشابهة له وتتمثل هذه الأركان في تعدد الشركاء ونية المشاركة وتقديم الحصص وإقتسام الأرباح والخسائر.

وطالما أن عقد الشركة يؤدي في معظم الأحوال الي ميلاد شخص معنوي هو الشركة إستلزم المشرع كتابته وإتخاذ الإجراءات اللازمة لشهره لإعلام الغير بما خلفه من آثار وهو ما يطلق عليه الأركان الشكلية.

المطلب الأول : الأركان الموضوعية العامة للشركة :

الفرع الأول: الرضا :

الأصل أن الشركة عقد بين الشركاء، فإن هذا العقد لا ينعقد إلا بتراضي الشركاء كغيره من العقود بصفة عامة. فالرضا هو التعبير عن إرادتي المتعاقدين المتطابقين إيجابًا وقبولاً[1] . بحيث

١ أماني أحمد عبد الله / مرجع سابق / ص ١٢٣.

ينصب الرضا في عقد الشركة على شروط عقد الشركة المتمثلة في رأس مال الشركة وأغراضها وشكلها وإدارتها وحصص الشركاء والإدارة والتصفية[١] . .[٢].

الرضا كأحد الأركان الموضوعية العامة في عقد الشركة لابد أن يكون خاليًا من عيوب الرضا والتي يمكن تعريفها بأنها المسائل التي لو علم بها الشخص قبلاً لما قبل الإنضمام أو إنشاء الشركة[٣] وتتمثل هذه العيوب في الغلط والتدليس والإكراه والإستغلال[٤].

يترتب على تخلف الرضا أو وجود أي عيب من عيوبه نتائج تؤثر على وضع الشركة القانوني لذلك يؤدي إنعدام الرضا إلى بطلان عقد الشركة بطلانًا مطلقًا، أما إنعدام شروط الرضا أو بعبارة اخرى وجود عيوب الرضا يؤدي إلى بطلان عقد الشركة بطلانًا نسبيًا [٥].

الفرع الثاني : الأهلية :

عقد الشركة من العقود الدائرة بين النفع والضرر[٦] لأنه ينشئ التزامات ويرتب حقوق ما بين الشركاء أو الغير. لذلك كان من الضروري صدور الرضا من شخص ذو أهلية، والأهلية المقصودة هنا هي أهلية الشخص لمباشرة التصرفات القانونية[٧].

إن تمتع الشخص بالأهلية الكاملة يستلزم بجانب توفر سن الأهلية سلامة الشخص عقليًا. من عوارض الأهلية التي تعدم الأهلية وهي الجنون والعته أما عوارض الأهلية التي تنقص الأهلية هي السفه والغفلة حيث يترتب على إنعدام الأهلية البطلان المطلق لعقد الشركة أما نقص الأهلية فيترتب عليه البطلان النسبي لعقد الشركة[٨].

---

١ الشركات التجارية / سميحة القليوبي / مكتبة النصر / ١٩٩٣م/ ص٩.
٢ الشركات التجارية في التشريعات العربية / محمد مصطفى عبد الصادق/ دار الفكر والقانون / الطبعة الأولى / ٢٠١٠م ص١٩.
٣ إبراهيم محمد أحمد دريج / مرجع سابق/ ص ٤٧.
٤ دروس في قانون الشركات التجارية / صلاح أمين أبوطالب / مكتبة النصر / ١٩٩٠ / ص٣.
٥ الشركة التجارية – الجزء الاول/ مصطفى كمال طه / مطبعة رمسيس/ الطبعة الثانية / ١٩٥٦م/ ص٢٥٩.
٦ إبراهيم محمد أحمد دريج/ مرجع سابق / ص ٤٨.
٧ أماني احمد عبد الله / مرجع سابق/ ص٢٤.
٨ سميحة القليوبي / مرجع سابق / ص ١٠.

الفرع الثالث : المحل (غرض الشركة)

محل عقد الشركة هو الغرض الذي تهدف الشركة الى تحقيقه وهو تنفيذ المشروع الإقتصادي الذي تكونت الشركة من أجله[١]، هذا المحل الخاص بعقد الشركة لابد له من شروط حتى يكون صحيحًا فلا بد أن يكون مشروعًا وممكنًا وإلا أصبحت الشركة باطلة فالشركة التي يتم تأسيسها لغرض غير مشروع كالإتجار في المخدرات تعتبر شركة باطلة لمخالفة غرض الشركة للنظام العام والآدب . وحتى نتأكد من إستيفاء المحل للشروط تكون العبرة في النشاط الذي تمارسه الشركة فعلاً وليس فقط ما نص عليه عقد الشركة[٢].

الفرع الرابع : السبب :

هو الدافع الباعث على التعاقد والذي يتمثل في الرغبة لدى كل شريك في المساهمة مع الشركاء الآخرين في تنفيذ الغرض الذي كونت الشركة من أجله لتحقيق الربح المتمثل في إقامة مشروع اقتصادي في أي فرع من فروع النشاط التجاري[٣].

يشترط في السبب أن يكون مشروعًا وجائزًا وغير مخالف للنظام العام والآداب بحيث إذا تخلفت إحدى هذه الشروط أصبح عقد الشركة باطلاً بطلانًا مطلقًا[٤].

من خلال الدراسة فإن الفقه الحديث يميز بين المحل والسبب فإذا كان المحل عبارة عن النشاط الإقتصادي الذي تقوم به الشركة فالسبب هو الغاية وهو الحصول على الأرباح. لذلك يعتبر السبب مشروعًا في جميع الاحوال. ولا شك أن الربح هو السبب الرئيسي لأي عقد شركة إلا أن هناك أسباب أخري يجب أن تأخذ في الإعتبار مثل تنمية المنطقة وتقديم الخدمات الضرورية وغيرها .

المطلب الثاني: الأركان الموضوعية الخاصة :

نظم المشرع عقد الشركة بصورة جعلته ذو خصائص تميزه عن غيره من العقود، وإن كان يشترك معها في كثير من القواعد العامة . ويمكن استخلاص هذه الخصائص أو الأركان الموضوعية

١ أماني احمد عبدالله / مرجع سابق / ص١٢٥.
٢ الشركات التجارية / جاك الحكيم/ منشورات جامعة دمشق / ١٩٩٣/ ص٦٤.
٣ أماني احمد عبدالله / مرجع سابق/ ص١٢٥.
٤ قانون المعاملات التجارية السعودي – الجزء الأول/ النظرية العامة / محمد مختار أحمد بريري / معهد الإدارة العامة ١٩٨٠ / ص١٢٤.

الخاصة من خلال تعريف الشركة ويتضح من التعريف أن الأركان الموضوعية الخاصة للشركة هي تعدد الشركاء وتقديم الحصص ونية المشاركة وإقتسام الأرباح والخسائر[١].

الفرع الأول: تعدد الشركاء:

يجب أن لا يقل عدد الشركاء في الشركة عن إثنين لمخالفة ذلك مبدأ وحدة الذمة المالية[٢].

إن تعدد الشركاء ركن لازم ليس فقط عند تأسيس الشركة بل وطيلة بقاء الشركة فإذا قل عدد الشركاء عن إثنين أعتبرت الشركة مخلة بحكم القانون إن لم تبادر خلال ستة اشهر على الأكثر بإستكمال العدد ويكون من تبقى من الشركاء مسؤولاً في جميع أمواله عن التزامات الشركة خلال هذه الفترة . لذا فإن تعدد الشركاء تمليه على الشركة فكرة التعاون لتحقيق أهداف الشركة إضافة للتأكد من عدم تطبيق فكرة شركة الشخص الواحد، كذلك قصد المشرع من التعدد حماية الغير[٣].

الفرع الثاني : تقديم الحصص :

الحصة هي قيمة السهامة التي يتقدم بها الشريك في رأس المال سواء كانت هذه الحصة أموال نقدية أو أموال مادية كالعقار أو المنقول أو أموال معنوية كبراءة الإختراع والعلامة التجارية أو العمل الذي يجب أن يكون على قدر من الأهمية.

إن تقديم الحصة هو الذي يبرز الحصول على نصيب من الأرباح ونصيب من الخسائر. لذلك لابد أن تكون الحصة حقيقية فلا يجب أن تكون تافهة أي ضئيلة القيمة أو صورية أي لا تكون لها قيمة مالية. ولم يشترط القانون في الحصة أن تكون من طبيعة معينة أو قيمة معينة أو أن تكون متساوية القمية فقد تكون متفاوتة في الطبيعة والقيمة لكن المشرع السوداني إستلزم أن تكون الحصة قابلة للتقويم بالمال. حيث يتم تقويم الحصة عند تقديمها للشركة بحيث تدخل الحصة النقدية والعينية فقط في رأس مال الشركة[٤].

---

١ إبراهيم محمد أحمد دريج / مرجع سابق / ص ٥٠.

٢ العقود والشركات التجارية / إبراهيم سيد أحمد / الدار الجامعية الجديدة للنشر / الطبعة الأولى / ١٩٩٩م/ ص ١١٦. بحيص .

٣ القانون التجاري / سميحة القليوبي / ٢٠٠٠/ ص ١٠٥.

٤ أماني أحمد عبد الله / مرجع سابق/ ص١١٨.

الفرع الثالث: إقتسام الارباح والخسائر:

من العناصر الجوهرية لتكوين الشركة إقتسام الأرباح والخسائر الناتجة عن الإستثمار في مشروع إقتصادي فلا يكفي أن يقوم عقد الشركة على إشتراك عدة أشخاص في مشروع إقتصادي على طريق تقييم حصصهم من مال أو عمل بل لابد من أن يتجه قصدهم للإشتراك في كل من الأرباح والخسائر والتي تمثل التجسيد المادي للركن المعنوي الذي يعرف بنية المشاركة، فهو الدليل الملموس على رغبة الشركاء في العمل سواء في السراء أو الضراء[١].

إن إشتمال الشركة علي الأرباح والخسائر تترتب عليه نتيجة في غاية الأهمية وهي التمييز بين الشركة والجمعية فرغم التشابه في الكيان الخارجي إلا أنهما يختلفان من حيث الأهداف فالشركة تهدف لتحقيق الربح المادي أي المنفعة النقدية، أما الجمعية فتهدف لتحقيق الربح المعنوي أي المنفعة المعنوية مثال تحقيق الأغراض الأجتماعية أو الأدبية وهي أغراض لا شأن لها بالربح المادي[٢].

الفرع الرابع : نية المشاركة

إن نية المشاركة تعد ركنًا من أركان الشركة علي الرغم من عدم النص عليها، ويستخلص ذلك من النص الخاص بالتعريف نفسه والذي يتحدث عن التزام كل شريك بتقديم حصته من مال أو عمل. وكذلك يتحدث عن التزام كل شريك بإقتسام الأرباح والخسائر مما يعني أن نية المشاركة تكمن في كل الشروط الخاصة أو الأركان الخاصة فهي التي تجمع الشركاء المتعددين وهي التي تدفعهم لتقديم الحصص بهدف إقتسام الأرباح والخسائر[٣].

تبرز أهمية عنصر المشاركة أو عنصر نية المشاركة في التمييز بين شركات الأشخاص التي تقوم على الإعتبار الشخصي والتي يظهر فيها بوضوح إرادة التعاون بين الشركاء وشركات الأموال التي لا يهتم الشريك فيها بشخصية الشركاء بل يتجه قصده لتوظيف أمواله[٤].

---

١ مصطفى حسني / مجع سابق/ ص ٦٣.

٢ الياس ناصيف / مرجع سابق / ص ١٣١،أماني احمد عبدالله / مرجع سابق / ص ٩٣٦، إبراهيم محمد أحمد دريج / مرجع سابق / ص ٥١.

٣ أماني احمد عبدالله / مرجع سابق / ص ١٣.

٤ الياس ناصيف / مرجع سابق / ص ١٤٣ وما بعدها.

الفصل الثاني

مفهوم الشخصية الاعتبارية للشركة وعناصرها

جاء إبتكار فكرة الشخصية الإعتبارية بعد جهود مضنية من فقهاء القانون محاولين إيجاد تصور قانوني يمكن الشركة بصورة خاصة على تحقيق الأهداف التي تكونت من أجلها. تفاعلت الأنظمة القانونية المختلفة في هذا السياق ما بين من أنكر الحوجة أصلاً لمثل هذا التصور. وهناك وإتجاه آخر جعل هذا التصور عبارة عن كائن خيالي يعجز الواقع عن التعامل معه. وهناك أراء قانونية مختلفه حول الشخصية الإعتبارية للشركة. ودور القانون يقتصر على إدخال هذا التكييف في عباءته ومنحة السمة القانونية للشركة كشخصية إعتبارية تكتسب الحقوق والإمتيازات التي تجعلها قادرة علي أداء مهمتها وفعاليتها للبناء إجتماعيًا وإقتصاديًا.

المبحث الأول : مفهوم الشخصية الاعتبارية للشركة:

ينفرد عقد الشركة دون غيره من العقود بخلق كائن معنوي يتمتع بإستقلال ذاتي وشخصية قانونية متميزة تمكنه من القيام بذات الدور الذي يمكن أن يلعبه الشخص الطبيعي في مسرح الحياة القانونية بدرجة كبيرة، إن هذا الكائن المعنوي هو الشركة . وهي بهذا المعنى تعد شخصًا من أشخاص القانون تخاطب بأحكامة شأنها في ذلك شأن الأفراد الطبيعيين . وتعترف التشريعات المختلفة كأصل عام بالشخصية الإعتبارية لجيمع الشركات بغض النظر عن الغرض الذي إنشئت من أجله [1].

المطلب الأول : تعريف الشخصية الإعتبارية :

لم يرد تعريف للشخصية الإعتبارية في التشريعات المختلفة والتي تحدثت عن مسائل أخرى كأنواع الشخص الإعتباري وحقوق الشخص الإعتباري ومتى يبدأ الشخص الإعتباري حياته ومتى تنتهي هذه الحياة تاركًا مهمة تعريف الشخصية الإعتبارية للفقه القانوني الذي إجتهد في التعريف محاولاً إيجاد تعريف يتناسب مع خصائص الشخص المعنوي أو الشخص الإعتباري وهما عبارتان تحملان نفس المعنى وقد أختار المشرع السوداني لفظ الشخصية الإعتبارية .

١ الشخصية المعنوية للشركات التجارية / محمود مختار بريري / دار الفكر العربي/ القاهرة / ١٩٨٥، الشخصية المعنوية بين الحقيقة والخيال / أبوزيد رضوان/ مجلة العلوم القانونية والإقتصادية ١٩٧٠/ العدد الاول / ص١٩٣.

عرف الفقه القانوني الشخصية الإعتبارية أو الشخص الإعتباري بأنه من له صلاحية إكتساب الحق والتحمل بالإلتزام سواء كان إنسانًا أو مجموعة من الأشخاص الطبيعيين أو مجموعة من الأموال يصبغ عليها القانون صفة الشخص القانوني[١]، كما عرفها أيضًا بعض فقهاء القانون بأنها مجموعة من الأشخاص أو من الأموال يجمعهم تحقيق هدف مشترك وهذه المجموعة تعتبر شخصًا واحدًا لها كيان مستقل عن الأشخاص أو الأموال المكونين لها[٢].

عرف بعض الفقهاء الشخصية الإعتبارية أنها وحدة إجتماعية تنشأ من أجل تحقيق غرض إقتصادي أو إجتماعي أو ثقافي مشترك ويكون لها وجود قانوني خاص بها ومستقل عن الأعضاء المكونين لها و لها القدرة علي أن تكون صاحبة حق أو متعلقة بالتزام[٣].

المبحث الثاني: عناصر تكوين الشخصية الاعتبارية :

من خلال تعريف الشخصية الإعتباؤية للشركة، وحتى يكون لدينا شخصية إعتبارية لها لا بد من توافر عناصر معينة أوردها الفقه القانوني وهي كالآتي :

المطلب الأول : العنصر الموضوعي

وهو إتجاه الإرادة لدى الأفراد إلى إنشاء شخص إعتباري، فالإرداة دور فعال في تكوين الشخص الإعتباري وعلى سبيل المقاربة يمكن تشبيه هذا العنصر بعنصر نية المشاركة والخاص بتكوين الشركة[٤] ولا تنشأ الشركات إلا بعقد يلتزم بمقتصاه شخصان طبيعيان أو إعتباريان أو اكثر في المساهمة في نشاط مشترك بتقديم حصة من مال أو عمل أو نقد بهدف إقتسام الربح الذي ينتج أو تحقيق إقتصاد أو بلوغ هدف إقتصادي ذي منفعة مشتركة كما يتحملون الخسائر التي قد تنسحب على ذلك[٥].

---

١ محمود مختار احمد بريري/ مرجع سابق / ص١٣٨.
٢ فوزي محمود سامي/ مرجع سابق / ص٣٧.
٣ محمد سمير الشرقاوي / مرجع سابق / ص ٢٠، حسني المصري / مرجع سابق / ص ٩٥.
٤ المدخل للعلوم القانونية – نظرية الحق / محمد فريدة زواوي/ المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية / ٢٠٠٠ / ص ١٠٩ ١١٠.
٥ م ٤١٦ القانون المدني الجزائري.

المطلب الثاني : العنصر المادي :

يستمد من تعريف الشخصية الإعتبارية توافر مجموعة من الأشخاص أو مجموعة من الأموال، وذلك وفقًا لنوع الشخص الإعتباري المراد تكوينه .فإذا أردنا تكوين شركة نحتاج لتوافر مجموعة من الأموال لذلك لابد من توافر المال الذي لابد أن يكون كافيًا لتحقيق الهدف المقصود ويترتب على ذلك إعتراف القانون بالشخصية الإعتبارية التي تكون لها حياة مستقلة عن مؤسسيها،وتبقى متمتعة بهذه الشخصية رغم فناء أصحابها. أما إذا أردنا تكوين جمعية فإننا نحتاج لتوافر مجموعة من الأشخاص ويكفى تبرع شخص واحد بالمال لتحقيق الغرض المقصود وكذلك يعترف لها القانون بالشخصية الإعتبارية وتكون لها حياة مستقلة عن حياة الأفراد المكونين لها[1].

المطلب الثالث : العنصر المعنوي

إن الشخص الإعتباري يقوم لتحقيق هدف محدد بحيث لا يكون هناك وجود له إذا لم يكن يهدف من وراء نشاطاته إلى تحقيق وإنجاز هذا الهدف. ويفترض فيه أن يكون جماعيًا أي أن يهدف الشخص الإعتباري إلى تحقيق مصلحة المجموعة، سواء كان الهدف العام يحقق المصلحة العامة أو كان الهدف خاص يحقق المصلحة الخاصة بجماعة معينة كمصلحة الشركاء في الشركة كما أن هذا الهدف مستقل عن الأهدف الخاصة للأفراد المكونين للشخص الإعتباري وبإختلاف هذا الهدف لدى الأشخاص الإعتبارية تختلف أنواع الشخص الإعتباري . فإذا كان الهدف عامًا يحقق الصالح العامة كان الشخص الإعتباري من أشخاص القانون العام وإذا كان الهدف خاص يحقق الصالح الخاصة كان الشخص الإعتباري من أشخاص القانون الخاص وأيضًا لابد من تحديد نوع الغرض سواء كان ماليًا أوغير مالي كما يشترط أن يكون الغرض ممكنًا ومشروعًا أي لا يكون مخالفًا للنظام العام والآداب العامة ويجب كذلك أن يكون الهدف مستمرًا وليس أمرًا عرضيًا[2].

المطلب الرابع : العنصر الشكلي

قد يتطلب القانون الكتابة كما قد يستلزم الشهر أو النشر كما قد يتطلب أيضًا حصول مجموعة الأشخاص أو مجموعة الأموال على إعتراف الدولة لإكتساب الشخصية الاعتبارية. وقد إشترط المشرع أن يكون عقد الشركة مكتوبًا في شكل رسمي وإلا كان عقد الشركة باطلاً. وقد لا تتمتع

١ فوزي محمد سلمي/ مرجع سابق / ص٣٨.
٢ فوزي محمد سامي/ مرجع سابق/ ص ٣٨.

مجموعة الأشخاص أو الأموال بالشخصية الإعتبارية إلا من تاريخ شهرها ويشترط الشهر للإحتجاج بها على الغير ولقد إشترط المشرع شهر الشركات التجارية لتمتعها بالشخصية المعنوية وإعتراف الدولة بالشخصية الإعتبارية[1].

المبحث الثالث: التكييف القانوني لفكرة الشخصية الإعتبارية

حاول الفقه القانوني محاولات حثيثة للبحث عن طبيعة الشخصية الإعتبارية أو الإجابة عن تساؤاتل في غاية الاهمية للإرتقاء بالتكييف القانوني للشخصية الإعتبارية ولذا تتطرق فقهاء القانون إلي مجموعة من النظريات للخوض في هذا الموضوع وكان من ذلك علي سبيل المثال .

المطلب الأول : نظرية الشخصية الافتراضية :

وردت العديد من التسميات لهذه النظرية فمنهم من سماها نظرية الإفتراض والخيال ومنهم من سماها النظرية الإفتراضية ومنهم من سماها نظرية المجاز، وكما تعددت التسميات لهذه النظرية تعددت كذلك الأوصاف التي أطلقت على الشخصية الممنوحة للشخص الإعتباري. وكما سيتضح أن هذه التسميات تفصح عما تذهب اليه هذه النظرية بصورة عامة[2].

تمتد جذور هذه النظرية للقانون الروماني وقد إعتمدها المذهب الفردي في التشريعات الحديثة الذي إعتبر أن الفرد هو صاحب الحقوق ومحور القوانين ولا شخصية قانونية لغيرة من سائر الكائنات فالشخصية القانونية لا تكون إلا للإنسان صاحب الإرادة الشاعرة والمدركة وهو من يتمتع بالحقوق ويتحمل الالتزامات [3].

فالهدف من منح الشخصية الإعتبارية يتمثل في تمكين مجموعة من الأشخاص أو الأموال من أداء مهامها التي وجدت من أجلها وأيضًا حتى تتمكن هذه التجمعات من تحقيق أهدافها ولذلك تكتسب الحقوق وتتحمل الإلتزامات وأيضًا تتمكن من الدخول في علاقات قانونية وهو

---

١ ٢ م ٤١٨ مدني الجزائري : " يجب أن يكون عقد الشركة مكتوبًا وإلا كان باطلاً "م ٥٤٥/ ١ تجاري جزائري: "تثبت الشركة بعقد رسمي وإلا كانت باطلة"، م ٢٨٤/ ١ قانون المعاملات المدنية ١٩٨٤: "يلزم لتكوين الشركة الأركان الآتية: أ. أن يكون عقد الشركة مكتوبًا".

٢ فوزي محمد سامي/ مرجع سابق/ ص ٣٧.

٣ أصول القانون/ عبد المنعم فرج الصدة/ دار النهضة العربية / ١٩٧٨/ ص ٤٧٤

ما لا يمكن إلا بإعتبار الشركة أهلاً لإكتساب الحقوق وتحمل الإلتزامات والهدف النهائي لمنح هذه الشخصية هو تيسير الأمور من ناحية عملية أي حتى لا تواجه الشركة أي عقبات وهي في سبيلها الى تحقيق أهدافها[١].

المطلب الثاني : نظرية الشخصية الحقيقية

أطلقت على هذه النظرية عدة تسميات فمنهم من سماها نظرية الحقيقة ومنهم من سماها النظرية الحقيقية ومنهم من أطلق عليها نظرية الحقيقة والواقع.

ظهرت هذه النظرية عندما ضعفت النزعة الفردية أمام تقدم الصناعة والتجارة وإزدهار الشركات والجمعيات والنقابات على إختلاف أنواعها حيث سادت النزعة الإجتماعية ولم يعد مقبولاً إعتبار تلك الجماعات وما تمثله من مصالح وقوى أشخاص إصطنعها المشرع وهو الإتجاه الذي تزعمه العلماء الألمان وكانوا في المقدمة من حيث التصدي لنظرية الشخصية الإفتراضية[٢].

يرى أنصار هذه النظرية أن الشخصية الاعتبارية هي حقيقة قانونية لها حياة خاصة ووجود محسوس لا يختلف عن الشخص الطبيعي[٣] فهي حقيقة واقعة لا افتراض فيها بحيث لا يملك المشرع سوى الاعتراف بها كحالة واقعية ولا سبيل لانكارها لان وجود الجماعة والملكية الجماعية كان هو الاسبق تاريخيًا من وجود الفرد والملكية الفردية ٤ فالشخصية الاعتبارية شخصية حقيقية نابعة من واقع الحياة ولم يخلقها القانون خلقًا وهذه الواقعية هي التي اجبرت المشرع على مواجهتها وتكييفها وفقًا لمبادئه[٥].

المطلب الثالث : النظرية المنكرة للشخصية الاعتبارية

تعددت التسميات التي اطلقت على هذه النظرية فقد اطلق عليها نظرية الملكية الجماعية كما اطلق عليها أيضا انها فكرة المصلحة الجماعية وكذلك اطلق عليها نظرية الذمة المخصصة.

---

١ علي حسن يونس / مرجع سابق / ص٨٣.
٢ الياس ناصيف / مرجع سابق / ص٢٤٠.
٣ علي حسن يونس / مرجع سابق / ص ٨٣.
٤ حسني المصري/ مرجع سابق/ ص٩٦.
٥ احمد علي عبدالله / مرجع سابق/ ص ٥٦.

أنصار هذه النظرية يرون بأنه لا فائدة ترجي من الشخصية الاعتبارية كما انها ليس لها اساس او منفعة في عالم القانون بحيث يمكن الحفاظ على مصالح الجماعة والاستغناء عنها باعتماد افكار ونظريات قانونية اخرى تكون البديل الاكثر سلاسة ومنطقية ووضوحًا مثل فكرة الملكية المشتركة وفكرة التضامن الاجتماعي والمراكز القانونية[1].

قامت هذه النظرية على انه لا حقوق ذاتية إلا للانسان فالشخص المعنوي لا يمكنه التملك بل هو صورة تخفي وراءها ملكية جماعية تعرف في المانيا بملكية اليد المشركة إن هذه النظرية تعرف الحق على اساس المذهب الموضوعي مبينة ان هناك مصلحة جماعية مستقلة عن مصالح الافراد وليس بالضرورة ان تكون مرتبطة بهؤلاء الافراد فإذا كان الحق مصلحة يحميها القانون فليس من الضروري ان تكن هذه المصلحة دائمًا مصلحة فردية او على راسها اشخاص طبيعيون فقد توجد مصالح جماعية تبرز إلى حيز الوجود في تنظيم معين يوفر لهذه المصلحة كيانًا مستقلاً عن المصالح الفردية لاعضاء هذا التنظيم او المستفيدين منه وتبقى من بعد هذا الاستقلال جديرة بحماية القانون[2].

١ فوزي محمود سامي / مرجع سابق/ ص ٣٥.
٢ احمد علي عبد الله / مرجع سابق/ ص ٥٧.

الفصل الثالث

بداية ونهاية الشخصية الاعتبارية والآثار المترتبة عليها

الشركة ميلاد كائن جديد في سماء القانون، يحمل وصف الشخصية الاعتبارية ويحتاج لموافقة القانون . وللشركات خصوصية، وحتى ينطبق عليها وصف الشخصية الاعتبارية لابد ان يكون تكوينها او انعقاد عقدها قد تم بصورة صحيحة روعي فيها متطلبات الشروط الموضوعية العامة من رضا ومحل وسبب واهلية . ومتطلبات الشروط الموضوعية الخاصة من تعدد الشركاء ونية المشاركة واقتسام الارباح والخسائر، إضافة لتوافر متطلبات الشروط الشكلية من كتابة واشهار، بهذه الطريقة تكتسب الشركات الشخصية الاعتبارية.

كما أن نهاية الشخصية الاعتبارية مرتبطة أيضًا بعقد الشركة وجودًا وانقضاءً فاذا انقضت الشركة باي من الاسباب التي نص عيها القانون تكون قد خرجت من الوجود القانوني .

المبحث الأول: بداية الشخصية الاعتبارية

تدخل الشركة نطاق الحياة القانونية وتبدأ الشخصية الاعتبارية لها بمجرد ميلادها القانوني ونيلها شهادة التسجيل من قبل الجهات المختصة والإعتراف بها.

المطلب الأول: الاعتراف العام:

يقصد به ان يضع المشرع شروطًا عامة لبداية ميلاد الشخصية الإعتبارية إذا توافرت هذه الشروط واستوفيت من قبل اي جماعة من الاشخاص او مجموعة من الاموال كان لها ان تكتسب الشخصية المعنوية بحكم القانون وبدون حاجة الى ترخيص أو أذن خاص. وتستطيع ان تباشر حياتها ونشاطها ككائن قانوني[1].

المطلب الثاني: الاعتراف الخاص:

يقصد به انه يستلزم صدور ترخيص او اذن من المشرع لكل كائن على حده بقيام وتكوين شخص اعتباري معين فالاذن او صدور الترخيص من المشرع يعتبر بداية لحياة الشخص القانونية. وهذا النوع من الاعتراف يخص فقط الهيئات التي لا تندرج تحت واحد من الاشخاص

١ أحمد علي عبد الله / مرجع سابق / ص ٨٣.

التي ذكرها القانون في إطار الإعتراف العام . فإذا كانت هناك جماعة أشخاص او مجموعة أموال لا تدخل في التعداد الوارد والخاص بالاعتراف العام فانها لا تعتبر شخصًا معنويًا وانما يستلزم لاكتسابها الشخصية القانونية صدور اعتراف خاص من المشرع بخصوص كل حالة على حدة ومنها على سبيل المثال الشركات التجارية لابد من ان يتم تقيدها في السجل التجاري من اجل اكتساب الشخصية الاعتبارية[١]، فهذا النوع من الاعتراف يمكن المشرع من مواجهة ماقد يستجد في المستقبل من جماعات اشخاص او مجموعات اموال ولا تدخل في احد الاشكال التي حددها القانون على سبيل الحصر وتقتضي الضرورة او المصلحة الاعتراف لها بالشخصية القانونية.

وعلى ذلك يبدو الفارق واضحًا بين الاعتراف العام والاعتراف الخاص ففي الاعتراف العام تضع الدولة شروطًا عامة بحيث اذا توافرت في جماعة من الاشخاص او في مجموعة من الاموال قامت الشخصية الاعتبارية . والشخصية في هذه الحالة تثبت بمجرد تحقق الشروط دون تدخل لاحق من الدولة الا حينما يتعلق الامر بدورها في مراقبة توافر الشروط المطلوبة اما في الاعتراف الخاص فإن الدولة تتدخل للاعتراف بالشخصية في كل حالة على حده وترخص في قيامها ترخيصًا خاصًا، وفي هذه الحالة لا تبدأ الشخصية من حيث الاصل لا من التاريخ الذي يصدر من الدولة او احدى سلطاتها بالاعتراف بالشخصية القانونية ولا من تاريخ تكوينها كما هو الحال في حالة الاعتراف العام[٢].

المبحث الثاني : إنتهاء الشخصية الاعتبارية

الاصل ان تحتفظ الشركة بشخصيتها الاعتبارية طالما بقى عقد الشركة صحيحًا لكن احيانًا يتعرض الشخص الاعتباري لهزات ونكبات تؤدي لانقضاء عقد الشركة والذي يترتب عليه انقضاء الشخصية الاعتبارية للشركة فهي تستمد بقاءها من عقد الشركة[٣].

ذكرت التشريعات المختلفة الاسباب العامة لانقضاء الشركات فقد تنقضي الشركة بانتهاء المدة المحددة في نظامها الاساسي او قد تنقضي بانقضاء العمل الذي اسست من اجله كا قد تنقضي

١ م ٢٣/ د/ هـ/ و قانون المعاملات المدنية ١٩٨٤ تحدثت عن الشركات التجارية والجمعيات وكل شخصية يقرها القانون .

٢ نبيل ابراهيم سعد / مرجع سابق / صفحتي ٢٠١-٢٠٢.

٣ عزيز العكيلي / مرجع سابق/ ص ١٨٨، احمد ابو الروس / مرجع سابق/ ص٣٨.

بهلاك رأس المال او موت العضو او جنونه او افلاسه او الحجز عليه كما يمكن للشركة ان تنقضي بصورة ودية وذلك باجماع الشركاء واتفاقهم على اتخاذ قرار الحل، كما قد يكون انقضاء الشركة اجباريًا ويتحقق ذلك عندما يصدر حكم قضائي او قرار إداري بذلك[١].

إذا انقضت الشركة لاي من الاسباب سالفة الذكر تبدأ عملية التصفية للموجودات وقسمتها لكن حتى تبدأ عملية التصفية يستلزم ان تحتفظ الشركة بشخصيتها الاعتبارية بالقدر اللازم لعملية التصفية وإلى ان تنتهي التصفية[٢].

وهو الاتجاه الذي سار عليه المشرع السودان مقررًا احتفاظ الشركة بالشخصية الاعتبارية عند بدء عملية التصفية وحتى نهايتها لكن بالقدر اللازم لعملية التصفية وذلك بدون البدء في عمليات جديدة فقط تكملة الاعمال القديمة[٣] ولعل هذا الاتجاه تسنده قاعدة منطقية تتمثل في ان اجراءات التصفية تستلزم القيام بالعديد من الاعمال باسم الشركة ولا يمكن القيام بها الا اذا تمتعت الشركة بالشخصية الاعتبارية فمصلحة الشركاء ومصلحة الغير تقتضي ذلك[٤].

المبحث الثالث : الأثار المترتبة علي الشخصية الإعتبارية للشركة :

المطلب الأول : حقوق الشخصية الاعتبارية:

يقرر القانون السوداني ان الشخص الاعتباري يتمتع بجميع الحقوق التي يتمتع بها الشخص الطبيعي إلا ما كان منها ملازمًا لصفة الانسان الطبيعية وذلك في الحدود التي يقررها القانون[٥]

١ م (٢٥٣/ ١ – أ/ ب ج/ د/ هـ) قانون المعاملات المدنية ١٩٨٤، م ١٤٨ من قانون الشركات ١٩٢٥، م ١٦٤ قانون الشركات ٢٠١٥.

٢ م ٥٣٣ مدني مصري : " تنتهي عند حل الشركة سلطة المديرين اما شخصية الشركة فتبقى بالقدر اللازم للتصفية وإلى ان تنتهي التصفية "، م ٣٥٦ مدني مصري، م ١٣٨ من القانون رقم ١٥٩ لسنة ١٩٨١ : " تحتفظ الشركة خلال مدة التصفية بالشخصية الاعتبارية بالقدر اللازم لاعمال التصفية " .

٣ م ٢٥٧/ ٢ قانون المعاملات المدنية ١٩٨٤:" الابقاء على الشخصية الاعتبارية للشركة بالقدر اللازم لتصفية الشركة " .

٤ الوسيط في القانون التجاري المصري/ محسن شفيق / مكتبة النهضة العربية / الطبعة الثالثة ١٩٥٩/ ص ١٤٧.

٥ م ٢٤/ ١ قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤، م ٥٣/ ١ مدني مصري.

وتتمثل هذه الحقوق في الذمة المالية المستقلة للشركة عن ذمة الشركاء المالية كما ان للشركة اهلية قانونية محصورة في اطار الغرض الذي انشأت من اجله كما ان للشركة ممثلين ينوبون عنها في القيام باعمالها كما ان لها اسمًا يميزها عن غيرها من الشركات ولها جنسية تحدد انتمائها لدولة معنية كما ان للشركة موطن تترتب عليه الكثير من الاحكام القانونية . وقد اتى التعبير عن هذه الحقوق بصيغ مختلفة فمنهم من اطلق عليها النتائج المترتبة على اكتساب الشخصية المعنوية ومنهم من اطلق عليها آثار الشخصية الاعتبارية[١].

المطلب الثاني: الذمة المالية للشخصية الإعتبارية :

الذمة المالية هي مجموع ما للشخص من حقوق وما عليه من التزامات[٢] اما استقلال ذمة الشركة المالية وهو ما نحن بصددها يعني ان تتمتع الشركة كشخص معنوي بذمة مالية مستقلة بأصولها وخصومها عن ذمم الشركاء المكونين لها اي انها تنصب فيها حقوق الشركة والتزاماتها المترتبة على نشاطها وتتكون ذمة الشركة اولاً من الحصص التي قدمها الشركاء ثم الاموال الاحتياطية التي تكونها الشركة اثناء حياتها ومن الارباح التي تجنيها وتعتبر هذه النتيجة من اهم النتائج المترتبة على اكتساب الشخصية المعنوية، الفصل بين ذمة الشركة وذمم اعضائها حيث لا يكون في الامكان تحقيق الاغراض التي أنشأت الشركة من اجلها ويصبح اعضاء الشركة مجرد ملاك على الشيوع لأموال الشركة ولا تعتبر الاموال ملكًا للشركة [٣].

يترتب على استقلال الذمة المالية للشركة عن ذمم الشركاء المكونين لها عدة نتائج منها إنتقال الحصص المقدمة من الشركاء إلى ملكية الشركة بحيث تصبح الحصة احد عناصر اصول الشركة ولا يكون للشريك إلا نصيب في الارباح اثناء حياة الشركة . وحتي هذا النصيب يعتبر من قبيل الحق الاحتمالي فالشركة قد تحقق الربح كما قد تحقق الخسارة كما ان للشريك ايضًا نصيب في قسمة اموال الشركة بعد تصفيتها وذلك في حالة انحلال الشركة ويعتبر هذا النصيب حق شخصي للشريك والحق الشخصي يكون دائمًا منقولاً حتى ولو كانت الحصة المقدمة من قبل الشريك عقار ففي الحالتين يكون للشريك دين في ذمة الشركة[٤].

١ م ٢٤/ ٢ و ٣ قانون المعاملات المدنية لسنة ١٩٨٤، المادة ٥٣/ ٢ مدني مصري.
٢ سمحية القليوبي، مرجع سابق، ص ١٠٠.
٣ مصطفى كمال طه، مرجع سابق، ص ٣٠٢/ ثروة حبيب، مرجع سابق، ص ٢٧٠.
٤ احمد ابو الروس، مرجع سابق، ص ٣٩.

كما يترتب علي الشخصية الإعتبارية تخصيص ذمة الشركة للوفاء بديونها وتكون ضمانًا عامًا لدائني الشركة وحدهم دون دائني الشركاء الشخصيين . كما ان ذمة الشريك تكون ضمانًا عامًا لدائني الشريك الشخصيين دون دائني الشركة فلدائن الشركة التنفيذ على ذمتها المالية بينما لدائن الشريك التنفيذ على ذمة الشريك المالية دون التنفيذ على الحصص التي قدمها للشركة[١].

ومن الآثار المترتبة علي الشخصية الإعتبارية أيضًا منع المقاصة بين دين الشركة وديون الشركاء ولا العكس فلا يجوز لمدين الشركة ان يدفع مطالبة الشركة له بتمسكه بالمقاصة اذا اصبح دائنًا لأحد الشركاء كما لا يجوز لمدين احد الشركاء ان يدفع مطالبتها له متمسكًا بالمقاصة اذا اصبح دائنًا للشركة فالمقاصة لا تحدث الا إذا اتحدت صفتا الدائن والمدين في ذمة واحدة وهنا ذمة الشركة مستقلة عن ذمة الشريك[٢].

من الآثار المترتبة على الشخصية الإعتبارية ان افلاس الشركة كقاعدة عامة لا يؤدي إلى افلاس الشركاء كما ان افلاس الشريك لا يؤدي إلى افلاس الشركة لاستقلال ذمة الشركة عن ذمم الشركاء. ولكن هنالك قاعدة استثنائية خاصة بشركات الاشخاص حيث ان الافلاس يؤدي لزوال الاعتبار الشخصي الذي تقوم عليه مثل هذه الشركات مثال شركة التضامن فإفلاس هذا النوع من الشركات يؤدي إلى إفلاس الشركاء[٣].

الشركة كشحصية إعتبارية لها اسم يميزها عن الشركات الاخرى ويختلف بإختلاف شكل الشركة٤ فالشركة المحدودة المسئولية مثلاً يتكون اسمها من اسم خاص او يمكن ان يكون مشتقًا من غرضها كما يمكن ان يتضمن اسمها اسم شريك او أكثر بشرط أن لا يتكرر أسم الشركة[٥].

---

١ م ٩٠٩ قانون الموجبات والعقود اللبناني، م ٤٩٣ مدني سوري، م ٥٢٥ مدني مصري، م ٦٧٢ مدني اماراتي، م ٦٠٠ مدني اردني.

٢ الياس ناصيف، مرجع سابق، ص ٢٨٨.

٣ اماني احمد عبد الله، مرجع سابق، ص ١٤٩.

٤ صلاح امين ابو طالب، مرجع سابق، ص ٥٧.

٥ م (٣ – ٤) قانون الشركات المصري رقم ١٥٩ لسنة ١٩٨١.

ان اسم الشركة يعد من اهم اركان عقد التأسيس ذلك لأن الشركة تكتسب شخصيتها الاعتباريه وتسمى بهذا الاسم الذي يعبر عن هذه الشخصية فالشركة تخاطب بهذا الاسم ولا تخاطب باسم مساهميها او مديرها [١].

ومن الآثار المهمة المترتبة علي إكتساب الشخصية الإعتبارية أن للشركة بإعتبارها شخص معنوي أن تختار من ينوب عنها في التعبير عن إرادتها فالشركة كشخص إعتباري لا تستطيع أن تتعامل بذاتها لذلك فإن الشركة لا تمارس أهليتها القانونية إلا من قبل شخص طبيعي وهو بصفة عامة المدير الذي يقوم بالتصرفات الداخلة في غرض الشركة فيبرم العقود ويوقع نيابه عن الشركة ويدفع نصيب كل شريك في الأرباح ويمثل أمام القضاء كما أن له الحق في رفع الدعاوي[٢].

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أحمده حمد الشاكرين بأن وفقني في هذه الدراسة والتي بعنوان الشخصية الإعتبارية للشركة والآثار المترتبة عليها والتي في ختامها توصلت إلي مجموعة من النتائج والتوصيات والتي كان من أهمها النتائج والتوصيات التالية:

أولاً: أهم النتائج:

١ - من العناصر الجوهرية لتكوين الشركة إقتسام الأرباح والخسائر الناتجة عن الإستثمار في مشروع إقتصادي ولو تمت الشركة على الربح فقط فهي باطلة.

٢ - إن الدخول في الشركة بنية المشاركة يعد ركنًا من أركان الشركة علي الرغم من عدم النص علي ذلك في القانون.

٣ - عرف الفقه القانوني الشخصية الإعتبارية أو الشخص الإعتباري بأنه من له صلاحية إكتساب الحق والتحمل بالإلتزام سواء كان إنسانًا أو مجموعة من الأشخاص الطبيعيين أو مجموعة من الأموال يصبغ عليها القانون صفة الشخص القانوني.

٤ - يترتب علي الشخصية الإعتبارية تخصيص ذمة الشركة للوفاء بديونها وتكون ضمانًا عامًا لدائني الشركة وحدهم دون دائني الشركاء الشخصيين.

---

١ م (٥ / ١/ أ) قانون الشركات ١٩٢٥، المادة (١٤/ ١ ب) من قانون الشركات ٢٠١٥.

٢ أحمد أبو الروس / مرجع سابق / ص ٤٢ .

٥ – من الآثار المترتبة على الشخصية الإعتبارية منع المقاصة بين دين الشركة وديون الشركاء ولا العكس فلا يجوز لمدين الشركة ان يدفع مطالبة الشركة له بتمسكه بالمقاصة إذا أصبح دائنًا لأحد الشركاء كما لا يجوز لمدين أحد الشركاء ان يدفع مطالبتها له متمسكًا بالمقاصة اذا اصبح دائنًا للشركة.

٦ – ان افلاس الشركة كقاعدة عامة لا يؤدي إلى افلاس الشركاء كما ان افلاس الشريك لا يؤدي إلى افلاس الشركة لاستقلال ذمة الشركة عن ذمم الشركاء.

٧ – هنالك قاعدة استثنائية خاصة بشركات الاشخاص حيث ان الافلاس يؤدي لزوال الاعتبار الشخصي الذي تقوم عليه مثل هذه الشركات مثال شركة التضامن فإفلاس هذا النوع من الشركات يؤدي إلى إفلاس الشركاء.

٨ – إن اسم الشركة يعد من اهم اركان عقد التأسيس ذلك لأن الشركة تكتسب شخصيتها الاعتباريه وتسمى بهذا الاسم الذي يعبر عن هذه الشخصية فالشركة تخاطب بهذا الاسم ولا تخاطب باسم مساهميها أو مديرها.

ثانيًا: أهم التوصيات:

١ – وضع إستراتيجية قانونية قومية ودولية لضبط أعمال الشركة والشخصية الإعتبارية لها مستهدفةً في ذلك النواحي العملية والإجرائية لتسجيل الشركات.

٢ – تعزيز التعاون الدولي لتنشيط أعمال الشركات وفقًا للمعايير والإتفاقيات والأوامر والقوانين الدولية وذلك تحقيقًا لعالمية الشركة وخروجها من المحلة.

٣ – ضرورة قيام مسجل عام الشركات بتشكيل هيئة دائمة مختصة بالرقابة على عمليات وإيداعات الشركات السنوية. بحيث تمنح الصلاحيات الكافية للرقابة على الشركات وإجراءات تسجيلها ومقرها وإيداعاتها السنوية

٤ – وضع ضوابط مشددةلتسجيل الشركات وخاصة رأس مال الشركة الحقيقي والإعلان عن أي مخالفات ترتكبها الشركة.

٥ – تدريب العاملون بالشركات تدريبًا متقدم لمواكبة جميع المستجدات التي طرأت علي تطور الشركات والأعمال التجارية والقائمين عليها ومواكبة ما وصلت إليه التطورات التقنية المساعدة

لإدارة الشركات.

٦ – إيجاد تعاون دولي قوي بين الدول وخاصة الدولة إيجاد قانون موحد للشركات يساعدعلي تطور أعمال الشركات.

٧ – علي الدولة وضع سياسات وخطط وإجراءات وضوابط عملية لتنظيم أعمال الشركات وسلطات الشخصية اإعتبارية للشركة.

٨ – تطبيق القوانين الرادعة على الذين تثبت عليهم مخالفات واضحة لقانون الشركات علي أن تمتد هذه العقوبات إلي مستوي العقوبات الجنائية وذلك زجرًا لكل من تسول له نفسه بتجاوز القوانين المنظم للشركات

قائمة المراجع

أولاً :القرآن الكريم .

ثانيًا: كتب اللغة.

١ – إبن منظور – لسان العرب – ج ٨ – – ط ١ – بيروت – دار صادر للطباعة سنة ٢٠٠٠ .

٢ – المصباح المنير للمقري الفيومي مادة (شرك) – تحقيق عيد العظيم الشناوي – ط٣– دار المعرفة القاهرة– ١٣٩٧هـ ١٩٧٧.

ثالثًا : كتب الفقة :

١ – حاشية الطحاوي علي الدر المختار – ص ٥١١– دار المعرفة بيروت ١٩٧٥م.

٢ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري – الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني – ج ٥ – دار المعرفة – بيروت –

٣– مغني المحتاج إلي معرفة ألفاظ المنهاج – محمد الخطيب الشربيني – دار الفكر بيروت – ج ٢ .

٤ – شرح الكبير مع حاشية الدسوقي – ج٣.

٥ – المغني لإبن قدامة المحنبلي – ج ٥ – تعليق وتخريج محمد رشيد رضا – ط٣ – دار المنار ١٣٦٨هـ .

رابعًا : كتب القانون :

١ – أزهري الحاج شرشاب، إنشاء الشركة وإنقضاؤها وتصفيتها، مكتبة المستقبل ٢٠١٠.

٢ – إبراهيم محمد أحمد دريج، الشركة – الشراكة، الطبعة الرابعة، ٢٠١٢ .

٣ – إبراهيم سيدأحمد، العقود والشركات التجارية، دار الجامعة الجديدة للنشر، الطبعة الأولي، ١٩٩٩ .

٤ – الياس ناصيف، موسوعة الشركات التجارية، الطبعة الثالثة،منشوراتالحلبيالحقوقية، ٢٠٠٨.

٥ – أماني أحمد عبد الله، القانون التجاري المبادئ العامة، ٢٠١٣ ..

٦ – خالد عبد الله عيد، مدخل لدراسة القانون – الجزء الثاني – نظرية الحق، ١٩٨٥.

٧– سميحة القليوبي، إستغلال المحل التجاري، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٧ .

٨ – صلاح أمين أبو طالب، دروس في قانون الشركات التجارية، مكتبة النصر ١٩٩٠.

٩ – عبد المنعم البدراوي، المدخل للعلوم القانونية، دار النهضة العربية، ١٩٦٦.

١٠ – علي جمال الدين عوض، الوجيز في القانون التجاري – الجزء الأول، دار النهضة العربية، ١٩٧٥ .

١١ – فوزي محمد سامي، الشركات التجارية – الأحكام العامة والخاصة، الطبعة الأولي دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩ .

١٢ – محمود سمير الشرقاوي، الشركات التجارية في القانون المصري، دار النهضة العربية ١٩٨٦.

١٣– محمود سمير الشرقاوي، القانون التجاري، دار النهضة العربية، ١٩٨٢.

١٤– مصطفي كمال طه ووائل بندق، أصول القانون التجاري، الطبعة الأولي، دار الفكر الجامعي، القاهرة، ٢٠٠٨ .

١٥ – محمد مصطفي عبد الصادق، الشركات التجارية في التشريعات العربية، دار الفكر والقانون، الطبعة الأولي، ٢٠١٢ .

١٦– محمد فريد العريني، الشركات التجاريه، دار الجامعة الجديدة للنشر، ٢٠٠٩ .

١٧– محمد فريد العريني ومحمد الفقي، الشركات التجارية، منشورات الحلبي الحقوقية، القاهرة، ٢٠١٥ .

١٨- محمود مختار أحمد بريري، قانون المعاملات التجارية السعودي - الجزء الأول معهد الإدارة العامة، ١٩٨١ .

١٩- محمود مختار بريري، الشخصية المعنوية للشركة التجارية، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٨٥.

٢٠- محمد فريدة زواوي، المدخل للعلوم القانونية لنظرية الحق، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ٢٠٠٠ .

٢١- محمد كامل ملش، الشركات، ١٩٥٧ .

٢٢- محمد كامل ملش، موسوعة الشركات، ١٩٨٠ .

٢٣- يوسف زكريا عيسي أرباب، أحكام الشركة القابضة في الفقه الإسلامي والقانون الطبعة الأولي، المكتبة الوطنية، ٢٠١٣ .

الإعلام كأحد مقومات القوة الشاملة للدولة المصرية

بقلم: الباحثة سهام محمد عز الدين صالح جبريل

باحثة دكتوراه بكلية الدراسات الأفريقية العليا – جامعة القاهرة

يمثل الإعلام أحد الأدوات الناعمة لمقومات القوة الشاملة للدولة ويأتى ذلك من خلال تبنى الإستراتيجيات الوطنية والمصالح العليا للدولة ويترجم سياساتها بصفة عامة مرتكزة على العديد من العناصر الهامة مثل الغاية القومية والمصالح والأهداف القومية، وأيضًا العدائيات والتهديدات التي تواجه الدولة، ومن المعلوم أن الاستراتيجيات متنوعة حسب قوى الدولة الشاملة والتي منها القوة الإجتماعية والثقافية والإعلامية وهى موضوع بحثنا هذا،

لذا فإن طرح العدائيات وأعني بها العدو المحدد الذى يريد بالوطن شرًا والذي يتطلب العمل على حشد الجهود لمواجهته وردعه وأيضًا التهديدات وأعني بها العدو الكامن حاليًا والذي لم يرق إلى درجة أن يصبح عدوًا محددًا والذى يتطلب إبقاؤه فى حالته الراهنة وعدم تطوره ليصبح عداوًا يحتاج جهدًا أكبر أو العمل على تقليل درجة عداوته بإيجاد الحلول المناسبة لذلك، وبالتالي توفير جهود الدولة لتوجه إلى العدو المحدد وللبناء وإدارة عناصر القوة الأعلامية للدولة بمهارة بإعتبارها أحد الأدوات الهامة لقوى الدولة، والتى تضاف الى العناصر الرئيسية لمقومات قوى الدولة الشاملة، حيث يتناول هذا المبحث هذه القضايا من خلال المحاور الآتية:

أولا : مفهوم (قوى الدولة الشاملة . القدرة . والقوة)

ثانيا : العناصر الرئيسية لمقومات قوى الدولة الشاملة.

ثالثا : أبعاد الأمن القومي

رابعا : الإعـلام ضمن عوامل قيـاس قوى الدولة الشاملة

: الإعلام الإستراتيجى وإرتباطة بقوى الدولة الشاملة وقضايا الأمن القومى

أولاً: مفهوم (قوى الدولة الشاملة القدرة القوة)

تعرف القوى الشاملة للدولة بأنها قدرة الدولة على استخدام كل مواردها المحسوسة وغير المحسوسة والمنظورة بطريقة تؤثر على سلوك الدول الأخرى، أو هى القدرة على صنع أو صياغة السياسة القومية، وأهم عناصر قوة الدولة الشاملة

أ – القوة العسكرية .

ب – القوى السياسية

جـ – القوى الداخلية: وتحتوي على القوة الاقتصادية القوة الاجتماعية القوة الثقافية القوة المعنوية القوة السكانية او الكتلة السكانية .

ثانيا : العناصر الرئيسية لقوى الدولة الشاملة الملموسة وغير الملموسة :

عناصر قوى الدولة الشاملة من وجهة نظر الشرق تشمل على خمسة عناصر رئيسية هي:

(القوة العسكرية – القوة السياسية – القوة الاجتماعية – القوة الاقتصادية – القوة المعنوية)، ونتيجة الصراعات العالمية والإقليمية والتطور العلمي العالمي ظهرت تغيرات جديدة مؤثرة على قوى الدولة الشاملة سواء الغربية أو الشرقية كما ظهرت قوى جديدة أصبح لها تأثير في الاتزان العالمي والإقليمي لتكون قوى الدولة الشاملة كآلاتي :ـ

١ – عوامل مادية:

وهى خمسة عناصر (القوة الاقتصادية – الكتلة الحيوية – القوة السياسية والدبلوماسية – القوة العسكرية – القوة التكنولوجية).

٢– عوامل معنوية :

وهى أربعة عناصر (الأهداف القومية، الأهداف الاستراتيجية، الدعاية والإعلام، الروح المعنوية)[١].

(١) محمد أمين، " الإعلام وقوى الدولة الشاملة "، مرجع سبق ذكره.

أثر كل قدرة من قدرات القوى الشاملة للدولة على باقى القدرات ؟

ناقش موير القوة القومية للدولة (State Power) من خلال دراسة شاملة للجغرافية السياسية في كتابه الذى يتناول هذا الموضوع، ولقد قسم ريتشارد موير القوة القومية للدولة في ستة عناصر رئيسية هى قوة البناء والتكوين، والقوة الاجتماعية، والقوة الاقتصادية، والقوة الاجتماعية والقوة التنظيمية للدولة، والقوة العسكرية، وقوة التأثير الخارجي للدولة من منظور:

(أ) قوة البناء والتكوين :

وهى تلك القوة التي تنشأ عن حجم الدولة وشكل الدولة وموقعها ومعالمها الجغرافية .

(ب) القوة الاجتماعية :

وهى لا تعني فقط القوة العددية للشعب في الدولة ولكنها تعني بالإضافة إلى ذلك القياسات

الاجتماعية الأخرى مثل مهارات القوة البشرية الحالة الصحية التركيب العمري وبعض الصفات الأخرى المؤثرة مثل الروح المعنوية والروح القومية والولاء.

(جـ) القوة الاقتصادية :

وتضم موارد الدولة الاقتصادية وحجم تجارتها الداخلية والخارجية ومدى تطورها التكنولوجي، وقدرة الدولة على الحياة دون الاعتماد على الأسواق الخارجية أو مدى كفاية الدولة الذاتية.

(د) القوة التنظيمية للدولة :

وتعني القوة التنظيمية للدولة أسلوب السلطة التنفيذية (الحكومة) في إدارة الدولة ومدى العلاقة بين مستوى الإدارة العليا ومستويات الإدارة الدنيا وعامة الشعب وأيضًا مدى استقرار الدولة وعلاقات الدولة الخارجية مع الدولة المجاورة العالمية المؤثرة في الأقاليم أو الدولة .

(هـ) القوة العسكرية :

وقد أوضح أن القوة العسكرية تعني حجم ونوعية التسليح والقوة البشرية تحت السلاح وأسلوب استخدام القوة العسكرية وأخيرًا استراتيجية الدولة وتطور تكتيكات استخدام قواتها المسلحة[1].

١ – أكاديمية ناصر العسكرية، "الاستراتيجية القومية " مرجع سبق كره

(و) قوة التأثير الخارجي للدولة :

يعني قوة التأثير الخارجي للدولة مدى علاقاتها الدولية وتأثيرها في المحافل والمجتمعات والمنظمات الدولية وأيضًا تأثيرها في الأحلاف والدولة المتحالفة معها ومدى مكانتها وهيبتها الدولية.

٣- القدرة الإعلامية والمعلومات :

لقد برز دور القوة الإعلامية والمعلومات بعد ثورة الاتصالات التي يعيشها العالم في هذه الأيام ومع تقنيات التقدم التكنلوجى في مجالات الإتصالات، أصبحت القدرة الإعلامية تضاف مقومات الدولة وقدراتها [١].

(أ) ان تطور تكنولوجيا الاعلام والاتصال كونت عالما جديدا تتسع فيه دائرة نقل المعلومات بين مختلف بلدان العالم وبدأت تتصل بالشعوب مباشرة عن طريق اطباق الاستقبال الخارجية، والداخلية .

(ب) ويعتبر عصر المعلومات اليوم من حيث غزارتها ومناسبة توقيتها وحُسن تحليلها ضرورة حتمية للتحرك السليم بل هي الجوهر الحقيقي لاتخاذ القرار السليم .

(جـ) ان حرب المعلومات التي اشتعلت مع حلول السلام ادت الي إطلاق اسرائيل قمرا صناعيا (أفق ٣) ليس لحاجتها للمعلومات العسكرية فقط بل انها تحتاج علي معلومات تتعلق بالاسواق - البنية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية للمجتمعات الجديدة نظرا للمنافسة الإقتصادية فى السوق الشرق اوسطي .

(د)إن مجرد الحصول علي المعلومة ليس هو المشكلة بل هو إنتقاء المفيد منها ويبرز هنا دور الحواسب الالية وهي منظومة تجمع بين (الحواسب الالية العملاقة والاقمار الصناعية سواء للاتصالات او جمع المعلومات - مراكز المعلومات - مراكز الدراسات - اجهزة التصنت وجمع المعلومات الالكترونية) .

(ه) نخلص الي مدي أهمية القدرة الإعلامية والمعلومات وتأثيرها المباشر علي المستوي المحلي الاقليمي علي القدرات الشاملة للدولة ولذا هناك رأيان[٢]:

(١) Al Moqatel، "القوى الشاملة للدولة وحساباتها"، شبكةالمعلومات الدولية:
/http://www.moqatel.com

(٢) أكاديمية ناصر العسكرية " القوي الشاملة للدولة وأسلوب حسابها"، محاضرات كلية الدفاع الوطنى، (أكاديمية ناصر العسكرية، دورة ٤٠ دفاع وطنى، ٢٠١١م).

الأول: اعتبار القدرة الاعلامية والمعلومات عنصر رئيس من عناصر القوة الشاملة للدولة غير المدركة.

الثاني: تقسيم تلك القدرة الي ثلاث اقسام بضم كل قسم منها الي احد القدرات الشاملة للدولة

- الاعلام الداخلي : ويتم ضمن القدرة السياسة الداخلية كأحد مفرداتها .
- الاعلام الخارجي : ويتم ضمن القدرة السياسة الخارجية كأحد مفرداتها .
- المعلومات : ويتم ضمها الي كل القدرات الاخري للدولة كأحد مفرداتها .

ثالثا : الإعلام كأحد عناصر قوى الدولة الشاملة[١] :

إذا كان مفهوم القوه الشاملة للدولة هو عبارة عن محصلة المقومات المادية والمعنوية وما يوفره التقدم التقنى للدولة والتى يتم توظيفها فى إطار الاستراتيجية الشاملة له لتحقيق أهدافها أو هو قدرة الدولة على استخدام كل مواردها الممكنة، بطريقة تؤثر على سلوك الدول الأخرى أو هو القدرة على صنع أو صياغة السياسة القومية فإن الإعلام المرئى والمسموع والمقروء يعد عنصرًا حيويًا من المقومات المعنوية أو غير المحسوسة لقوى الدولة الشاملة.

إن القدرة الإعلامية والمعلومات ماهى إلا وسائل تهدف إلى التأثير المعنوى والثقافى في الأطراف الأخرى من خلال الإعلام المرئى والمسموع والمقروء الذى يعمل في إطار إستراتيجية إعلامية متكاملة وفى تنسيق مع باقى عناصر قوى الدولة الشاملة[٢].

وقد برز دور القدرة الإعلامية والمعلوماتية بعد ثورة الاتصالات التى يعيشها العالم فى الوقت الحاضر بعد أن تخطت الحواجز والحدود لتوجه إلى الشعوب مباشره دون وسيط وما لذلك من آثار كبيرة على ثقافات هذه الشعوب ومفاهيمها السياسية والاجتماعية وقيم مجتمعاتها بل معتقداتهم الدينية كذلك، فالقوة الإعلامية ما هى إلا وسائل تهدف إلى التأثير المعنوى والثقافى فى الأطراف الأخرى من خلال الإعلام الذى يعمل فى إطار استراتيجية إعلامية متكاملة وفى تنسيق

١ - محمدأمين، " الإعلام وقوى الدولة الشاملة "، مرجع سبق ذكره

٢ - Al Moqatel، "القوى الشاملة للدولة وحساباتها"، شبكة المعلومات الدولية:
/http://www.moqatel.com

مع باقى عناصر قوى الدولة الشاملة حتى لقد أصبح الإعلام أداة للتنمية، وهو أداة لتحصين الهوية الوطنية، وهو القادر على نشر توجهات الدولة والدعوة للإيمان بهذه التوجهات، وهو أيضًا ما يستخدمه الأعداء فى تثبيط الهمم، وبه تستطيع الدولة أن تثير الهمم، بالإضافة إلى ذلك يمكن استخدام وسائل الإعلام فى تنميه وإذكاء الروح الوطنية وقت الحاجة للدفاع عن الوطن.

ومع أهمية الإعلام وتأثيره المباشر وغير المباشر داخليًا وخارجيًا مع انتشار تكنولوجيا الإعلام تباينت الآراء حول ما إذا كان الإعلام يعد فى حد ذاته عنصرًا من عناصر قوى الدولة الشاملة غير المدركة أم يمكن تقسيمه حسب توجهه إلى أحد القدرات الشاملة للدولة ذاتها.

قوى الدولة الشاملة وتفاعل الإعلام مع كل منها :

وهو ما يقتضى بداية استعراض عناصر قوى الدولة الشاملة بإيجاز مع توضيح مدى ارتباط الإعلام بكل من هذه القوى ومدى تفاعلها معها.

الكتلة الحيوية/ الكتلة الحرجة:

يرتبط الإعلام بالكتلة الحيوية بدرجه كبيرة بمكونيها الأرض والسكان:

أ – حيث يقوم الإعلام بدور مهم فى زيادة الارتباط بين أجزاء الدولة من خلال ارتباطها بأجهزة إعلامية ومعلوماتية واحدة.

ب– وتوفر وسائل الإعلام الجماهيرية فى العصر الراهن الزاد الثقافى وتشكل الخبرة الثقافية للملايين من البشر وهى لا تقوم بدور توصيل ونشر الثقافة فحسب بل تؤثر بشكل أساسى فى انتقاء محتواها.

جـ– مع تزايد دور الإعلام فى التنشئة الثقافية يجب على النظام الإعلامى والمعلوماتى أن يساعد على حفظ وصيانة التقاليد والثقافات وتأكيد الجوانب الإيجابية فى التراث الثقافى للشعوب وبذلك يساهم فى بعث وتقوية خصائص الشخصية القومية، كما يجب أن يعمل على تقوية التفاهم الدولى من خلال تبادل الأنباء المتعلقة بالإنتاج الثقافى فى كافة الدول[1].

١ – أكاديمية ناصر العسكرية " القوي الشاملة للدولة وأسلوب حسابها "،مرجع سبق ذكره

القدرة الاقتصادية

هناك علاقة وطيدة بين الإعلام والاقتصاد، وهو يؤدى إلى دعم القدرة الاقتصادية للدولة من خلال الترويج الإعلامى للأنشطة الاقتصادية والسياحية وباقى مجالات التنمية، وذلك من خلال:

أ – تقديم جميع المعلومات الصحيحة والكاملة والكافية التى تكفل أن تصبح عملية مشاركة المواطنين فى اتخاذ القرارات التنموية عمليه ممكنة.

ب– تعبئة المواطنين للمشاركة فى التنمية وفى اختيار خطط التنمية وتحديدها حتى يشعرون بأنها ليست مفروضة عليهم، ومن ثم تصبح مشاركتهم فى تنفيذها إيجابية مما يحقق النتائج المرجوة.

جـ– الدعوة إلى الاعتماد الحقيقى والجاد على النفس وعلى الموارد الوطنية المتاحة والاتجاه إلى التقليل من الاعتماد على المعونات الخارجية، والسعى من أجل المحافظة على الموارد الذاتية وتطويرها.

د – المساهمة فى النقد الموضوعى للأساليب التى تطبق بها خطط التنمية للإسهام فى تصحيح المسار حتى تحقق هذه الخطط أفضل النتائج.

هـ– العمل على المدى الطويل من أجل التأثير بشكل إيجابى على ما يعرضه الناس، وما يمكن أن يؤدوه وعلى اتجاهاتهم نحو التنمية الوطنية، وذلك وفقًا لمتطلبات كل مجتمع والتحديات التى تواجهه.

القدرة العسكرية

يقوم الإعلام بدور بارز فى التأثير على القدرة العسكرية فى إعداد الدولة للدفاع من خلال الآتى:

أ– غرس عقيدة التضحية والبذل والعطاء والتهيئة النفسية والمعنوية، والإسهام فى إعداد الشعب للمعركة من خلال التعريف بأهداف الحرب، عرض المواقف السياسية من خلال شرح أبعاد الرأى العام الداخلى والخارجى ومواقف القوى المختلفة من الصراع وتوعية الشعب بأبعاد ومقتضيات الأمن القومى والدفاع المدنى[1].

١ – محمدأمين، " الإعلام وقوى الدولة الشاملة "، مرجع سبق ذكره

ب - التعريف بالموقف العسكرى من خلال تأكيد قدرة القوات المسلحة من حيث التسليح والتدريب والكفاءة والاستعداد الدائم لتنفيذ مهامها فى وقت السلم وفترات التوتر والأزمات باعتبار أن الصراع قد يندلع فجأة، وذلك حتى تتولد الثقة فى نفوس الشعب بقواتهم المسلحة.

جـ- التعريف بأهمية إعداد الدولة لاحتمالات الصراع المسلح إلى جانب إعداد القوات المسلحة، وهو ما يعنى قدرة الدولة على العمل تحت ظروف الحرب دون توقف عمليتى الإنتاج والتنمية، وأن لهذا الإعداد مطالبة سواء فيما يتعلق بتنمية القوى البشرية أو التنمية الاقتصادية أو من خلال تماسك أفراد الشعب.

د- يتم هذا الإجراء من خلال إعلام الدولة- الإعلام العسكرى المتخصص الذى يعتبر فرعا رئيسيا من إعلام الدولة، هذا إلى جانب أنه مع التوترات يتحول- عادة- إلى إعلام عسكرى١.

القدرة السياسية (السياسة الخارجية)

كما يتفاعل الإعلام مع القدرة السياسية الخارجية، ويمكن القول بأنه إذا كان الإعلام الدولى وسيلة من وسائل السياسة الخارجية، فإنه مع غيره من الوسائل يعمل على تحقيق أهداف هذه السياسة والتى تتمثل فى تحقيق المصلحة الوطنية فى المقام الأول[٢].

ويلعب الإعلام أيضًا دورًا كبيرًا فى السياسة الخارجية خاصة بعد أن غدت الحرب النفسية بعدًا سياسيًا من أبعاد الصراع الدولى، كما توفر القدرة الإعلامية القدرة على نقل توجهات الدولة ووجهة نظرها خارج حدودها للتأثير فى الآخرين على المستويين الإقليمى والدولى بما يدعم القدرة الدبلوماسية للدولة وبما يزيد من وزنها واحترامها.

السياسة الداخلية :

أما من ناحية تأثير الإعلام على القدرة السياسية الخارجية يعمل الإعلام على تنظيم العلاقة بين البشر داخل حدود الدولة بواسطة نظامها السياسى بهدف الوصول إلى أقصى عائد من الإمكانيات والموارد المتاحة، كما يهدف إلى معاونة هذا النظام فى التعرف على مدى تفاعله مع المجتمع ومشاركة هذا المجتمع فى القرار السياسى.

١ - أكاديمية ناصر العسكرية "الاستراتيجيةالقومية " مرجع سبق ذكره
٢ - أكاديمية ناصر العسكرية " القوي الشاملة للدولة وأسلوب حسابها "،مرجع سبق ذكره

كما يعمل الإعلام والمعلومات على دعم القيادة السياسية مما يزيد من قدرتها على التخطيط واتخاذ القرارات السليمة الموقوتة سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية (الدبلوماسية).

القدرة المعنوية :

تتفاعل القدرة الإعلامية مع القدرة المعنوية على المستوى الداخلى حيث تلعب دورًا كبيرًا فى الحياة الثقافية والقيم الأخلاقية وتنمية الوعى والإدراك عن القضايا والمشكلات المحلية والدولية وتوجهات السياسة الداخلية حيالها، مما يؤدى إلى رفع الروح المعنوية ودفع حركة المجتمع إلى الأمام فى شتى المجالات الاقتصادية والعسكرية... كما أنها تعمل على توعية المجتمع بالنسبة للإعلام الخارجى الموجه من الخارج بما يحافظ على قيم المجتمع ومن ثم تراثه وأمنه القومى.

وهكذا نخلص إلى مدى أهمية القدرة الإعلامية وتأثيرها المباشر على المستوى المحلى أوالمستوى الإقليمى، سواء كنا متلقين أو مرسلين وتأثير كل ذلك على قدرات الدولة الشاملة بشكل أو بآخر

ولذا هناك رأيان:

أ – الأول: اعتبار القدرة الإعلامية والمعلومات عنصرا أساسيا من عناصر القوة الشاملة للدولة غير المدركة.

ب– الثانى: تقسيم تلك القدرة إلى ثلاثة أقسام يضم كل قسم منها إلى إحدى القدرات الشاملة للدولة:

(١) الإعلام الداخلى: ويتم ضمه إلى قدرة السياسة الداخلية كأحد مفرداتها.

(٢) الإعلام الخارجى: ويتم ضمه إلى قدرة السياسة الخارجية كأحد مفرداتها.

(٣) المعلومات: ويتم ضمها إلى كل القدرات الأخرى للدولة كأحد مفرداتها[١].

الإعـلام ضمن عوامل قيـاس قوى الدولة الشاملة (كـلاين – أحمـد فخـر)[٢]:

أ –يلعب الإعـلام دورًا قياديًا في السلم والحرب بالنسبة لتوجيـه الشعوب ودعم السياسـات التخصصيـة المختلفة وباستثمـار التكنولوجيا في توظيف الإعـلام الحضاري في كل مراحل

١ – أكاديمية ناصر العسكرية " القوي الشاملة للدولة وأسلوب حسابها "، محاضرات كلية الدفاع الوطنى،٢٠١٢م

٢ – عادل مسعـود، " الحـرب النفسيـة "، كليةالحرب العليا، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٣ .

الدعاية والعمليات النفسية، وخدمة رفع الروح المعنوية لاستمرار القدرة علي العطاء اقتصاديًا وسياسيا وأمنيا في الجبهات الداخلية وعلي صعيد الساحة الدولية .

ب -قدرة ونفوذ الدولة عالميًا وإقليميًا تعني قدرة الجهاز السياسي والإعلامي لها علي إقناع الرأي العام العالمي / الإقليمي بشرعية وغاية الدولة ومصالحها القومية .

جـ -لقد ربطت وسائل الإتصال الجماهيري جميع أجزاء العالم ربطًا عضويًا ويوميًا بل لحظيًا، فأكدت حرب الخليج الأخيرة الدور الهام والحاسم للإعلام، بل أحد أهم أعمدتها وعناصرها وأداة من أخطر أدواتها عند استخدامه للتمويه والتضليل وللابتزاز والخداع عند استخدامه في مجال العمليات النفسية الإيجابية والسلبية وعلي المستوي العسكري والمدني علي حد سواء .

د -الإعلام له تأثير في قضايا التنمية بما فيها تنمية وسائل الإعلام ذاتها، وقد أدي التطور التكنولوجي في وسائل الإعلام الإلكترونية والصحافة المكتوبة إلى ما يمكن القول بأن هذه الوسائل يمنها أن تخلق وعيًا مؤثرًا وفعالاً بالنسبة لمشكلات الوطن السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمل علي حلها وتقوية بنيتها لتعظيم قدرة الدولة الشاملة.

ومن خلال إستجلاء عناصر وعوامل قياس الدولة الشاملة عند كلاين - أحمد فخر، نجد أن تلك العناصر كمية كانت تقاس، او حسية تقيم، فإنها تتأثر بالروح المعنوية التي تعظم العامل العسكري في حسابات القوى الشاملة وتكون الدعامة الرئيسية في تكوين الإرادة القومية والهدف الاستراتيجي للدولة، أما الحرب النفسية وإن كانت تأخذ شكل العمليات النفسية في شموليتها علي المستوي القومي والاستراتيجي والتي تعمل في التأثير لتغيير انفعالات وسلوك جماعات الدولة الخصم (اقتصاديا - سياسيا - عسكريًا) لتقلل من حجم قوتها الشاملة وتعظم من قدرة الدولة المخططة في المقابل، هذا بجانب تكنولوجيا العصر في الإعلام ووسائله وقدرة الجهاز السياسي والإعلامي في الدولة لإقناع الرأي العام العالمي والإقليمي بشرعية وغاية الدولة وأهدافها ومصحتها القومية، بالرجوع لأهمية الدعاية في المجتمع المعاصر لتأكدنا بأهمية الإعلام والدعاية في مضاعفتها لقوى الدولة الشاملة[1] .

١ - مجلة النيل، " إعلام الغد وقضايا الوطن "،الهيئة العامة للاستعلامات، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٧

وبذلك تكون الـروح المعنوية والعمليـات النفسية والإعلام بمثابـة المثقال الأرجح فـي تعظيـم قوة الدولـة وعلو شأنها بين الدول المحيطـة مـن ناحيـة وتأتي الآيـة الكريمـة لزيادة البيـان حـيث يقـول الله « وأعدوا لهـم ما استطعـتم من قـوة ومـن رباط الخيـل « وهذه القوة تحمـل الكثير في مضمونهـا حتى نرهـب عـدو الله وعدونـا من حولنـا[1].

الإعلام الإستراتيجى وإرتباطة بقوى الدولة الشاملة وقضايا الأمن القومى[2]:

كما أسلفنا ومن خلال المفهوم البسيط للإعلام الذى يقوم على قواعده الأساسية من : مرسل، وسية، رسالة، مستقبل، هدف، ووفق هذا المنظور فإن هناك هدفا يتم السعي إلى تحقيقه عبر توجيه رسالة أو رسائل من المرسل إلى المستقبل بإستخدام وسائل معينة، فإذا كان المفهوم أعلاه يقوم في ظل ظروف بيئية بسيطة غالبا ماتكون محلية، فإن المفهوم الإستراتيجى للإتصال الإعلامى يلبى حاجة البيئة الدولية المعقدة ويخرج بالتالى من العباءة المحلية المحدودة ذات الأهداف المحلية البسيطة إلى البيئة العالمية ذات الأهداف المعقدة، وهذا يعنى أن المفهوم الإستراتيجى للإتصال الإعلامى يقوم على :

-مرسل ذو قدرات إستراتيجية وتفكير إستراتيجى ينطلق من منظور عالمى وليس محلى .

-وسيلة تتناسب مع البيئة الدولية من حيث مواصفات الإرسال ومن حيث نطاق الإرسال ومن حيث نطاق الإرسال الذى يجب أن يكون عالميا .

-رسالة تراعى التباين في البيئة الدولية بما في ذلك مستوى التقنيات والتطور الحضارى والقوانين والنظم، بعد أن كانت في المفهوم البسيط تتعامل مع بيئة بسيطة .

-مستقبل عالمى متباين من حيث الأديان والثقافات والعادات والتقاليد والأعراف والسلوك الإجتماعى واللغات واللهجات ...الخ، بعد أن كان الإرسال موجها إلى مستقبلين موحدين إلى حد كبير من حيث التركيبة الاجتماعية والثقافية والدينية واللغات المستخدمة وما إلى ذلك.

---

١ - عادل مسعـود، " الحـرب النفسيـة "، مرجع سبق ذكره، ص٤

٢ - أكاديمية ناصر العسكرية، " الندوة الإعلامية الإستراتيجية "، (القاهرة : أكاديمية ناصر العسكرية، ٢٠١٢م)

مفهوم التخطيط الإستراتيجى للإعلام :

يقوم مفهوم التخطيط الإستراتيجى على تحقيق السيطرة الإعلامية وتوفير السند المطلوب لتحقيق المصالح الوطنية الإستراتيجية بما يشمله ذلك من القدرة على إحداث تأثير أساسى في الجمهور العالمى والقدرة على بلورة رأى عام عالمى، وذلك عبر بلورة رأى عام عالمى وذلك عبر بلورة أهداف إستراتيجية يتم من خلالها تحقيق بناء فكرى أساسى أو إحداث تغييرات فكرية أساسية، وذلك من خلال إستيفاء العناصر الأساسية الخمسة : «تحديد المداخل الإعلامية المناسبة والتراكمات الإعلامية المعلوماتية المنظمة، الإرسال الإستراتيجى الذى يصل للجمهور المستهدف، بلغته، وبالجودة العالمية «، وذلك بغرض مواجهة التحدبات على البيئة المحلية والإقليمية والعالمية، ويتضمن تحقيق القدرات التنافسية الإعلامية العالمية وإمتلاك القوة الإستراتيجية الإعلامية[1].

الأهداف الأساسية للإعلام الإستراتيجى :

-إمتلاك القوة الإستراتيجة الإعلامية .

-تحقيق السيطرة الإعلامية .

-توفير السند المطلوب لتحقيق المصالح الوطنية الإستراتيجية .

-إحداث تأثير أساسى في الجمهور العالمى .

-بلورة رأى عام عالمى .

-تحقيق القدرات التنافسية الإعلامية العالمية .

الإنطلاق على خلفية الإستراتيجية القومية :

من الحقائق الجديرة بالملاحظة في هذا المفهوم هو إنطلاق الإعلام الإستراتيجى على خلفية الإستراتيجية القومية، وهذا يعنى أهمية إدراك :

-طبيعة المصالح الإستراتيجية الوطنية .

-نقاط الضعف الوطنية .

-محاور التغيير الإستراتيجى وطبيعته .

١ - أكاديميةناصرالعسكرية، " الندوةالإعلاميةالإستراتيجية "، مرجع سبق ذكره

وهذا يعنى وضوح الرؤية الوطنية «المصالح الوطنية الإستراتيجية، المهددات ونقاط الضعف، القضايا الإستراتيجية «، وينعكس ذلك في مستوى الأداء والسلوك الإعلامى .

خارطة المسار الإستراتيجى :

تعتبر خارطة المسار الإستراتيجى من الوسائل المهمة التي يمكن من خلالها تحقيق التناسق والتكامل والترابط بين أنشطة الدولة وكذا السيطرة على الإنفاق الحكومى بما يضمن عدم ممارسة نشاط غير مطلوب أو متناقض وكذا عدم صرف أي مبالغ في أنشطة غير مطلوبة،

حيث أن خارطة المسار الإستراتيجى تحدد المصالح الوطنية الإستراتيجية كما تحدد كافة نقاط الضعف والمهددات التي تعترض تحقيق المصالح الوطنية، وهذا يعنى وضوح المصالح وكذا وضوح القضايا الإستراتيجية، وعلى هذه الخلفية ينطلق التخطيط الإستراتيجى للإعلام، حيث يصوب أهداف إستراتيجية مباشرة نحو تلك القضايا الإستراتيجية بعضها مباشر مثل تحقيق رأى عام عالمى تجاه موضوعات معينة وبعضها يتعلق بالتغيير الإستراتيجى مثل : تغيير السلوك الإجتماعى أو السياسى السلبى، وبعضها يصوب نحو نقاط الضعف أو المهددات التي ترد بخارطة المسار الإستراتيجى .

لذا تأتى إستراتيجية الإعلام عقب الإنتهاء من كافة عمليات التخطيط الإستراتيجى القومى عدا التعليم حتى يتم إعداد إستراتيجية الإعلام على خلفية المصاح الوطنية، وهذا الوضع يعنى عدم ممارسة نشاط غير مطلوب[1].

العناصر الإستراتيجية الخمسة للإعلام الإستراتيجى :

- تحديد المداخل الإعلامية المناسبة .
- التراكمات المعلوماتية المنظمة .
-الإرسال الإستراتيجى الذى يصل للجمهور المستهدف .
- اللغة المناسبة .
-الجودة العالمية[2].

١- أكاديمية ناصر العسكرية، " الندوة الإعلامية الإستراتيجية "،مرجع سبق ذكره
٢- كلية الدفاع الوطنى، " الإعلام الإستراتيجي "، (القاهرة : أكاديمية ناصر العسكرية، ٢٠١٢م)

تحديد المدخل الإعلامى :

ويعنى إختيار المدخل الإعلامى المناسب وكثيرا ماتشترك الوسيلتان (لتراكم المعلوماتى والمدخل الإعلامى)، ويتم ذلك من خلال تحليل الجمهور في البيئة المستهدفة، وهو تحليل يتضمن الجوانب السياسية والإقتصادية والإجتماعية ويتعمق لدرجة كبيرة وصولا للإبعاد النفسية والسلوكية والإجتماعية والروحية، التي يتم من خلالها تحديد نقاط الضعف الأساسية للجمهور المعين أو محاور الإهتمام الرئيسية له .فعلى سبيل المثال : مجرد الإعلان عن وصول اللحوم من دولة ما إلى السوق المعينة لدولة ما، والتعريف بأسعارها وأماكن بيعها لايكفى إذا كان ذلك الأمر يتعلق بهدف إستراتيجى إقتصادى يستهدف الحصول على حصة إستراتيجية من اللحوم في تلك الدولة وما قد يتضمنه ذلك من صراع دولى أو محلى للمصالح، إلا أن دراسة تحليل البيئة قد تنطلق من خلال مداخل إعلامية محددة منها، فنجد أن ارتفاع مستوى الوعى الصحى في تلك الدولة تجاه لحوم الحيوانات التي تتغذى بعلف صناعى، وأثاره الصحية، قد يحتم الدخول من خلال ذلك الوضع، والمتابع الغربى يلاحظ أنه يعتمد على مداخل مدروسة بعناية مثل : « المدخل الإنسانى، حقوق الإنسان، الإرهاب، الرق «، فيقوم بتصميم رسائل إعلامية تخاطب جوانب نفسية عميقى لدى الجمهور العالمى .

- التراكمات المعلوماتية :

من أهم سمات الإعلام غير الإستراتيجى هو أنه يعمل على نقل المعلومة من المرسل إلى المستقبل عبر جوار أو فيلم أو مسلسل وما إلى ذك، إلا أن المفهوم لاينجح إلا في مجالات معينة حيث يصلح لإحداث تغييرات غير أساسية أو بناء نظام معوماتى بسيط مثل نقل الأخبار، فيما يقوم المفهوم الإستراتيجى على توصيل الرسالة إلى المستقبل عبر مراحل طويلة وبهدوء، ليتم من خلالها إحداث تغيير معلوماتى أو بناء معلوماتى يقوم على ترسيخ مفاهيم وحقائق أساسية، فلا نتوقع مثلا تغيير الأنماط الإستهلاكية لجمهور معين أو تغيير ديانته أو ثقافته أو قناعاته، بمجرد إرسال الرسالة البسيطة بالكيفية المعروفة، فهذا تغيير أساسى يجب التعامل معه بإعتباره بنيان ضخم يتطلب بناؤه خطوات ومراحل ومن أمثلة الأهداف التي تم تحقيقها عن طريق التراكم المعلوماتى الدقيق كربط المسيحية بالمحبة، فلا يذكر المسيح إلا ومعه المحبة والسلام ولذا فإن

تحقيق هذا الفهم لن يتم عبر المفهوم[١] البسيط، وإنما عبر تراكم معلوماتى طويل المدى ولايختلف تحقيق التراكم المعلوماتى الإعلامى وهومايطلق عليه الهدف الإستراتيجى في المجالات الأخرى

التخطيط الاستراتيجي:

يعرف التخطيط الإستراتيجي بأنه:

« فن وعلم يبنى على حشد وإستخدام القوى الشاملة سلمًا وحربًا لتحقيق الأهداف والغايات القومية للدولة والتي تحددها القيادة السياسية»، وتتضمن الإستراتيجية القومية (الشاملة-العليا) عدد من الإستراتيجيات التخصصية المنبثقة منها مثل الإستراتيجية (السياسية - الإقتصادية- الإجتماعية) ويتم التنسيق فيما بينها لخدمة الهدف القومي سواءً كان ذلك وقت السلم أو الحرب.

الإستراتيجية الإعلامية التخصصية[٢]:

تعد الإستراتيجية التخصصية في هذا الإطار، عملية اختيار أفضل البدائل والوسائل لتحقيق أهداف محددة لأي مجتمع علي المستوي القومي، وهكذا لا يمكن وضع إستراتيجية سليمة لأهداف غير واضحة، وينبغي التأكيد علي ضرورة النظر إلى عملية رسم هذه الإستراتيجية بحيث تضع في إعتبارها العلاقات المتداخلة بين المتغيرات المختلفة والتأثير الذي تمارسه كل منها علي الأخرى بالتبادل، فهناك علاقة تبادلية بين الأهداف والوسائل، ولعل من أهم الشروط للإستراتيجية التخصصية الإعلامية الواجب توافرها هو وضوح الأهداف وتكاملها وتناسقها[٣].

١ - إستراتيجية تنمية العلاقات العربية مع القوى الكبرى الفاعلة، بحث جماعي، أكاديمية ناصر العسكرية العليا، كلية الدفاع الوطني،دورة ٣٩، القاهرة ٢٠١٠ ص ٣ .

٢ - سمير سعد فرج،رسالة دكتوراه بعنوان الفلسفة في الإستراتيجية القومية،أكاديمية ناصر العسكرية العليا، القاهرة١٩٩٨، ص ٣١.

٣ - وائل أحمدعزت، " دورالإعلام فى التأثيرعلى الرأى العام "، رسالةالزمالة، (كلية الدفاع الوطنى،أكاديمية ناصرالعسكرية العليا، ٢٠١٢م)، ص٦٤

الأمن السياحي في التشريعات السودانية والمواثيق الدولية (من منظور قانوني)

the tourism security in the Sudanese legislations and the international conventions

بقلم: الدكتور/ محمدالتجاني محمد الشريف

أستاذ مساعد بكلية الشريعة والقانون جامعة الزعيم الازهري (الخرطوم بحري)

عميد كلية تنمية المجتمع، جامعة الزعيم الازهري.

Altijanilow @gmail.com

مستخلص الدراسة

تناولت الدراسة الامن السياحي في التشريعات السودانية والمواثيق الدولية، تمثلت مشكلة الدراسة في انه لا يوجد قانون متخصص للأمن السياحي في السودان الشأن في ذلك كسائر الدول رغم كثرة الجرائم التي اصبحت تستهدف السواح والمنشأت السياحية نبعت أهمية الدراسة من خطورة وجسامة الإثار التي تترتب علي الجرائم السياحية خاصة جرائم الإرهاب هدفت الدراسة الي معرفة اسباب انتشار جرائم السياحة في مختلف الدول واستعراض القواعد القانونية والاتفاقيات الدولية التي تكفل حماية السواح والمنشأت السياحية، اتبعت الدراسة المنهج التحليلي والمنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج اهمها: ان بعض السياح خاصة القادمون من دول مشهود لها بالأمن لا يتخذون احتياطات تأمين امتعتهم وممتلكاتهم اسوة بما تعودوا عليه في بلادهم الامر الذي يسهل للمجرم فرصة ارتكاب جريمته مع هذه النوعية من السياح، كما ان من اخطر الجرائم التي يرتكبها السائح جريمة التزوير واستعمال المحررات المزورة والتي يغلب ان تنصب علي جوازات السفر وتأشيرات الدخول بصفة خاصة وجرائم تزييف

العملة وإدخالها للبلاد، اوصت الدراسة بضرورة توعية المواطنين عبر وسائل الاعلام بالتبليغ عن كل مشتبه فيه بارتكاب جرائم لا تمس الامن السياحي ويجب تشديد المنافذ عبر الحدود حتي لايتم عبرها تهريب الاسلحة غير المرخصة والتي في الغالب يستخدمها السياح لتنفيذ جرائم الارهاب.

Abstract

The study addressed the tourism security in the Sudanese legislations and the international conventions. The problem of the study; there was no specialized law for tourism security in the Sudan as many countries in spite of the many crimes that targeted the tourist and the tourism buildings. The importance of the study emerged from the riskiness and the portliness of the effect of the crime incused from the tourism crimes specially the terrorist crimes. The study aimed to know the reasons of the spreading of the tourism crimes in different countries and displayed the legal rules and the international conventions that protect the tourists and the tourism buildings. The study followed ; the analytical, the descriptive, and the inductive methods. The study came to many results, the most important; some of the tourists specially those who came from secure countries didn't make precaution that secure their luggage and belongings as they did in their countries, which facilitated crimes for criminals with kind of tourist. The most dangerous crime committed by the tourist was fraud and using falsified documents mostly the false passports, entry visas and currency falsification which they entered the country . the study recommended; the necessity of raising the citizens awareness through media and reporting the suspects who committed crimes that touched the tourism security. The intensity of watching the borders

windows to stop weapons smuggling (weapons without license) which often used by the tourist for executing terrorist crimes.

الكلمات المفتاحية:

الامن – السياحة – السائح.

مُقدِّمة

إن اكثر ما يجذب السائح الاجنبي الي البلدان تلك الكنوز الاثرية التي تضمها الارض والمنتشرة في ارجائها، بالاضافة للجو المعتدل، ولكن الامن السياحي يشكل عامل جذب اخر للسائح الاجنبي، وقد بحث المختصون في موضوع السياحة في السودان موضوع السياحة من اوجه متعددة اقتصادية، وثقافية، وصحية وعمرانية وترفيهية وفي هذا المجال كان دور الاعتبارات الأمنية دورًا هامشيًا رغم اهميتها القصوى،لذلك اتت هذه الدراسة لتسليط الضؤ علي التشريعات السودانية التي اهتمت بالأمن السياحي في السودان .

(١) أهمية الدراسة نبعت أهمية الدراسة من تناولها لموضوع الامن السياحي.

(٢) مشكلة الدراسة:

تمثلت مشكلة الدراسة في انه لا يوجد قانون متخصص للأمن السياحي في السودان رغم كثرة الجرائم التي اصبحت تستهدف السواح والمنشأت السياحية عدا تلك القوانين المنظمة لحماية الاثار والاحجار الكريمة.

(٣) أهداف الدراسة :

هدفت الدراسة الي:

(أ) معرفة اسباب انتشار جرائم السياحة في بعض الدول.

(ب) استعراض القواعد القانونية والاتفاقيات الدولية التي تكفل حماية السواح والمنشأت السياحية

(ج) دراسة التشريعات السودانية التي اضفت الحماية القانونية للمنشأت السياحية.

(٤) منهج الدراسة: اتبعت الدراسة المنهج الوصفي والمنهج التحليلي والمنهج المقارن.

المبحث الأول

مفهوم الأمن السياحي

أولاً: مفهوم الأمن من منظور قانوني و فلسفي:

كلمة أمن في اللغة تعني أمنًا، وأمانًا وأمه: أطمأن، ولم يخف فهو آمن و أمين أيقال الأمان أي قد أمنتك، وأمن البلد : اطمأن فيه أهله وأمن الشر ومنه المسلم والثقة [١].

وكلمة الأمن ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم في عدد من الآيات الكريمة قال تعالى « {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ)[٢].

وقال تعالى {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [٣].

وقال تعالى {الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ} [٤].

إذً مفهوم الأمن يعني الأمان والاطمئنان وزوال الخوف فالأمن يجسد حالة لا يكون فيها الفرد والجماعة أو الأمة عرضة للهلع والفزع أو الاضطراب أو العدوان. ويحتل مفهوم الأمن في عصرنا الحاضر أولوية بحكم إنشار الجريمة وأعمال الإرهاب والتغريب، وقد تطور مفهوم الأمن في الوقت الراهن وإتصف بالجدية وارتقى برقي الفكر الإنساني الذي أسهم بتطوير المجتمعات وتسميتها وفقًا لحاجتها أولم يعد المفهوم التقليدي للأمن يحاكي الصورة الذهنية التي يرسمها بعضهم عندما يتردد هذا المفهوم بين الناس علي أنه أجهزة الشرطة أو الجهات الموكول لها مهمة حفظ الأمن والنظام من خلال إجراءات الضبط الإداري والضبط القضائي أوالدوريات بل أن الوضع مختلف تمامًا فقد برز هناك أكثر من منظور للأمن يتجدد وفق ماهيته [٥]..

(١) المعجم الوسيط، ج ١، ص٢، ص٢٨.
(٢) سورة البقرة، الآية "١٢٥".
(٣) سورة البقرة، الآية "١٢٦".
(٤) سورة قريش، الآية "٤".
(٥) د. حامد عبدالسلام زهران، دراسات الصحة النفسية والإرشاد، مطبعة عالم الكتب، القاهرة ط١١، ٢٠٠٣م ص ٨٤.

ثانيًا: مفهوم السياحه

هى لفظ لاتينى الا انه معروفًا فى اللغة العربية والسياحة هي عباره عن انتقال الانسان من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان او الإنتقال فى البلد لمدة يجب ان لاتقل عن (٢٤)ساعه بحيث لا تكون من اجل لإقامة الدائمة، وقد عرفت الماد الثالثة من قانون السياحة النافذ لسنة ٢٠٠٩م مفهوم «السياحة بانه «يقصد بها تنقل الفرد والمجموعات من مكان لآخر بغرض الترفية أو العلاج أو لحضور مؤتمر أو للتسوق أو لزيارة اجتماعية أو زيارة دينية أو زيارة أماكن خلوية أو صحراوية أو تراثية وغيرها داخل أو خارج القطر لمدة لا تقل عن يوم ولا تزيد عن سنة دون طلب عمل، وفي القرأن الكريم ورد لفظ سياحة في عدة مواضع منها قوله تعالي {ومن اوفي بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون}[١]، وقال تعالي {براءة من الله ورسوله الي الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر }[٢]،ووفقً لا علن مانيلا العالمي والمتمخض عن المؤتمر الدولي للسياحة لسنة ١٩٨٨م فان السياحة تعتبر نشاطًا ضروريًا لحياة الشعوب بسبب اثارها المباشرة علي القطاعات الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية، والتعليمية للمجتمعات القومية وعلي العلاقات الدولية [٣]، وتطورت السياحة بتطور وسائل النقل الجوي والبري والبحري وتنامي الشعور بأهمية السياحة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية فقد بدأت النظم الاجتماعية في العالم تتجه الي تحقيق الاستقرار للطبقة العاملة واخذت الدول تؤمن بأهمية السياحة كصناعة مثل باقي الصناعات التي تسهم في النهوض باقتصاد الدول ودعمها [٤].

مفهوم الأمن السياحي.

يعرف الامن السياحي بانه مجموعة الإجراءات والتنظيمات المتعلقة بالمحافظة علي الأمن والنظام وحماية الارواح والممتلكات داخل المنشأة ومرافقها بالوسائل المتاحة، وتتركز في منع الحوادث والجرائم قبل حدوثها والتحقيق فيها بعد حدوثها كي يتم تسليمها للجهات الأمنية المختصة[٥].

١ سورة التوبة، الآية "١١٢".
٢ سورة التوبة، الآية «١».
٣ د. خالد المقابلة، صناعة السياحة، ط١، (بدون، ت)، ص١٥.
٤ د. محمد احمد العمري، الامن السياحي، عناصره، اهدافه، ط١٣،٢٠١٣م، ص٢٣.
٥ زيد منير، الأمن والسلامة في المنشأة السياحية والفندقية، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م، ص٥٨.

ويُعرف الامن السياحي كذلك بانه :(هو توفير الامن للسائح في نفسه وماله وحمايته من الجرائم والمضايقات التي يمكن ان تقع عليه، كما ان الامن السياحي يشمل أمن المنشأة السياحية والمواقع الاثرية والطبيعية والدينية والتاريخية)،ويتم تحقيق الامن السياحي من خلال توفير الامن للسائح منذ لحظة دخوله البلاد وحتي المغادرة، او هو توفير الحماية اللازمة للمواقع السياحية والاثرية بالتعاون مع وزارة السياحة والاثار وكافة القطاعات المعنية بالسياحة.

ثالثًا: البعد التشريعي لمبادئ التجريم في الامن السياحي.

هنالك العديد من المبررات والاحداث التي دفعت المشرعين في الدول لتجريم الاعتداء على السواح والمنشأت السياحية، أهمها:

١ - تفجيرات عمان عام ٢٠٠٥م:

ففي التاسع من تشرين الثاني عام ٢٠٠٥م وقعت سلسلة تفجيرات انتحارية في ثلاثة فنادق كبري في عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية عمان وهي فندق جراند حياة، راديسون ساس، وديزان، ونتج عن هذه التفجيرات التي وقعت عند الساعة الثامنة والخمسين دقيقة مقتل اكثر من ٦٠ شخص وجرح اكثر من ١١٥، فضلاً عن الخسائر المادية التي لحقت بها.

لقد كشفت هذه التفجيرات عن التهاون والتقليل من شأن اهمية الامن السياحي من قبل القطاع الخاص.

٢ - تفجيرات (بالي- اندونيسيا)٢٠٠٢م.

وقعت تفجيرات بالي في ١٢ اكتوبر ٢٠٠٢م في منطقة كوتا السياحية الواقعة في جزيرة بالي الاندونيسية، وجات هذه التفجيرات الارهابية الاكثر دموية بتاريخ اندونيسيا حيث اودت بحياة ٢٠٢ قتيل من بينهم ١٦٤ من جنسيات اجنبية و٣٨من الجنسية الاندونيسية بالإضافة الي ٢٠٩ جريح.

(٣) بعض الاعمال الارهابية الواقعة على قطاع السياحة في جمهورية مصر العربية.

(أ) تفجيرات دهب:

بتاريخ ٢٤ ابريل ٢٠٠٦م وقعت ثلاثة تفجيرات خلال هجوم علي منتجع دهب المصري

فيما كان مزدحمًا بالسياح الغربيين والمصريين خلال عطلة عامة للاحتفال بمهرجان شم النسيم، فقد وقعت سلسلة التفجيرات في عدد من المواقع السياحية في منتجع دهب ادت الانفجارات الي مقتل ٢٣ من السياح من جنسيات مختلفة، مصرية، لبنانية، روسية، سويسرية، هنغارية كما ادت التفجيرات الي جرح ٨٠من بينهم سياح من الدنمارك وفرنسا واستراليا والمانيا واسرائيل وكوريا الجنوبية ولبنان وفلسطين والمملكة المتحدة وامريكا [١].

(ب) تفجيرات شرم الشيخ ٢٠٠٥م:

وقعت بتاريخ ٢٣ تموز سلسلة تفجيرات استهدفت منتجع شرم الشيخ المصري والتي ادت الي مقتل ٨٨ وأكثر من ١٥٠ جريح، مقد تزامنت هذه التفجيرات مع ذكري الثورة المصرية حيث كان العديد من السياح والمصريين عند ساعات الصباح الاولي في المطاعم والمقاهي.

(ج) تفجيرات سينا ٢٠٠٤م:

في ٧ تشرين اول عام ٢٠٠٤م وقعت ثلاثة تفجيرات استهدفت فنادق سياحية في شبه جزيرة سيناء اودت بحياة ٣٤ شخص وجرح ١٧١، وقد حدثت التفجيرات في فندق طابا هيلتون والثاني امام مطعم منتجع جزيرة القمر، والثالث في مخيم البادية، ومن بين القتلى كان هنالك العديد من السياح الاجانب.

(٤) الصراعات الطائفية والعرقية وعدم الاستقرار الداخلي في الدول الاسلامية.

تؤثر الصراعات الطائفية والعرقية التي تنشئ بداخل بعض الدول العربية الاسلامية علي شيوع الامن بالمؤسسات السياحية ويتمثل ذلك بإيجاز في الاتي[٢] :

(أ) التوترات التي تشهدها علاقة المسلمين والاقباط في مصر، حيث تسهم وسائل الاعلام الغربية في اشعال فتيل الازمة وزيادة التوتر الحاصل نجم عنها احداث اكتوبر ٢٠١١م. التي راح ضحيتها ٢٤ شخص اغلبهم من الاقباط، الشيء الذي قد يجعل دوافع الانتقام والثأر موجودة.

(ب) مشكلة الشيعة في البحرين، وصراع قبائل ظفار مع نظام الحكم في سلطنة عمان.

(ج) التوتر الامني الناجم عن النزاع الطائفي بين السنة والشيعة في اليمن.

١ د. محمداحمد العمري مرجع سابق، ص٢١.

٢ د. صلاح عبد الوهاب، السياحة عامل التسامح والسلام، (بدون)،ط١١، ١٩٩٦م،ص١٧.

(٥)توتر العلاقات بين الدول العربية الاسلامية:

تشير عدد كبير من الدراسات السياحية الي ما تتسم به السياحة الدولية من حساسية تجاه عدم الاستقرار السياسي للمقصد السياحي[١]، وهنالك العديد من الامثلة لهذه التوترات، اهمها التوتر الذي يشوب العلاقات السورية اللبنانية منذ قيام دولة لبنان وحتي حادثة إغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، وكذلك الخلافات الفكرية بين سوريا والعراق، والتوترات الخليجية بين قطر والامارات والمملكة العربية السعودية، كلها تعتبر مهددات قد يكون لها ما ورائها.

(٦)بعض الاحداث الارهابية التي استهدفت دور العبادة والطوائف الدينية:

في السنوات القليلة الماضية وقعت بعض الاحداث الارهابية في بعض الدول العربية الاسلامية استهدفت دور العبادة والطوائف الدينية مما يدق في النفوس ناقوس الخطر بأن تتحول هذه الاعتداءات التي الاراضي المقدسة وابرز هذه الاحداث ما يلي:٢

(أ) تفجير كنيس غريبة اليهودي بجزيرة جربة بتونس ١١ ابريل ٢٠٠٢م: حيث تم ذلك بشاحنة لنقل الغاز الطبيعي مما ادي الي مقتل ٢١شخصًا منهم ١٤ من الالمان وفرنسي واحد وتونسيين بالإضافة الي جرح واصابة ما يزيد عن ثلاثين شخصًا٣.

(ب) تفجيرات الحسين: والتي سقط علي اثرها ٢٠ جريحًا وقتيلان بسبب انفجار عبوة ناسفة بمنطقة الحسين حيث اصيب فرنسيون، والمان، وسعوديون، ومصريون بينهم طفل واحد افراد الشرطة.

(ج) تفجيرات الدار البيضاء ٢٠٠٣م: والتي استهدفت خمسة مواقع هي فندق فرح ومقر الرابطة اليهودية، ومقبرة يهودية قديمة، ومطعم للأكل الايطالي.

(د) تفجيرات مسجد الروضة بجمهورية مصر ٢٠١٧م: وهي تعتبر من أكبر صور الاعتداء على دور العبادة وأبشع صور انتهاك حقوق الطوائف الدينية حيث راح ضحيتها أكثر من (٣٥٠) من السكان المدنيين المصليين، مما يجعل هذه الافعال تدخل ضمن الجرائم ضد الانسانية الفادحة.

---

١ د.نهي ابراهيم خليل، السياحة في الدول الإسلامية في ظل الظروف المعاصرة، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ٢٠١٣م،ص١٥٤.

٢ د. حسنين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٢م، ص٤٤.

٣ نهي إبراهيم خليل، مرجع سابق، ١٥٥.

المبحث الثاني

الامن السياحي في بعض التشريعات العربية والدولية

ان التشريع في اللغة مصدر للفعل اشترع، ويعني سن القوانين، واصله الثلاثي (شرع) وبيّن[1]، والتشريع كمصدر من مصادر القاعدة القانونية هو «وضع قواعد قانونية في نصوص تنظم العلاقات بين الاشخاص في المجتمع بواسطة السلطة المختصة، وطبقًا للإجراءات المقررة لذلك»[2].

أولاً: الأمن السياحي في قانون السياحة الاردني:

نص قانون المطاعم والاستراحات السياحية الاردني الصادر بموجب المادة «١٦» من قانون السياحة لسنة ١٩٨٨م على أنه من شروط ترخيص المطعم السياحي مايلي: «أن تتوفر فيه الشروط الفنية المنصوص عليها في هذا النظام وفي التعليمات الصادرة بموجبه مع مراعاة أحكام قانون الصحة العامة والأنظمة الصادر بمقتضاه».

ومن أجل إضفاء الحماية على السائح فقد نص نفس القانون على الامتناع على تقديم المشروبات الروحية لمن يقل عمره عن ١٨ سنة،ونصت المادة «١» منه على إجراء التفتيش على المطاعم السياحية للتأكد من مدى التزامها بأحكام القانون والتعليمات الصادرة بمقتضاه، وقد نص قانون الآثار الأردني رقم «٢١» لسنة ١٩٨٨م على أنه تنحصر ملكية الآثار المنقولة للدولة وكذلك ملكية الآثار غير المنقولة، ولا يحق لأي جهة في ذلك التملك من خلال التقادم أو باي طريقة أخرى،وتكون ملكية الآثار المنقولة وحيازتها والتصرف فيها خاصة لأحكام هذا القانون وهذا يدل على حماية نوع من أنواع السياحة وهو السياحة الأثرية، ويعاقب بالحبس لمدة لا تقل عن سنة واحدة ولا تزيد عن ثلاث سنوات أو بغرامة قيمتها ٢٠٠ دينار كل من :

أ. كل من قام بالتنقيب عن الآثار دون الحصول على ترخيص.

ب. كل من قام بالمتاجرة بالآثار.

وقد نص نظام مكاتب تأجير السيارات السياحية لعام ١٩٩٧م على الشروط الواجب توافرها

١ المعجم الوسيط، ص٤٧٩.

٢ د. توفيق حسن قزح، المدخل للعلوم القانونية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط ١٩٨١م، ص٦٥.

لترخيص السيارات السياحية وهي:

(١) أن تكون جميع السيارات المستخدمة في حالة جيدة وحديثة.

(٢) أن تكون جميع السيارات السياحية مؤمنة تأمينًا شاملاً.

ولا يجوز للأجنبي تأجير سيارة سياحية إلا إذا كان حاملاً علي رخصة قيادة دولية أو أجنبية أو أردنية سارية المفعول « وهذا الشرط يوفر الحماية ثلاثية الابعاد، فهي حماية للسائح من أخطار الحوادث وحمايه للسيارة السياحية باعتبارها أحدى المنشآت السياحية وحماية الشعب من شرور حوادث السير .

وكذلك نص قانون إدلاء السياح لسنة ١٩٩٨م على شروط لابد أن تتوفر في الشخص لممارسة مهنة الدليل أن يكون :

(١) أردني الجنسية وأكمل العشرين سنة من عمره .

(٢) غير محكموم عليه بجناية أو جنحة مخلة بالشرف والأخلاق العامة.

أي أن هذا القانون قد استبعد الأجانب من ممارسة مهنة إدلاء السياح بالإضافة للأشخاص المحكوم عليهم بجناية أو جنحة مخلة بالشرف والأخلاق العامة، وفي هذا حماية للسائح الذي يحتاج للدليل حتى لا تتعرض حياته للخطر من قبل ذوي السوابق الجنائية[١].

ثانيًا: الأمن السياحي في الجماهيرية الليبية:

قرار امين اللجنة الشعبية العامة للعدل والامن العام بشأن الاختصاص والتنظيم الداخلي للشرطة السياحية.

تختص الادارة العامة للشرطة السياحية بالآتي:

(١) إعداد وتنفيذ الخطط العامة والتفصيلية لحماية السواح والاثار والمرافق السياحية والمحافظة عليها واقتراح اجراءات وتدابير تسهيل دخول الافواج السياحية وإقامة التظاهرات السياحية والاثرية بالداخل والخارج.

١ د. اسعد حماد ابو رمان، عادل سعيد الراوي، السياحة في الاردن - الاسس العلمية - المقومات - الاسواق - الجدوي،ط١، إثراء للنشر والتوزيع،٢٠٠٩م، ص٢٠.

(٢) وضع الخطط والبرامج التنفيذية اللازمة لمرافقة القوافل والوفود السياحية القادمة للجماهيرية العظمي وتامين الحماية اللازمة لها.

(٣) إعداد واقتراح الخطط والبرامج التدريبية بالداخل والخارج في مجال حماية وتأمين السياحة والاثار لرفع كفاءة العاملين في هذا المجال.

ثالثًا: الامن السياحي في المواثيق الدولية.

تهتم منظمة السياحة العالمية (UNWTO)بحماية السياحة والمحافظة عليها وباعتبارها منظمة دولية مرتبطة بهيئة الامم المتحدة فهي تتصدر دورًا رياديًا في تنمية وتطوير صناعة السياحة من خلال المهام والصلاحيات المنوطة بها كما لها دور تشريعي في السياحة العالمية يسهم بإثرائها بمجموعة من القرارات والانظمة والصكوك الدولية، وقد ساهمت هذه المنظمة في وضع مدونة تتضمن مبادئ تنص علي حقوق السلطات الوطنية والاقليمية والمحلية والمجتمعات المضيفة واصحاب المصالح تجاه السياحة، والعاملين في القطاع السياحي مما يجعلها تعتبر مبادئ اساسية للأمن السياحي[1].

ومن أهم الصكوك الدولية التي تناولت الامن السياحي ما يلي:

(١) الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر في ١٠كانون اول / ديسمبر ١٩٤٨م.

(٢) العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الصادر في ١٦ كانون الاول / ديسمبر١٩٦٦م.

(٣) العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية الصادر في ١٦ كانون الاول / ديسمبر١٩٦٦م.

(٤) اتفاقية وارسو بشأن النقل الجوي بتاريخ ١٢ تشرين الاول / اكتوبر١٩٢٩م.

(٥) اتفاقية شيكاغوا بشأن الطيران المدني الدولي بتاريخ كانون الاول / ديسمبر ١٩٤٤م.

(٦) اتفاقية حماية التراث الثقافي والطبيعي بتاريخ ٢٣تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٧٢م.

(٧) اعلان ريو دي جانيرو بشأن البيئة والتنمية بتاريخ ١٣ حزيران / يونيو ١٩٩٢م.

١ د. محمد احمد العمري،مرجع سابق،ص٢٣.

المبحث الثالث

الامن السياحي في التشريعات السودانية

فيما يتعلق بدراسة الأمن السياحي فأن السؤال الذي يطرح نفسه – هل هناك اي قانون او نظام متخصص بالأمن السياحي في السودان، الاجابة على هذا السؤال هي انه لا يوجد قانون متخصص للأمن السياحي في السودان الشأن في ذلك كسائر الدول، ولكن بدراسة التشريعات السودانية المختلفة بصورة متأنية نجد فيها نصوص قد اضفت الامن السياحي للمنشأت السياحية وكان ذلك علي النحو الاتي:

اولاً: الأمن السياحي في قانون تنظيم العمل السياحي لولاية الخرطوم لسنة٢٠٠٨م

نص قانون تنظيم العمل السياحي لولاية الخرطوم لسنة٢٠٠٨م علي شروط محددة لتعيين المستخدمين الأجانب بالمنشآت السياحية حيث ذهبت المادة (١٢) على انه: «عند تعيين اى عماله أجنبيه في الوظائف القيادية بالمنشاة السياحية تتعهد المنشأة السياحية كتابة بتدريب سوداني لمدة لا تقل عن عام في نفس الوظيفة التي سيعين فيها الأجنبي خلال فترة التعاقد معه»،وفى حالة عدم ايفاء المنشأة السياحية بتدريب سوداني كما ورد أعلاه يجوز للوزارة اصدار قرار ملزم بمنع المستخدم الاجنبي من العمل بالمنشأة السياحية مع ما تراه من جزاءات مناسبة في مواجهة المنشأة السياحية .وذلك في نظري حفاظًا لحقوق السوداني ولاكتسابه الخبرات من الاجنبي الذى ربما ذهابه عن المؤسسة يحدث فراغًا لا يحمد عقباه، وقد يكون هدف المشرع هو امن المنشأة السياحية وحمايتها من تلاعب بعض الاجانب،وهذه المادة تقابل المادة (١٠) من نظام مكاتب وشركات السياحة والسفر الأردني لسنة ١٩٩٦م التي اشترطت على صاحب المكتب ان يستخدم في مكتبه ما لا يقل عن خمسة أشخاص من الاردنيين بمن فيهم المدير على ان يكون اثنان من العاملين في مجال الحجز والمبيعات والتسويق قد اجتازوا دورات تدريبيه في مجال اختصاصهم من هيئة معتمده ويجيدون لغة اجنبيه واحده على الاقل بموجب شهاده معترف بها .

ثانيًا: الامن السياحي في قانون السياحة لسنة٢٠٠٩م

نص قانون السياحة لسنة ٢٠٠٩م في الفصل الخامس منه علي انشاء شرطة تأمين السياحة والتراث القومي، وذلك في المادة (١٣) منه والتي تنص علي انه:

(١) تنشأ وفقًا لقانون شرطة السودان الساري قوات شرطة قومية لتأمين السياحة والتراث القومي تعمل تحت الإشراف الفني للوزارة.

(٢) يقوم الوزير بالتشاور[١] مع وزير الداخلية بإصدار اللوائح اللازمة لتنظيم العمل الفنى للشرطة فى مجالات السياحة وحماية المنشآت السياحية القومية والحياة البرية.

اختصاصات إدارة الشرطة:

مع مراعاة أحكام المادة ١٩ من قانون الإجراءات الجنائية لسنة ١٩٩١م، تختص الشرطة بتوفير الحماية والأمن للمنشآت والمناطق السياحية والسياح ومنع الجرائم السياحية والتحري وجمع الاستدلالات اللازمة للتحقق منها بالتنسيق مع الجهات ذات الصلة[٢].

ثالثًا: الأمن السياحي في قانون قوات الأمن الوطني لسنة ١٩٩٩م

م٦ يختص جهاز الأمن الوطني بالآتي:

(أ) رعاية أمن السودان الداخلي وسلامة مقوماته المعنوية وصون وحدة البلاد وكيانها العام.

(ب) جمع المعلومات المتعلقة بأمن السودان الداخلي وتحليلها وتقويمها والتوصية بتدابير الوقاية اللازمة.

(ج) البحث والتحري اللازمين للكشف عن أى أوضاع، أو وقائع، أو مناشط، داخل البلاد يكون من شأنها المساس بأمن وسلامة السودان، ولو امتدت للخارج.

(د) البحث والتحري اللازمين للكشف عن أي عناصر أو قوى تؤثر على أمن السودان وسلامته والكشف عن الأخطار الناجمة عن النشاط الأجنبي داخل البلاد،

(هـ) أمنية لأجهزة الدولة المختلفة بما يحقق تأمين وسلامة أهدافها ويساعدها فى تنفيذ اختصاصاتها،

(و) أي اختصاصات أخرى يصدر بها تكليف من رئيس الجمهورية أو المجلس بما لا يتعارض مع الدستور والقانون[٣].

---

١ " يقصد به وزير الاثار والسياحة والحياة البرية القومي.
٢ المادة (١٤) من قانون السياحة النافذ لسنة ٢٠٠٩م.
٣ راجع المادة (٦) من قانون قوات الأمن الوطني لسنة ١٩٩٩م.

رابعًا: الأمن السياحي في قانون تنظيم اللجوء لسنة ١٩٧٤م.

اعتقال اللاجئ تحفظيًا وخضوعه للقوانين وحظر النشاط السياسي.

نصت المادة (١٠) على أنه:

(١) يخضع اللاجئ للقوانين العامة التي تطبق عل ى كافة السودانيين ويجوز اعتقاله تحفظيًا اذا دعا الأمر ذلك.

(٢)لا يجوز لأى لاجئ ممارسة أي نشاط سيأسى أثناء وجوده في السودان ولا يجوز له مغادرة أي مكان محدد للإقامة له، وفى حالة الاخلال بذلك يجوز فرض عقوبة عليه لا تجاوز سنة سجنًا .

إبعاد اللاجئ

المادة (١١) يجوز ابعاد اللاجئ في الحالات الآتية :

(أ)اذا انتهت الأسباب التي دعته الى اللجوء وكان من الممكن اعادته الى وطنه الأصلي.

(ب)اذا ارتكب جريمة خطرة غير سياسية خارج السودان قبل السماح له بالدخول كلاجئ وفى هذه الحالة يجوز تسليمه وفقًا لقانون تسليم المجرمين لسنة ١٩٥٧ م،

(ج) اذا ارتكب جريمة ضد السلام أو جريمة حرب أو جريمة ضد الانسانية.

(د) اذا ارتكب أفعالاً تخالف أهداف ومبادئ الأمم المتحدة او منظمة الوحدة الافريقية.

(هـ) اذا ارتكب جريمة خطرة غير سياسية خارج السودان بعد السماح له باللجوء.

(و) اذا كان وجوده بالسودان يشكل خطرًا على الأمن القومي الداخلي والخارجي.

عدم السماح للاجئ بالعمل

حسب المادة (١٤):

(١) لا يسمح لأي لاجئ بالعمل فى الوظائف والصناعات والأعمال المتعلقة بالعمل بأمن البلاد أو الدفاع الوطني.

(٢) يسمح للاجئ بالعمل فى أعمال خلاف المذكورة فى البند (١) بعد حصوله على اذن بذلك من

مصلحة العمل بوزارة العمل والخدمة العامة وتنمية الموارد البشرية وترسل مصلحة العمل صورة من الاذن الى وزارة الداخلية[1].

الاحتفاظ بالسجلات

نصت المادة «٤-»علي انه:

(١)يحتفظ كل مساعد للمعتمد بسجل يسجل فيه طلبات اللجوء وأسماء جميع اللاجئين الذين يفدون الى منطقته

(٢) يجب أن يضمن المسجل بيانات مفصلة توضح اسم اللاجئ وجنسيته ان وجدت ومكان اقامته المستديمة ان لم تكن له جنسية، كما توضح الأسباب التى منعته أو جعلته غير راغب فى العودة الى قطره وتسجل مهنته وديانته وعمره وأوصافه وأية مسائل أخرى يرى المعتمد ضرورة تسجيلها.

(٣) يحتفظ مساعد المعتمد بصورة من سجله ويرسل صورتين منه الى المعتمد فى أسرع وقت ممكن.

خامسًا: الأمن السياحي في قانون تنظيم اللجوء لسنة ٢٠١٤م

اورد هذا القانون العديد من الحقوق والواجبات علي اللاجئ في القانون السوداني، حيث نصت المادة «١٣»من قانون تنظيم اللجوء لسنة ٢٠١٤م علي حقوق اللاجئ منها حقوق يتمتع بها اللاجئ مثله مثل المواطن كالإسعاف العام، والحق في التعليم الاساسي والحق في التقاضي امام جميع المحاكم ومنها حقوق يتمتع بها اللاجئ مثل الاجنبي او لا تقل عنها مثل الحق في التعليم فوق الاساسي – والاسكان وتملك الاموال المنقولة والحق في الحصول علي اذن التنقل،وفيما يتعلق بواجبات اللاجئ فأنها تتمثل في احترام الدستور والقوانين واللوائح المعمول بها في جمهورية السودان والمحافظة علي النظام العام ومراعاة قيم المجتمع السوداني واحترام تقاليده ومشاعره، وبالأخص عليه الالتزام بألا يقوم باي نشاط يمس الامن الوطني والنظام او اي نشاط يتعارض مع اهداف ومبادئ الامم المتحدة او الاتحاد الافريقي او جامعة الدول العربية او اي منظمة يكون السودان طرفًا فيها ويجب علي اللاجئ تسجيل المنقولات التي دخل بها السودان والحصول علي وثيقة سفر تصدرها له ادارة الجوازات وبناء علي توصية المعتمد حسب المادة «١٦» بالإضافة الي

١ – المادة (١٤) قانون تنظيم اللجوء لسنة ١٩٧٤م.

الحصول علي بطاقة لاجئ تستخرجها المعتمدية لمدة لا تقل عن سنة، كما يسمح له بالعمل بعد الحصول علي اذن من مكتب العمل وذلك حسب المادة «١٨ «وكذلك نصت المادة «٣٠» علي عدم اعتقال اي لاجئ الا بعد الحصول علي اذن بذلك من المعتمد فورًا وبأسباب الاعتقال، بينما يعاقب كل لاجئ يغادر المكان المحدد لإقامته بدون اذن .

سادسًا: الامن السياحي في قانون تنظيم استخدام غير السودانيين لسنة ٢٠٠١م.

نص هذا القانون الي ضرورة خضوع استخدام غير السودانيين لأحكام هذا القانون، مع مراعاة مبدأ المعاملة بالمثل وفى حدود تلك المعاملة، يخضع استخدام غير السودانيين في السودان لأحكام هذا القانون.

ويستثنى من تطبيق أحكام هذا القانون الفئات الآتية[1]:

(أ) الدبلوماسيين غير السودانيين والرعايا غير السودانيين الذين يعملون في بعثات دبلوماسية أو دولية أيًا كان عملهم، ودخلوا البلاد مع تلك البعثات،

(ب) الأشخاص الذين يتم إعفاؤهم بموجب اتفاقيات دولية تكون جمهورية السودان طرفا فيها،

(ج) غير السودانيين من أصحاب الأعمال وأصحاب المهن الحرة المرخص لها من جهات الاختصاص.

(د) أى أشخاص آخرين يقرر الوزير إعفاءهم .

ضرورة الحصول على إذن بالعمل من الوزير.

حسب المادة (٥) ـلا يجوز لأى شخص غير سوداني أن يزاول عملاً، إلا بعد الحصول على إذن بذلك من الوزير.

شروط منح إذن العمل

المادة (٦) ـلا يجوز منح إذن عمل لغير السوداني إلا إذا:

---

١ / م ٤ من قانون تنظيم إستخدام غير السودانيين لسنة ٢٠٠١م.

(أ) لم يوجد سوداني يستطيع أن يؤدى ذلك العمل، وفى هذه الحالة يمنح غير السوداني المقيم الأولوية على غير السوداني غير المقيم، ويمنح رعايا الدول العربية والإفريقية الأولوية على غيرهم من غير السودانيين.

(ب) كان من حاملي ترخيص الإقامة الخاصة أو العادية بموجب قانون جوازات السفر والهجرة لسنة ١٩٩٤، واللوائح الصادرة بموجبه ولا تقل سنه عن إحدى وعشرين سنة وذلك مع مراعاة قانون العمل لسنة ١٩٩٧م،ويقدم طلب استخدام غير السودانيين من خارج السودان، من صاحب العمل وذلك بغرض الحصول على إذن مبدئي ويجب على صاحب العمل الحصول على إذن عمل غير السودانيين الذين دخلوا بموجب إذن مبدئي أو غير السوداني بمفرده، بناء على الأنموذج المعد لذلك.

عقد العمل:

نصت المادة (٨) علي انه «عند الحصول على إذن العمل وقبل مباشرة غير السوداني لعمله، يجب على صاحب العمل إبرام عقد عمل مع غير السوداني المأذون له وفقًا لأحكام قانون العمل لسنة ١٩٩٧م على أن يتضمن ذلك العقد بصفة أساسية التزام طرفي العقد بالتدريب وفقًا لأحكام المادة ٩، وأن يتعهد صاحب العمل بتحمل نفقات سفر غير السوداني إلى بلاده بعد انتهاء عمله معه لأى سبب.

ونصت المادة (٩) علي أنه:

(١)يجب على كل صاحب عمل يستخدم غير السودانيين، لا يحمل ترخيص إقامة خاصة وعادية، في وظيفة تحتاج إلى خبرة أو مهارة، أن يعين أحد السودانيين ممن تتناسب مؤهلاته مع مؤهلات غير السوداني للتدريب على الأعمال التي يقوم بها طبقًا للنظم التي يحددها .

(٢) كل صاحب عمل يستخدم مجموعة من غير السودانيين، لا يحملون تراخيص إقامة خاصة أو عادية، في وظائف تحتاج إلى خبرة أو مهارة، أن يضع خطة لسودنة هذه الوظائف وفق برنامج تدريبي وافق عليه الوزير .

الخاتمة

تناولت الدراسة الامن السياحي في التشريعات السودانية والدولية، خرجت الدراسة بالعديد من النتائج والتوصيات التي تتمثل في الاتي:

اولاً: اهم النتائج.

(١) إن السياحة تلعب دورًا مهمًا في الاقتصاد القومي والنمو الاجتماعي والحضاري لشعوب العالم، كما انها وسيلة لدعم اواصر الصداقة والتعاون بين الشعوب.

(٢)إن بعض السياح خاصة القادمون من دول مشهود لها بالأمن لا يتخذون احتياطات تأمين امتعتهم وممتلكاتهم اسوة بما تعودوا عليه في بلادهم الامر الذي يسهل للجرم فرصة ارتكاب جريمته مع هذه النوعية من السياح .

(٣) ان من أخطر الجرائم التي يرتكبها السائح جريمة التزوير واستعمال المحررات المزورة والتي يغلب ان تنصب على جوازات السفر وتأشيرات الدخول بصفة خاصة وجرائم تزييف العملة وإدخالها للبلاد.

(٤) ان السائح الاجنبي يخضع لقانون الدولة التي يرتكب جريمة فيها وتطبق عليه العقوبة المقررة في هذا القانون أيا كانت العقوبة التي يقررها قانون الدولة التي ينتمي إليها.

ثانيًا: أهم التوصيات.

(١) توعية المواطنين عبر وسائل الاعلام بضرورة التبليغ عن كل مشتبه فيه بارتكاب جرائم تمس الامن السياحي.

(٢) نوصي بتوفير الامن لدور العبادة باعتبارها اهم المنشأة السياحية.

(٣) نوصي مالكي ومديري المنشأة السياحية بضرورة الالتزام بنص المادة (١٢) من قانون تنظيم العمل السياحي لسنة٢٠٠٨م بشأن تعيين العمالة الاجنبية لابد ان يتم تعيين سوداني في نفس الوظيفة التي يعين فيها الاجنبي ليتلقى التدريب خاصة في المناصب القيادية.

أهم المصادر والمراجع

اولاً: القرآن الكريم.

ثانيًا: كتب القانون.

١-د. أسعد حماد ابو رمان، عادل سعيد الراوي، السياحة في الاردن - الاسس العلمية - المقومات - الاسواق - الجدوي، ط١، إثراء للنشر والتوزيع،٢٠٠٩م.

٢-د. حامد عبدالسلام زهران، دراسات الصحة النفسية والإرشاد، مطبعة عالم الكتب، القاهرة ط١١، ٢٠٠٣م.

٣-زيد منير، الأمن والسلامة في المنشأت السياحية والفندقية، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٢م.

٤-د. حسنين توفيق ابراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٢م.

٥-د. خالد المقابلة صناعة السياحة، ط١، (بدون، ت).

٦-توفيق حسن قزح، المدخل للعلوم القانونية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ط ١٩٨١م.

٧- د. نهي ابراهيم خليل، السياحة في الدول الاسلامية في ظل الظروف المعاصرة، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ٢٠١٣م.

٨-د. صلاح عبدالوهاب، السياحة عامل التسامح والسلام، ط١٩٩٦،١م.

٩-د. محمد احمد العمري، الأمن السياحي، عناصره، أهدافه، ط١، ٢٠١٣م.

ثالثًا: القوانين والاتفاقيات

(١) قانون تنظيم اللجوء لسنة ١٩٧٤م الملغي

(٢) القانون الجنائي النافذ لسنة١٩٩١م. النافذ

(٣) قانون قوات الأمن الوطني لسنة ١٩٩٩م.

(٤) قانون تنظيم استخدام غير السودانيين لسنة ٢٠٠١م.

(٥) قانون قوات الشرطة لسنة ٢٠٠٨م.

(٦) قانون تنظيم العمل السياحي لولاية الخرطوم لسنه ٢٠٠٨م.

(٧) قانون السياحة لسنة ٢٠٠٩م

(٨) قانون القوات المسلحة لسنة ٢٠٠٧م، تعديل سنة ٢٠١٣م.

رابعًا: اللوائح

(١) نظام مكاتب تأجير السيارات السياحية الاردني لعام ١٩٩٧م

مراجعات في الفكر النقدي عند العرب حتى القرن الرابع الهجري

بقلم: دكتور/ محمد حسن عطا المنان عبد الله

جامعة كسلا – السودان

المستخلص

البحث مهم في كونه يشير إلى جملة من المراجعات والتصحيحات لكثير من المفاهيم النقدية الأدبية حتي القرن الرابع الهجري التي شابها مفهوما خاطئا، ويجمع آخر القراءات تشرح، وتعيد النظر في مسارها بماتضمن له سيرورتها لتصبح مرتكزا ذي منطلقات صحيحة وراسخة لتطوير العملية النقدية والأدبية. ويهدف البحث إلى التعريف باتجاهات النقد الأدبي حتي القرن الرابع الهجري، وعرض القراءات الجادة للمحدثين فيها، ثم مناقشة تلك القراءات في ضوء تطور العملية النقدية تبعا لتطور الحياة الأدبية في مجتمعاتنا العربية .ويفترض البحث وجود ضرورة ملحة لعرض تلك القراءات والمراجعات بغية فهم سليم للنقد وتطوره في تلكم الفترة،ومن خلال المنهج الاستقرائي التحليلي نصل إلى أن:البحث بعرضه لجهود النقاد المحدثين في قراءة الفكر النقدي الأدبي حتي القرن الرابع الهجري ومراجعته وصل الي تصحيحات هي أن الشعر شعور وخيال، وأن الانتصار للفظ عند الجاحظ جاء في إطار فكرة الاعجاز القرآني وليس الأدب الأمر الذي يشكل خطورة عليه وعلي النقد، أن الصدق الفني تجب فيه المزازجة بين المبدع والمتلقي، وأن التجديد في عمود الشعر العربي القديم لاينفي الشاعرية عن الشاعر،أن كتاب الموازنة للآمدي يصبح ذا قيمة إذا انتصر لأبي تمام، وأن مقولة الدين بمعزل عن الشعر قال بها الجرجاني في سياق دفاع عن المتنبئ وتأثره بالفلسفات في عصره ولا تعني الأخذ بشعر الفسق والفجور والخروج عن مقياس العقيدة في القصيدة العربية.

مقدمة:

تأتي هذه المراجعات في إطار المجهودات الجارية والمبذولة في سياق تصحيح مسارات تاريخ النقد الأدبي القديم وإعادة قراءته، وتنقيته مما شابه من سوء فهم وتقرير، فكثيرة هي الخطابات النظرية

والنقدية في العالم العربي المهتمة بشأن النقد العربي القديم، المستندة على مفاهيم قرائية لا تستند إلى دليل، علي ما سنري. لذلك فإن هذه الدراسة تحاول أن تجمع – قدر الاستطاعة – بينى شتات القراءات الجادة التي قدمها بعض النقاد المحدثين في إطار تصحيح تلك المفاهيم خوفا من تسربها إلى عقلنا العربي والإسلامي حيث يصعب استشراف وعي نقدي متطور يواكب العملية الابداعية على الدوام مستنبط من مفاهيم نقدية قديمة غير منضبطة الأطر والمساقات والمسارات والمفاهيم.

وعليه فإن الضرورة ملحة جدا عند الباحث لجمع شتات تلك المراجعات في الفكر النقدي حتى القرن الرابع الهجري خصوصا تلك التي تجيب على الأسئلة الآتية:

١/ أين انتهي البحث النقدي بمفهوم الشعر حتى القرن الرابع الهجري؟

٢/ ما هو خطورة مقولة أصدق الشعر أكذبه المفضية إلى إلزام الشعر بالنأي عن الصدق العاطفي وضرورة التزام الصدق الواقعي؟

٣/ هل صحيح أن الجاحظ كان ينتصر للفظ دون المعني؟ وما خطورة ذلك على الأدب والنقد؟

٤/ ما هي خطورة كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري وما قيمته؟

٥/ هل يفقد الشاعر شاعريته لمجرد خروجه عما يعرف بقوانين عمود الشعر العربي؟

٦/ ماهو المفهوم الصحيح لعبارة الدين بمعزل عن الشعر وما هي تداعياتها عند الجرجاني؟

٧/ هل كان ابن الأثير موفقا في مصطلح المسخ حين خرج به من مفهوم السرقة إلى مفهوم الاصطلاح والتهذيب ولم يخرج به إلى مفهوم الابداع والابتكار.؟

وللوصول إلى إجابات لمثل هذه الأسئلة رأي الباحث أن يصل عبر مراجات النقاط التالية:

١/ مفهوم الشعر

٢/ قضية الصدق والكذب

٣/ مفهوم اللفظ والمعني عند الجاحظ

٤/ عمود الشعر العربي

٥/ الموازنة للآمدي بين أبي تمام والبحتري

٦/ السرقات الأدبية عند ابن الأثير

٧/ مقولة الجرجاني الدين بمعزل الشعر عند الجرجاني

أولا: مراجعات في مفهوم الشعر

إذا نظرنا إلى تعريف قدامة بن جعفرللشعر «إن أول ما يحتاج إليه في العبارة عن هذا الفن: معرفة حد الشعر الحائز له عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز – مع تمام الدلالة – من أن يقال فيه: إنه قول موزون مقفى يدل على معنى...»[1] نجد أنه يبدو ناقصا من حيث إنه لم يضع شروطا للموزون المقفي، فهناك من الموزون المقفي وليس شعرا، لعل هذا ما انتبه إليه صاحب العمدة ابن رشيق في تعريفه للشعر يقول : «الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء، وهي: اللفظ، والوزن، والمعنى، والقافية، فهذا هو حد الشعر؛ لأن من الكلام موزونًا مقفى وليس بشعر؛ لعدم القصد والنية، كأشياء اتزنت من القرآن، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر،...»[2] .

ويشترط ابن خلدون شرطا ليس فيه إشارة واضحة في إضافة صاحب العمدة مكملا تعريف قدامة بن جعفر لضبط مفهوم الشعر يتعلق بالخيال الناشئ عن التشبيه أو الاستعارة أو ماشابه ذلك من الأوصاف يقول ابن خلدون:» الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف، المفضل بأجزاء متفقة في الوزن والروي مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به. فقولنا الكلام البليغ جنس وقولنا المبني على الاستعارة والأوصاف فصل له عما يخلو من هذه فإنه في الغالب ليس بشعر، وقولنا المفصل بأجزاء متفقة الوزن والروي فصل له عن الكلام المنثور الذي ليس فصل له عن شعر غير العرب من الأمم عندما يرى أن الشعر يوجد للعرب وغيرهم. ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم فلا يحتاج إلى ذلك ويقول مكانه الجاري على الأساليب المخصوصة»[3].

ولقد عاب أحمد أمين تعريف ابن خلدون بقوله: «إنه لم يلتفت إلى أكبر مزية للشعر، وأحد أركانه، وهو إثارة الشعور، وعني بالشكل فقط ....»[4]. ويري بعد هذا، أن الشرطين اللذين يجب توافرهما في الشعر هما الوزن والقافية، والاتصال بالشعور، فاذا وجدت نوعا من الأدب

١ نقد الشعر قدامة بن جعفر/ ٧٠
٢ العمدة في محاسن الشعر وآدابه/ ابن رشيق القيرواني / ٢٠٠
٣ المقدمة، ابن خلدون، ص/ ٧٠
٤ النقد الأدبي، أحمد أمين/ ٧٤.

يجمع بينهما كان شعرا، أما إذا وجد الشرط اللأول دون الثاني فنظم لا شعر، أما إذا وجد الثاني دون الأول فهو فنثر شعري وهو الذي كان يكون شعرا لولا أنه فقد الوزن»[1].

غير أننا نستغرب لهذه الملاحظة من أحمد أمين؛ فالاستعارة التي أشار إليها ابن خلدون من وسائل التخييل المثيرة للعاطفة والشعور حيث إنها تلمس الوجدان إذ إنها تقرب الفهم للقارئ وطبعي جدا أن يتبع الفهم استجابة عاطفية سالبة كانت أم موجبة.

عليه يمكن القول بأن « المحاكاة الشعرية نشاط تخيلي في المحل الأول، وإنها لا يمكن أن تتم دون فاعلية القوة المتخيلة عند المبدع وعند المتلقي على السواء. وبذلك يصبح للمحاكاة جانبان: جانبها التخيلي المرتبط بشكلها في مخيلة المبدع، وجانبها التخيلي المرتبط بآثارها في المتلقي، فإذا كان «التخيل» يحدد طبيعة المحاكاة الشعرية من زاوية المبدع، فإن «التخييل»، يحددها من زاوية المتلقي، أو لنَقُل – بعبارة أخرى – إن التخييل هو فعل المحاكاة في تشكله، والتخييل هو الأثر المصاحب لهذا الفعل بعد تشكله، ويعني ذلك أننا إذا أردنا أن نناقش الشعر من حيث ماهيته توقفنا عند فاعلية التخيل أما إذا تجاوزنا الماهية إلى المهمة فلا مفر من التركيز علي التخييل، وذلك تكييف يتوافق مع ما يقصده حازم من التخييل، خاصة عندما يقول: « والتخييل أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو صور، ينفعل لتخيلها وتصورها، أو تصور شئ آخر بها إنفعالا من غير روية»[2].

ثانيًا: مراجعات في مفهوم الصدق والكذب

لقد اتجه النقد الشعري في صدر الاسلام الي إيثار الصدق في القول، وقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلي الله عليه وسلم قال:» أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

«ألا كل شئ ما خلا الله باطل»[3].

وفي رواية أخرى لهذا الحديث: «أشعر كلمة تكلمت بها العرب كلمة لبيد»[4]، وسمع النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها تنشد أبيات زهير بن جناب:

١ المرجع نفسه
٢ جابر عصفور / ماهية الشعر/ ٦٠
٣ صحيح البخاري/ ٨/ ٦٤
٤ صحيح مسلم ٤/ ١٧٦٨

ارفع ضعيفَك لا يحِـر بك ضعفُه يومًا فتـدركُه عواقبُ ما جَنَـى

يجـزيك أو يثنـي عليك فإن من أثنـى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي عليه الصلاة والسلام: صدق يا عائشة من لا يشكر الله من لا يشكر الناس[1].

بالمقابل اتجه إلى رفض المبالغة الكاذبة في الشعر قديم، من ذلك ملاحظة الرسول الكريم حين أنشده النابغة الجعدي قوله:

بَلغْنا السَّماءَ مجدّنا وجدودَنا ... وأنَّا لنرجو فوقَ ذلك مَظْهَرا

– فقال له المصطفى: إلى أين يا أبا ليلى؟

– قال: إلى الجنة،

– قال الرسول: إن شاء الله».

يعلّق عصام قصبجي على هذا الخبر، فيقول: «لاريب أن هذه الملاحظة تحدّ من غلواء المبالغة الجوفاء، وتحاول ردّ الشاعر إلى سبيل الصدق المعقول، وتبدو ردًّا على حماسة النابغة للمبالغة في قبّته، وإنها لسخرية لطيفة من ذلك العرف الجاهلي الذي لايرضى للمجد بما دون السماء: إلى أين يا أبا ليلى؟ وكأن رسول الله ينبّه الشعراء جميعًا على السبيل المعقول في القول، سائلاً الشعراء: إلى أين أنتم ذاهبون بعيدًا عن القريب، والمألوف والمعقول، والصادق»[2].

بيد أننا نجد فريقًا آخر من النقاد لا يطالب بالصدق ويتقدم هؤلاء قدامة، يستحسن الكذب والمبالغة في الشعر. الشاعر ليس يوصف بأن يكون صادقًا، بل إنما يراد منه، إذا أخذ في معنى من المعاني كائنًا ما كان أن يجيده في وقته الحاضر، لا أن يطالب بأن لا ينسخ ما قاله في وقت آخر[3].

وإذا كان النقاد قد انقسموا إلى فئتين: فئة تقول: أحسن الشعر أكذبه، وفئة تقول: أحسن الشعر أصدقه، فإن المرزوقي قد أضاف فئة ثالثة تقول: «أحسن الشعر أقصده»، ولعل هذا هوالرأي السليم، إذ لا تعارض بين الصدق من جهة، والغلوّ والمبالغة من جهة أخرى، بل أن الغلوّ في كثير من الأحيان أصدق من الواقعية النموذجية. المهم في الأمر الصدق النفسي، الذي قد يكون في

١ العقد الفريد / ابن عبد ربه/ ٢٧٥

٢ عصام قصبجي/ أصول النقد العربي القديم/ ١٤ – ١٥

٣ قدامة بن جعفر/ نقد الشعر/ ٢

المبالغة كما قد يكون في الشعر الواقعي النموذجي. ولملاحظة المرزوقي هذه جانب آخر على قدر كبير من الأهمية، فكأنه بها يشير إلى دور الواقع والخيال معًا في الإبداع الشعري. فالشعر الجيد هو ماكان مقتصرًا في هذا وذاك، ومشتملاً عليهما معًا، في آن واحد.

لقد كان كلّ من الفريقين بعيدًا عن جوهر المشكلة، – يقصد الفئة التي تقول بأن أحسن الشعر أكذبه، والفئة التي تقول بأن أحسن الشعر أصدقه – ويعود السبب إلى ربط الشعر بالمتلقي لا بالقائل. لهذا، بقيت نظرتهم إلى الإبداع الشعري سطحية، لم ينتبهوا إلى دور الشاعر فيه، ولم يربطوا بينه وبين تجربته. وقد كان لهذه النظرة نتائج عديدة، كان لها أثرها في جمود الشعر العربي وتأخره. ومن هذه النتائج:

أ) تقييد حرية الشاعر وحرمانه من التعبير الذاتي الصادق:

وذلك لمطالبته بالتزام الواقع النموذجي في تصويره. فقد طالب النقاد الشعراء بأن يلتزموا هذا الواقع على غرار الجاهليين، ولكن فاتهم أن هذه الواقعية عند الجاهلي كانت متلوّنة بأعصاب الشاعر. يقول يوسف اليوسف: إن هذه الواقعية عند الجاهلي « لاتعني أنه كان عبدًا للوقائع، لايملك أن ينفلت من قبضتها، بل على العكس من ذلك، يندر أن تظهر الوقائع إلاّ وقد تلوّنت بلون أعصاب الشاعر، وإن كان عمق هذا التلوين يختلف من آونة إلى أخرى « لقد فهم هؤلاء النقاد، إذًا، من الصدق في الشعر الجاهلي، الصدق الواقعي لا الصدق النفسي، ولم ينتبهوا إلى أنه « ليس ثمة تعارض بين الذاتية والحسّية في الشعر الغنائي العربي « فالشاعر الجاهلي، في تصويره للواقع المحسوس إنما يصوّر ذاته، وقد اندغمت بواقعه، فأصبح هو والمحسوسات شيئًا واحدًا. وبهذا الشكل يصبح الصدق الحسّي الواقعي عند الجاهلي صدقًا شعوريًا ذاتيًا في الوقت نفسه، ولهذا السبب يخرج الشاعر الجاهلي الحقيقة التي يلتزمها إخراجًا يجعلها من أصفى أنواع الشعر، ومن أسمى ما تطمح إليه شاعرية شاعر.

ب) البحث عن عيوب الشاعر:

فقد كان لربط الشعر بالمتلقي لابتجربة الشاعر أثر كبير في تتبّع عيوب الشاعر، لمعرفة مجرى مطابقته أو مخالفته للمألوف المتعارف عليه. «فالناقد العربي لم يتصوّر قط أن يأتي إلى الشعر كما أبدعه الشاعر، فيقوّمه ليظهر مافيه من جمال، وإنما كان يفترض أن عليه أن يحمل الشاعر على جادة العرف النقدي الصارم، ثم لايعنيه بعد ذلك إلاّ أن ينظر إلى ماقاله الشاعر، لكي يرى: هل استقام على العرف، أم خرج عليه؟».

جـ) عدم العناية بالخيال:

إذ من البديهي أن « يجعل هذا الأمر الشاعر على حذر يكبّل هاجس الخيال فالشاعر، إذ يسعى ليكون كلامه منسجمًا مع المثل الأعلى ليرضي المتلقين، يصبح تقليديًا مجردًا من الدوافع الذاتية للإبداع، وبالتالي من حرية الخيال والتخيّل. وهكذا يصبح الخيال ضربًا من الوهم الكاذب، لاسبيل إلى التوفيق بينه وبين الصدق، ومما أدى أيضًا إلى هذه النتيجة أنهم وضعوا الصدق في مقابل المبالغة والغلو. فهذا كان كفيلاً «بأن يضيّق معنى الخيال، إن لم يجعله شاحبًا ينطوي على ما يشبه علو الواقع وسيطرته على الشاعر».

د) تقديم التشبيه على حساب الاستعارة:

فلمّا كانوا قد رفضوا الكذب، وكانت المبالغة والخيال ضربًا من الكذب، وكانت الاستعارة تمتاز بالمبالغة والإغراق في التخيّل، فإنهم رفضوا الاستعارة، وقدمّوا التشبيه لأنه أكثر واقعية ومنطقية وبعدًا عن المبالغة والخيال.

هـ) ترسيخ مفهوم الكذب:

إنّ اتفاق النقاد على ضرورة مطابقة كلام الشاعر للمثل الأعلى، وتجريده من حرية الإبداع، رسّخ مفهوم الكذب في الشعر. فقد أصبح همّ الشاعر أن يرضي المتلقّين، لا أن ينقل تجربته نقلاً صادقًا.

و) العناية باللفظ على حساب المعنى:

فقد كان من آثار مقولة (أعذب الشعر أكذبه) على الأدب العربي، أن انصبّ اهتمام الشعراء على التجويد اللغوي والتجديد الأسلوبي، دون أن يحدثوا شيئًا في معاني الشعر. يقول الشابي متحدثًا عن آثار اعتبار أعذب الشعر أكذبه في الأدب العربي: « أن أصبح لا يعنى فيه إلاّ باللفظ ومامتّ إليه من مجاز واستعارة وجناس ومقابلة، وأن كثرت ثروته اللفظية وقلّت ثروته المعنوية، إذ انصرف الشعراء إلى تمويه الألفاظ وتنميقها، وتجديد الأساليب المتباينة، دون أن يُجدّوا شيئًا في جوهر الشعر وروحه، بل ظلّ كما عهده العرب في الروح والفكر والخيال «

ز) التناقض:

لم تكن عند العرب القدماء رؤية واضحة موحّدة للإبداع الشعري، مما أدّى إلى وقوعهم في التناقض. فهم مثلاً يطالبون الشعراء بالصدق الواقعي النموذجي. ولكن كيف يمكن أن يكون

التصوير الواقعي النموذجي صادقًا؟ بل كيف يكون الشاعر صادقًا؟، وهو يستخدم عبارات وصورًا جاهزة، قد لا تعبّر عن واقع تجربته؟ هذا، في حين يعدّ كاذبًا، إذا استخدم صورًا جديدة تخدم تجربته، ولكنها تخالف المألوف.، وكيف يكون الصدق في التصوير النموذجي، والكذب في المبالغة؟ أليس التصوير النموذجي الذي يعمد الشاعر فيه « إلى وصف الشيء بأحسن ما فيه أو ماليس فيه، نوعًا من المبالغة ؟، إن ظاهرة التناقض بيّنة في تفسيرهم الكذب بالمبالغة، والصدق بالواقعية. فالمبالغة قد تكون أصدق من الحقيقة في التعبير عن ذات الشاعر، كما إن الواقعية قد تكون كاذبة رغم تصويرها للواقع الحرفي. ومن مظاهر التناقض في الرؤية النقدية للشعر عند العرب، انهم رفضوا المبالغة على أنها مظهر من مظاهر الكذب، في حين قبلوها ودعوا إليها في بعض أغراض الشعر، كالمديح والفخر والهجاء. ولعلّ معلقة عمر بن كلثوم من أهم القصائد القديمة التي تبدو فيها المبالغة بشكل واضح ساطع.

لقد كانت المبالغة مرغوبة في المديح لأنّ على الشاعر أن يسعى لإرضاء ممدوحة كما كانت مرغوبة في الفخر لأن عليه أن يعلو فوق الجميع. أما سبب قبولها في الهجاء، فلأنه بوساطتها ينال الشاعر من مهجّوه. وإن سبب قبول المبالغة، كما يلاحظ، يعود إلى مراعاة المتلقي، وهو السبب نفسه الذي رفضوها لأجله. فهم قبلوها بسبب المتلقي ورفضوها بسببه، مما يحمل على القول بأن ارتباط الشعر بالمتلقي هو السبب في بروز ظاهرة التناقض في التفكير النقدي العربي. هذا، وإن اضطراب الرؤية النقدية عند العرب يعود في الكثير من أسبابه إلى انطلاقهم في أحكامهم النقدية من الشعر الجاهلي، ومن كون الشعر لديهم وسيلة امتاع، غايته إرضاء السامع لا التعبير عن تجربة الشاعر[1].

وتبقي هنا إذن ضرورة ملحة في الاهتمام بالشاعر إلى جانب الاهتمام بالمتلقي عن طريق تأصيل قواعد أو قوانين كلية للفن الشعري، يهتدي بها الشعراء في إبداعهم، ويتوصلون بها إلى معرفة القيم الجمالية، التي لابد منها حتي يحقق الشعر مهمته ويؤكد أهميته في حياة الجماعة[2] ومن المؤكد أن المزاوجة بين الجانبين هو ما جعل ناقدا كحازم يقول : «وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة، واضح الكذب خليا من الغرابة، وما أجدر ما كان بهذه الصفة ألا يسمي شعرا وإن كان موزونا مقفي، إذ المقصود بالشعر معدوم منه ؛ لأن ما كان بهذه الصفة من الكلام الوارد في الشعر لا تتأثر النفس لمقتضاه، لأن قبح الهيئة يحول بين الكلام وتمكنه من القلب، وقبح المحاكاة يغطي علي كثير من حسن المحاكي أو قبحه ويشغل عن تخيل ذلك. فتجمد النفس عن التأثر

١ وحيد صبحي كبّابة/ الخصومة بين الطّائِيّيْن وعمود الشعر العربي / ١ / ٨٠، وما بعدها.

٢ مفهوم الشعر/ جابر عصفور / ٢٣٤

له؛ ووضوح الكذب يزعزعها عن التأثر بالجملة»[1]، وذلك قول يلح على الصدق ليواجه تهمة الكذب، ويلح علي القيم الجمالية ليؤكد الأثر المتميز الذي يحدثه الشعر باعتباره وسيطا نوعيا، لتقديم القيم وتوصيلها – ولنقل علي لسان حازم – إن الشعر لا يمكن أن يحقق مهمته ما لم يكن شعرا أصلا، أي مالم يقدم القيم التي يحتويها تقديما جماليا مؤثرا، وإلا فقد خاصيته النوعية بل فقد قدرته علي تحقيق مهمته[2].

ثالثا: مراجعات في فهم قضية اللفظ والمعني عند الجاحظ:

لعل الجاحظ أول من يطالعنا في كتب النقد بالحديث عن اللفظ والعني حيث يرفع من شأن اللفظ، ويغض من شأن المعني من خلال قوله : «وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ والبدويُّ والقرَوي والمدنيّ وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء»[3].

يشير إحسان عباس – متعجبا لهذا القول – إلى أن الجاحظ كان متناقضا في انتصاره للفظ، فلقد وقف الجاحظ من نظريته في الشكل موقفا آخر ينتصر فيه للمعني فهو قوله إن هناك معاني لا يمكن ان تسرق كوصف عنترة للذباب « فإنه وصفه فأجاد صفته فتحامي معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم، ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يحسن القول فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه فيه أنه صار دليلاً على سواء طبعه في الشعر. قال عنترة:

جادت عليها كل عين ثرة ... فتركن كل حديقة كالدرهم

فترى الذباب بها يغني وحده ... هزجًا كفعل الشارب المترنم

غردًا يحك ذراعه بذراعه ... فعل المكب على الزناد الاجذم

فقوله إنه لا يسرق دليل على أن «السر في المعنى» قبل اللفظ[4].

إذن فالعبارة التي اشتهر بها الجاحظ في أنه ينتصر للفظ دون المعني لها ما يبررها ويمكن تلخيص ذلك على النحو التالي:

١ نفسه نقلا عن المنهاج لحازم القرطاجني/ ٢٣٥
٢ نفسه/ ٢٣٦
٣ الجاحظ/ الحيوان/ ٣/ ١٣١
٤ إحسان عباس/ تاريخ النقد الأدبي/ ٩٤

١/ أن الجاحظ لم يتابع أستاذه النظام في قوله بالصرفة تفسيرًا للأعجاز، وإنما وجد ان الأعجاز لا يفسر إلا عن طريق النظم، ومن آمن بان النظم حقيق برفع البيان إلى مستوى الأعجاز لم يعد قادرًا على أن يتبنى تقديم المعنى على اللفظ،

٢/ ان عصر الجاحظ كان يشهد بوادر حملة عنيفة يقوم بها النقاد لتبيان السرقة في المعاني بين الشعراء، ولا نستبعد أن يكون الجاحظ قد حاول الرد على هذا التيار مرتين: مرة بان لا يشغل نفسه بموضوع السرقات كما فعل معاصروه، ومرة بان يقرر أن الأفضلية للشكل لان المعاني قدر مشترك بين الناس جميعًا.

٣ / في طبيعة الجاحظ نفسه، فقد كان رجلاً خصب القريحة لا يعييه الموضوع ولا يثقل عليه المحتوى أيًا كان لونه، ولذا فإنه كان يحس أن المعنى موجود في كل مكان، وما على الأديب إلا أن يتناوله ويصوغه صياغة متفردة[١].

إن عدم تدارك هذه المبررات التي ساقها إحسان عباس قد كان له أثره في الدراسات النقدية والأدبية، أما من حيث النقد فإنها لونت أبحاثهم بلون خاص، جعلتهم يعنون باللفظ عناية واسعة كادت ألا تترك فيهم بقية لبحث جوانب أخرى في النماذج الأدبية. ويجد القارئ الكريم دراسة مفصلة في كتاب المثل السائر لابن الأثير تستوعب كل ما وضعوه من قواعد وأصول في بحث اللفظ وما يطوي فيه من قيم فنية مختلفة. وإن من يرجع إلى هذه الدراسة يلاحظ أنها مع اتساعها لم تلم بكل ما يحسن أن يلموا به في هذا الجانب، وذلك لسبب بسيط جدا هو أنهم بحثوا في اللفظ كشيء منفصل عن المعني قائم بنفسه مستقل تمام الاستقلال. فلم يربطوا بينهما أي ربط ولا بحثوا في تشاكلهما أي بحث إلا إشارات طائرة حين يتكلمون عن الجزالة والرقة والإيجاز والإطناب. لكنها إشارات قلما أغنت شيئا، ونحن لا نرتاب في أنهم لو عنوا حقا بهذا الجانب من الصلة بين اللفظ والمعني فدرسوه دراسة مستفيضة لخرجت إليهم أبحاث كثيرة في التشاكل بين الفكرة. وما يماثلها من صوت ووزن وما يلائمه من موضوع فكنا نعرف أي الأوزان يصلح للغزل أو الرثاء مثلا وأيها لا، وأي الشعراء يمثل معانيه في ألفاظه، وأيهم لا يمت، غير أنهم شغلوا عن ذلك بأبحاث نظرية في اللفظ فتلك كلمة غريبة في السمع، وتلك أخرى ثقيلة في النطق وقلما حاولوا أن يدرسوا اللفظ دراسة صوتية عميقة تربط بينه وبين قائله أو تربط بينه وبين موضوعه[٢].

---

١ نفسه

٢ شوقي ضيف / في النقد والأدب/ ٦٩

رابعا : مراجعات في الموازنة بين البحتري وأبي تمام للآمدي :ج

ليس من الوجاهة في شئ أن نعبر كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري للآمدي مرور الكرام فلابد من إعادة النظر فيما قيل فيه ان الآمدي يبدو فيه تحاملا علي أبي تمام ومنحازا للبحتري، ففيما يتعلق بغموض أبي تمام في معانيه، يقول شوقي ضيف: «.. فأبو تمام غير مسؤول عن هذا الغموض الذي يشكو منه الآمدي، وقديمًا سأله أبو العميثل لماذا لا تقول عن الشعر ما يفهم؟ فأجابه وأنت لماذا لا تفهم ما يقال؟! ولو أن الآمدي كان متخليا عن تعصبه للاحظ أن هذا الغموض أحد الجوانب المهمة التي تميز فن أبي تمام ومذهبه في عمل الشعر، وصناعته، وهو غموض جاءه من أنه يريد أن يرتفع بالشعر عن الطبقات الدنيا إلى الطبقات العليا من أصحاب الثقافة والفلسفة فهو يدخل فيه الفكر الدقيق والغموض علي أنهما شيئان أساسيان في مذهبه، علي أن أبا تمام قد استطاع أن يجعل هذا الغموض شيئا فشيئا، فهو غموض زاه، أو هو غموض فني تلتفت أفكاره في ثياب منه فإذا هي تروعنا روعة المناظر الغامضة في الطبيعة، إذ يعيش الانسان في جو حالم من الشعر والفلسفة والفن»(١).

وفيما يتعلق بمساوئ أبي تمام التي عبر عنها الآمدي في موضع من كتابه يقول «إنه أحسن وأساء، والبحتري أحسن ولم يسئ، ومن أحسن ولم يسئ خير ممن أحسن وأساء» يعلق شوقي ضيف علي هذا التعبير: «.. وهو كلام لا نستطيع أن نسلم به، إذ ليس من شك في أن كل شاعر يحسن ويسئ، وإذا كان أبو تمام قد أساء في بعض شعره، فكذلك البحتري قد أساء هو الآخر في بعض شعره، لأن طبيعة الشعر عند جميع الشعراء تقتضي بأن لا يكون شعر شاعر مستويا في الجودة، أو الرداءة بل يكون فيه الجيد والردئ، والحسن والسئ، ومع ذلك فنحن لو سلمنا للآمدي بقوله لم نخرج إلى نتيجته، ذلك أن الاحسان علي درجات، وربما كان إحسان أبي تمام من طراز غير طراز إحسان البحتري، فالقول بأن أبا تمام أحسن وأساء والبحتري أحسن ولم يسئ لا ينتهي علي ما يريده الآمدي حتما من تفوق البحتري علي أبي تمام، إذ فيه دخل من وجوه كثيرة»(٢).

غير أن محمد علي أبو حمدة يري غير ذلك مما ذهب إليه شوقي ضيف، فان كان شوقي ضيف يري أن الآمدي قد تحامل علي أبي تمام، فإن (أبوحمدة) يري ألا تحامل علي أبي تمام وأن بعض الميل إلى البحتري ليس من النقد في شئ يقول : «فأما الذوق الأدبي عند الآمدي فهو وإن كان أميل إلى

١ نفسه/ ١٤٧

٢ / المرجع نفسه / ١٤٨.

البحتري وطريقته الشعرية، فذلك أمر خارج عن النقد ذاته، وهو ما يقره النقد الأدبي الحديث ويسلم بوجوده، وتبقي العبرة في روح الاحتراس العلمي وتحري العدل والإنصاف، وهو مالم يدفعه عن الآمدي حتى أصحاب فكرة تحيزه للبحتري»[1].

ويستشهد أبو حمدة بقول لأحمد أمين في ذات السياق تعليق: «يقول الاستاذ أحمد أمين .... ولكن الحق أن الآمدي هذا كان إذا عرض لنقد أبي تمام أو البحتري في عيب من عيوبهما، أو ميزة من مميزاتهما، كان عادلا»[2]. ويضيف الاستاذ أحمد أمين قوله: «هذا إلى حسن تعبير، ومعرفة بالنفس الانسانية واطلاع واسع علي كلام من سبقه، وذوق وإحساس يذوق به الجيد من الردئ وعفة في النقد حتي لا يكاد يجرح أحدا منهما، بل لو استطاع أن يمجدهما لفعل، كما يظهر عليه أنه رجل متدين ويري الحكم علي أحدهما كحكم القاضي في نزاع علي مسألة هامة، يقدر مسئولية الحكم يخشي الله ويرجوه»[3].

والحق أني رجعت إلى أحمد أمين أستوثق من هذا الكلام الذي نقله عنه أبوحمدة في كتابه النقد الأدبي فوجدت ما يفهم غير الذي نقله أبو حمدة ؛فأحمد أمين يقر بأن هناك تفضيل للبحتري وتحامل علي أبي تمام لكنه خفي يقول أحمد أمين: «أما الآمدي فمضل للبحتري متحجب يفضله في خفاء ..... نعم إن الآمدي لم يصرح بتفضيله للبحتري علي أبي تمام كما صرح الصولي بتفضيل أبي تمام علي البحتري لكن ذا الحاسة يشم منه ميله إلى تمجيد البحتري وتفضيله علي أبي تمام»[4]، فلا أدري من أين هذا الاضطراب وما دواعيه عند أحمد أمين فهو مرة يقول بأن الآمدي كان عادلا ومرة يقر بأنه كان يميل إلى البحتري ولكن في خفاء ؟ ألم يكن أحمد أمين ذا حاسة لما قال إنه كان عادلا، بل لا أدري لماذا لم ينقل أبوحمدة كلام أحمد أمين الذي أشرنا إليه ولم ينقل بأن أحمد أمين يقر بميل الآمدي إلى البحتري دون تصريح بذلك، وهذا لعمري إضطراب في الناقل والمنقول عنه الأمر الذي يجعلنا نميل كل الميل إلى ماذهب إلى شوقي ضيف في أن الآمدي كان متعصبا للبحتري بخفاء أو بغير خفاء.

علي كل حال فإن الآمدي ترك تراثا نقديا من خلال بالموازنة بين أبي تمام والبحتري لا يمكن تجاوزه في دراسة النقد القديم للشعر العربي لما في ذلك من فائدة كبيرة تظهر أول ما تظهر في إثراء مادة النقد الأدبي القديم أيما إثراء يقول محمد مندور بعد أن استعرض منهج الآمدي في الموازنة

١ محمد علي أبوحمدة/ لنقد الأدبي حول أبي تمام والبحتري / ٩٢

٢ نفسه

٣ محمد علي أبوحمدة / النقد الأدبي حول تمام والبحتري/ ٩٢.

٤ أحمد أمين/ النقد الأدبي / ٤٤٧.

ودرسها في الكتابه النقد المنهجي عند العرب: «موازنة الآمدي إذن فريدة في النقد الأدبي، ونحن لم نقصد إلى إظهار لما فيها من غني، وإنما وضحنا موضوعاتها ومناهجها للقارئ أن يتمهل عندما فيها من تفاصيل، وهو لا ريب واجد عندئذ ثروة لا حد لقيمتها»١، لكن تبقي الخطورة بأن هذه القيمة «تكاد تنعدم بسبب ما تركته الموازنة من تحيز واضح للبحتري خصما علي أبي تمام فلقد صار الأخير منبوذا لصعوبة شعره، وأظننا لا نسرف بعد ذلك إذا قلنا إن كتاب الموازنة يفقد قيمته الأساسية في توضيح فن الشاعرين : أبي تمام والبحتري وبيان مذهبهما وخصائصهما الفنية، ونحن لا نبعد إذا قلنا إنه مسؤول إلى حد ما عما علق بأذهان كثير من الأدباء عن صعوبة أبي تمام، وأن شعره غامض لا يفهم وكان من آثار ذلك أن نبذته الكثرة من أدبائنا دون أن تتبين حقيقة فنه أو تعني بتفسير صناعته، حتي إذا قامت مدرستنا الحديثة،وأخذنا نتعقب الفن في فن الشعر العربي ومذاهبه، وجدنا ديوان هذا الشاعر يصعد إلى القمة في هذا الفن، فقد أودعه صاحبه أطرف ما نجده في شعرنا من تحف فنية رائعة»[٢] .

خامسا : مراجعات في فهم نظرية عمود الشعر :

في اللغة :ا لعمود: عمود البيت، وهو الخشبة القائمة وسط الخباء، والجمع أعمدة، وعمد، وعمود الأمر قوامه الذي لا يستقيم إلا به، والعميد : السيد المعتمد عليه في الأمور، أو المعمود إليه[٣] واصطلاحا هو «طريقة العرب في نظم الشعر لا ما أحدثه المولدون والمتأخرون، أو هي القواعد الكلاسيكية للشعر العربي التي يجب علي الشاعر أن يأخذ بها، فيحكم له، أو عليه بمقتضاها»[٤].

ويمكن تعريفه أيضا بأنه مجموعة الخصائص الفنية المتوفرة في قصائد فحول الشعراء، والتي ينبغي – في نظر النقاد المحافظين – أن تتوافر في الشعر ليكون جيدا، أو هو تلك التقاليد الشعرية المتوارث، أو السنن المتبعة عند شعراء العربية، فمن سار علي هذه السنن، وراعي تلك التقاليد، قيل عنه : إنه التزم عمود الشعر، واتبع طريقة العرب، ومن حاد عن تلك التقاليد، وعدل عن تلك السنن قيل عنه : إنه قد خرج علي عمود الشعر، وخالف طريقة العرب، وفي ذلك يقول

١ / محمد مندور/ النقد المنهجي عند العرب / ٣٥٦
٢ / شوقي ضيف / في الأدب والنقد / / ١٤٨
٣ ابن منظور / لسان العرب، والفيروز أبادي/ القاموس المحيط، مادة عمد
٤ أحمد مطلوب / معجم النقد العربي القديم_ / / ١٣٣

الدكتور أحمد بدوي : «وذلك التعبير منهم يدل علي أنهم يقصدون بعمود الشعر تقاليده الموروثة، والمبادئ التي سبق بها الشعراء الأولون واقتفاها من جاء بعدهم، حتي صارت سنة متبعة، وعزما متوارثا»[1].

يلاحظ في المعني المعجمي أنه لم يذكر ارتباط كلمة العمود بالشعر كما هو في المعني الاصطلاحي، إلا أن هذا لا ينفي أن يكون المعني الاصطلاحي مستوحي من المعني اللغوي، فكما أن بيت الشَّعر (بفتح الشين) هي الأساس الذي يقوم عليه ذلك البيت؛ فإن أصول الشعر العربي وعناصره التي يشير إليها المعني الاصطلاحي تعد أيضا بمثابة الدعامة والركيزة الأساسية التي لا يقوم نظم الشعر الجيد الصحيح إلا عليها[2].

يقول الدكتور إحسان عباس في كتابه «تاريخ النقد الأدبي عند العرب»: «حام الآمدي حول ما أسماه «عمود الشعر»، وحدده في الأغلب بالصفات السلبية، أعني انه ما جانب كثيرًا مما تورط فيه أبو تمام: كالتعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام واستنكراه المعاني والأبعاد في الاستعارة، مما لو عكسته لأصبح صفات للبحتري فتناول الجرجاني هذا كله ووضعه في صورة إيجابية فإذا عمود الشعر ذو أركان محددة»[3]، ثم تبعه القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبئ وخصومه، ثم تلاهما المرزوقي في مقدمة شرحه لديوان الحماسة لأبي تمام[4].

فعمود الشعر عند الجرجاني في الوساطة مجمل في قوله: «وكانت العرب إنما تُفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحّته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلّم السّبْق فيه لَمَنْ وصف فأصاب، وشبّه فقارب، وبدَهَ فأغزَر، ولَمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته؛ ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفِل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض، وقد كان يقع ذلك في خلال قصائدها، ويتّفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصْد، فلما أفْضى الشعر الى المحْدَثين، ورأوْا مواقعَ تلك الأبيات من الغرابة والحسن، وتميّزَها عن أخواتها في الرشاقة واللطف، تكلّفوا الاحتذاء عليها فسمّوْه البَديع؛ فمن محسن ومسيء،

---

١ علاقة الافكار النقدية بالسلطة السياسية حتي القرن الرابع الهجري/ أحمد حلمي / ١٥٦ نقلا عن أسس النقد الأدبي عند العرب، أحمد بدوي / ٥٣٣

٢ نفسه / ١٥٦

٣ تاريخ النقد الأدبي/ ٣٢٢.

٤ مناهج النقد الأدبي عند العرب/ السعافين وآخرون/ ٢٤٠

ومحمود ومذموم، ومقتصد ومُفرط»[1] وتفصيل الأمر كالآتي:

أ/ شرف المعني : أي سمو المعني، ومناسبته لمقتضي الحال.

ب/ صحة المعني : أي اشتماله علي الصحة المنطقية، وتمشيه معى مبدأ الجودة المثالية أي تحويل الموصوف إلى مثل أعلي في جنسه .

ج/ جزالة اللفظ :الجزالة صفة تغلب علي قوة الأسلوب الذي لا هو بالضعيف الركيك ولا الغريب المعقد، وهو ما أسماه الجرجاني (النمط الأوسط) وحده بأنه «ما ارتفع عن الساقط السّوقيّ، وانحط عن البدويّ الوحشي

د/ استقامة اللفظ : وتعني دقة اللفظ في أداء المعني إيحاء وسهولته، وألفته علي الأسماع فلا يكون غريبا عليها أو بعيدا عنها، كما تعني استقامة اللفظ طواعيته لقواعد النحو والصرف .

هـ/ الاصابة في الوصف: الوصف في عرف النقاد محاكاة وتمثيل لفظي للشئ الموصوف كوصف المتنبئ للأسد. أو أنه وصف للمشاعر والأحاسيس كما يتجلى في نسيب متيمي العرب ومتغزليهم

و / المقاربة في التشبيه: التشبيه لمح صلة بين أمرين حسيين أو متخيلين والجرجاني يقرن الوصف بالتشبيه، حيث يمكن النظر إلى ضوابط الوصف بالتشبيه، على أنها تتمة وتوضيح لمقياس الاصابة في الوصف، إذ أن الوصف دون التشبيه يكون بحكم المستحيل في الشعر خاصة

ز/ البديهة الغريزة: وهي تدل علي الطبع والموهبة، وتدفق القريحة، وهي عادة توحي بالقدرة علي الارتجال وقد توحي بسرعة رد الفعل تجاه مختلف المؤثرات الخارجية من حزن وحب وحماسة ... الخ فإذا توفرت للشاعر غزارة البديهة تعددت الموضوعات التي يعالجها وتعددت معها أبيات الشاردة والواردة، وأمثاله السائرة

ح/ كثرة الأمثال السائرة والأبيات الشاردة[2].

ذات هذه الشروط نجدها عند المرزوقي، «وهذا يعني أن النظرية آخذة في التطور والنمو، فالمرزوقي يقدم نظرية عمود الشعر ثم يعقبها بوضع المعايير التي نحكم بها لي صدق كل شرط

١ الوساطة / الجرجاني/ ١/ ١١

٢ السعافين / مناهج النقد عند العرب / ٢٤٢

منها.. وهو بين الهدف من وضع هذه النظرية وهو تمييز تليد الصنعة من الطريف، وقديم نظام القريض من الحديث. ولتعرف مواطئ أقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم إقدام المزيفين علي ما زيفوه، ويعلم أيضا فرق مابين المصنوع والمطبوع وفضيلة الآتي السمح علي الأبي الصعب»[1] .

وبالنظر في المعايير التي وضعها لتلك الشروط نجد الرجل يوضحها واحدا تلو الآخر بطريقة غامضة في معظم الأحيان تجهد القارئ حتي يصل إلى المراد منها، ونادرا ما يقرب لك الأمر بالأمثلة كما فعل وهو يشرح عيار الشرط الخامس وهو (التحام أجزاء النظم والتئامها علي تخير من لذيذ الوزن)،فقد أرجع المقياس أو العيار إلى (واللسان الطبع) ثم وضح ذلك بالشرح وبالأمثلة ..فبين أن طبع المبدع أو المتلقي وكذلك علي لسانهما .. إذا سار بين أجزاء النظم بسهولة، ويسر دون تعثر أو تحبس (فذلك يوشك أن تكون القصيدة منه كالبيت والبيت كالكلمة تسالما لأجزائه وتقاربا والا يكون كما قيل فيه

وشعر كبعر الكبش فرق بينه ... لسان دعي في القريض دخيل

وكما قال خلف:

وبعض قريض الشعر أولاد علة ... يكد لسان الناطق المتحفظ

وكما قال رؤبة لابنه عقبة وقد عرض عليه شيئا مما قاله، فقال :(قد قلت لو كان له قران)[2].

و يزيد الأمر شرحا ووضوحا حين يبين السبب في إصراره في هذا الشرط علي ضرورة اختيار الوزن الملائم لأجزاء النظم حتى يتم الالتئام المطلوب، وذلك لأن الشعر إذا جاء علي وزن لذيذ فإن وقعه علي المتلقي يكون وقعا طيبا يؤثر في نفسه ويطربه فيتغني به ويلتذ بتكراره .. يقول «وإنما قلنا علي تخير من لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه ويمازجه بصفائه، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه، ولذلك قال حسان :

تغن في كل شعر أنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

وكأن المرزوقي وهو يشير إلى (تخير لذيذ لوزن)، إنما يفتح شهية الجدل حول قضية نقدية أخرى وهو مدي ملاءمة الوزن أو (البحر الشعري) للغرض الذي تقال فيه القصيدة.. وهي

١ كمال عبد العزيز/ نقد النقد / نقلا عن مقدمة شرح الاختيار المنسوب إلى أبي حاتم المعروف بكتاب الحماسة للمرزوقي / ٧٩

٢ المرجع السابق نفسه/ ٨١

قضية قديمة جديدة تتحدث عن بحور شعرية تكون أكثر مناسبة للفخر أو وصف المعارك تجلجل فيها الأوزان أو تصلصل.. وأخرى هامسة رقيقة تناسب الغزل والنسيب.. ونجد صدي تلك القضية في محاولة أمين البستاني في مقدمته لترجمته الشعرية لإلياذة هوميروس إذ حاول عن طريق الاستقصاء أن يدلل علي أن بعض بحور الشعر العربي القديم كانت تستخدم في أغراض معينة فبحر الكامل والطويل مثلا كانا يستخدمان في الأغراض التي تطلب طول النفس الشعري كالمديح، بينما بحر وثاب كالمتدارك كان يستخدم في الأغراض ذات الطابع المرح، ولكن ناقدا آخر هو الدكتور محمد مندور يري غير ذلك «لأن كل بحر من البحور الستة عشر كان يستخدم في أغراض مختلفة، ولم يحدثان خصص بحر معين لغرض معين وإنما كان الأمر متروكا لسليقة الشعراء وذوقهم ومدي إحساسهم بمدي الملاءمة بين الموسيقي والغرض الشعري . وما يراه الدكتور مندور نراه أقرب الي فهم المرزوقي إذ يترك الأمر لحرية الشاعر، فالمهم أن يتخير الوزن اللذيذ الملائم لذوقه وللغرض الشعري الذي يتناوله»[1].

ولا يعتبر الشاعر شاعرا إذا تم تجاوزها كما يشير إلى ذلك ابن خلدون في المقدمة (في فصل صناعة الشعر ووجه تعلمه) حيث أكد علي ضرورة إتباع أساليب العرب وهو يشير بذلك إلى عمود الشعر، وقد وصل به الأمر إلى اعتبار ما كان الكلام منظوما، وليس علي تلك الأساليب لا يكون شعرا) وهو يذهب إلى أكثر من ذلك حين يذكر أن الكثير ممن لقيه من شيوخه في هذه الصناعة الأدبية يرون أن (نظم المتنبئ والمعري ليس من الشعر في شئ لأنهما لم يجريا علي أساليب العرب،ولعل هذا تفصيل مانجده عند المرزوقي في مقدمة شرحه لحماسة أبي تمام، وإن لم يكن قد شرحها كلها[2] .

فالمهم هنا في التساؤل هل وضع المرزوقي تلك الشروط وفي ذهنه صعوبة تحصيلها جميعها؟ أم أنه يطمح إلى المثل الأعلي في الشعر؟

إننا إذا تأملنا تعقيبه على تلك الشروط ومعاييرها نجد أنه لم يؤكد ضرورة التزام الشعراء بها مجتمعة.. وإن كان يتمني ذلك – حتى ينال الشاعر لقب (المفلق العظيم).. بل إنه ترك الباب مفتوحا للاجتهاد.. فكل بقدر طاقته يقول (فهذه الخصال عمود الشعر عند العرب، فمن لزمها بحقها وبني شعره عليها ؛فهو عندهم المفلق المعظم والمحسن المقدم، ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته منها بكون نصيبه من التقدم والاحسان، وهذ إجماع مأخوذ به، ومتبع نهجه حتي الآن.

ومعني ذلك أن نظرية عمود الشعركما يقول إحسان عباس:»رحبة الأكناف واسعة الجنبات،

١ المرجع نفسه/ ٨١.

٢ ابن خلدون / المقدمة / ٢/ ٣٢٣

وأنه لا يخرج من نطاقها شاعر عربي أبدا، وإنما تخرج قصيدة لشاعر أو أبيات في كل قصيدة، ويترتب علي ذلك أن من يتجاوز عمود الشعر أو يقصر في جانب من جوانبه (لا يعد متجاوزا لقضية الشعر)[1].

ويقول طه / حسين في ذات السياق مشيرا إلى ما يفهم منه أن التجديد في عمود الشاعر العربي لايخرج الشاعر من كونه شاعرا:» من أصولنا النقدية في الأدب عمود الشعر هذا الذي لم يستطع القدماء تحديده ولكنهم حرصوا عليه أشد الحرص، وهذا الذي لم يستطع أحد من شعرائنا أن ينحرف عنه في حقيقة الأمر، مهما يقل في (مسلم)، و(أبي تمام)، و(المتنبئ)، وغيرهم فهؤلاء وأمثالهم قد هموا أن يجددوا، وجددوا بالفعل في كثير من الأشياء ولكنهم احتفظوا دائما بفصاحة الكلمة وبرونقها ورصانتها»[2].

ويؤكد الدكتور سعيد الأيوبي هذا الكلام بمزيد من التفصيل حيث ينقل لنا أن بعض أشكال التمرد علي عمود الشعر بسبب من الاعتقاد أن عمود الشعر يضعف من ملكة الخيال وما لايخرج من الشاعرية، يقول :»لقد كانت القصيدة العربية التقليدية بقالبها الثلاثي مسيطرا علي الخيال والانتاج الشعريين منذ العصر الجاهلي، ولم يكن ذلك سبب ضعف ملكة الخيال الخلاق عند الشعراء العرب، بل الحقيقة أن قواعد الشعر العربي وقوانينه الشكلية والمعنوية أو ما يسمي بعمود الشعر فرضت علي الشاعر لغاية أن ما خرج علي مفهوم القصيدة – أو لم يلمح إليه بطريقة ما لا يعتبر شعرا وهذا ما يفسر لنا مثلا الهجوم النقدي ضد أبي تمام والمتنبئ، وكان هذا الهجوم من حيث المعني، أي الصورة الشعرية أما ما كان يسمي بهيكل القصيدة فكثير من القصائد كانت تتمرد عليه وتخالفه في بنائها الشكلي أو الهندسي، وفي مضمون أجزائه أو كماله، غير أنها علي الرغم من هذا الخروج كان الشعراء يحافظون علي بعض الخصائص التي تشير أو تلمح بطريقة أو أخرى إلى هذا الشكل الثلاثي الذي يكون هيكل القصيدة، فيشترك الرثاء، والهجاء، مثلا بالرغم مما يختلف فيهما من موضوع الجزء الثالث، وما ينتج عن ذلك من تغير في الجزأين الأولين في بناء القصيدة، فهل كان قالب القصيدة القديمة وسيطرته العجيبة علي كل من الخيال، والانتاج الشعريين عائقا علي الخلق والابداع، يقيد الشعراء، ويمنعهم من التحرر والانطلاق للتعبير عن تجاربهم وعواطفهم ومشاكلهم الحياتية كما ادعي بعض الدارسين المحدثين ؟ الحقيقة أن قالب القصيدة ليس قيدا شكليا يمنع من التحلق في سماء الابداع الشعري، بل هو أساس نمطي يسمح

١ تاريخ النقد الادبي عند العرب/ احسان عباس/ ٦٦

٢ كمال عبد العزيز / نقد النقد / / ٨٢

للشاعر بأن يعبر عن تجربته الشخصية مستقلة حينا، ومندغمة بالتجربة الانسانية العامة حينا آخر، من خلال شكل ذي أبعاد نفسية وفبلية وطقسية، وأسطورية في الوقت نفسه[1].

وبالجملة ليس هناك مكان في فكرنا النقدي القديم لإقصاء للشاعرية تماما عن شاعر لمجرد أنه خالف بعضا مما جري علي لسان العرب، لكن هذا يعني أننا في أمس الحاجة إلى كثير من شروط الالتزام بما جري علي ألسنة العرب من خلال ما عرف فيما بعد بنظرية عمود الشعر في ظل موجة الاغراب والاحالة والاسفاف التي تزحمنا بها قصيدة النثر. فما أحوجنا إلى جزالة اللفظ واستقامته، أو إلى شرف المعني وصحته.. بل ما أشد حاجتنا إلى المقاربة بين التشبيه ومناسبة المستعار منه للمستعار له بعدما عيينا وأصابنا الغثيان مما حفلت به بعض قصائد مدعي الشعر في زماننا من الركاكة والسماجة والتكلف، وبكل مايؤذي السمع ويفسد الذوق[2].

سادسا: مراجعات في مشكلة السرقات الأدبية عند ابن الأثير:

يستوقفنا هنا التقسم الموضوعي لابن الأثير فيما يتعلق بأشكال السرقات الأدبية كالنسخ والسلخ والمسخ: ففيما يتعلق بالمسخ فلفظة المسخ فلقد «انتقلت إلى المجال الأدبي، وشكلت مصطلحا معياريا في باب الأخذ والسرقة، وأطلقت علي الأشعر التي حولت صورتها من حسنة إلى قبيحة فقالوا: أما المسخ فهو إحالة المعني إلى ما دونه، مأخوذا ذلك من مسخ الآدميين قردة واستدلوا بذلك بقول عبد السلام بن رغبان:

نَحْنُ نُعَزِّيكَ وَمِنْكَ الهُدَى ... مُسْتَخْرجٌ والصَّبْرُ مُسْتَقَبَلُ

نَقُولُ بِالْعَقْلِ وَأَنْتَ الذِّي ..... نَأْوِي إِلَيْهِ وَبِهِ نَعْقِلُ

إِذَا عَفَا عَنْك وَأَوْدَى بِنَا .....والدَّهْرُ فَذَاكَ المحسن المجمل

أخذه أبو الطيب فقلب أعلاه أسفله فقال:

إِنْ يَكُنْ صَبْرُ ذِي الرَّزِيَّةِ فَضْلاَ ... فَكُنِ الأَفْضَلَ الأَعَزَّ الأَجَلاَّ

أَنْتَ يَا فَوْقَ أَنْ تُعَزَّى عَنِ الأَحْبَابِ ... فَوْقَ الَّذِي يُعَزِّيكَ عَقْلاَ

وَبِأَلْفَاظِكَ اهْتَدَى فَإِذَا عَزَّاكَ ..... قَالَ الَّذِي لَهُ قُلْتَ قَبْلاَ

١ الأيوبي/ المراثي/ ٤٧

٢ كمال عبد العزيز / نقد النقد/ ٨٣،

والبيت الأخير من هذه الأبيات هو الآخر قدرا وهو المخصوص بالمسخ وأما قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة فهذا لا يسمى سرقة بل يسمى إصلاحا وتهذيبا

فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي:

(لَوْ كَانَ مَا تُعْطِيهِمُ مِنْ قَبْلِ أَنْ ... تُعْطِيهِمُ لَمْ يَعْرِفُوا التَّأْمِيلاَ)

وقول ابن نباتة السعدي

(لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئًا أُؤَمِّلُهُ ... تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلاَ أَمَلِ)

وعلى هذا النحو ورد قول أبي نواس في أرجوزة يصف فيها اللعب بالكرة والصولجان فقال من جملتها:

(جِنٌّ عَلَى جِنٍّ وَإِنْ كَانُوا بَشَرْ ... كَأَنَّما خِيطُوا عَلَيْها بِالإِبَرْ)

ثم جاء المتنبي فقال:

(فَكَأَنَّهَا نُتِجَتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ ... وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلى صَهَوَاتِهَا)

وبين القولين كما بين السماء والأرض فإنه يقال ليس للأرض إلى السماء نسبة محسوسة وكذلك يقال ههنا أيضافإن بقدر ما في قول أبي نواس من النزول والضعف فكذلك في قول أبي الطيب من العلو والقوة وربما ظن بعض الجهال أن قول الشماخ:

(إذا بَلَّغْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي ... عَرَابَةَ فَاشْرَقِي بِدَمِ الْوَتِينِ)

وقول أبي نواس:

(وَإِذَا المَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا ... فَظُهُورُهُنَّ عَلَى الرِّجَالِ حَرَامُ)

من هذا القبيل الذي هو قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة وليس كذلك فإن قلب الصورة القبيحة إلى صورة حسنة هو أن يؤخذ المعنى الواحد فيكسى عبارتين إحداهما قبيحة والأخرى حسنة فالحسن أو والقبح إنما يرجع إلى التعبير لا إلى المعنى نفسه وقول أبي نواس هو عكس قول الشماخ وقد تقدم مثل ذلك قيما مضى من ضروب السرقات ألا ترى إلى قول أبي الطيب المتنبي وقول الشريف الرضي فقال أبو الطيب:

إنِّي عَلَى شَغَفِي بِمَا فِي خُمْرِهَا ... لأَعِفُّ عَمَّا فِي سَرَاوِيلاتِهَا

وقول الشريف الرضي:

أَحِنُّ إلَيَ مَا تَضْمَنُ الخُمْرُ وَالحُلَى ... وَأَصْدِفُ عَمَّا فِي ضَمانِ المآزِرِ

فالمعنى واحد والعبارة مختلفة في الحسن والقبح[1]

إن مصطلح التهذيب لا ينبغي أن يّرِد هنا « ..ليست لفظة المسخ من المفردات التي تفيد في الوقت الواحد المعني الايجابي والسلبي، بل هي من المفردات التي لا تحتمل إلا المعني السلبي ..فشتان مابين المسخ والاصلاح والتهذيب فاصطلاح المسخ لا يحتمل إلا دلالته علي نقل الشعر من صورة حسنة إلى صورة قبيحة»[2]، فحقيق بنا إذن أن نأخذ بالإبداع الذي لايبعد كثيرا عن الأصالة التي «لاتتمثل فقط في في جدة المعني، أو ابتكاره والسبق إليه، وإنما تمتد أيضا إلى صياغته لتضفي عليه من الاشعاعات الدالة، والظلال الموحية ما يكشف عن العلاقات الطريفة التي تنشأ من الصياغة وترتد إليها.

فليس هناك أسلوبان متشابهان تمام التشابه مهما اتفقا في في المعني والفكرة، والتقيا حول المضمون والمحتوى إذ إن تصرفا طفيفا بالحذف والزيادة، والتأخير أو التقديم، والإظهار أو الاضمار والتعريف، والإنكار، كل ذلك من شأنه أن يضفي علي اللاحق من الطرافة ما لم يتضمنه المعني السابق، تلك حقيقة الأصالة، ولهذا سوق التوليد والأخذ.، واعتبرت الصياغة هي الشأن في الشعر ومرجع السبق والأولية، وأساس الفضل والمزية. ولقد قدم التراث النقدي من الأمثلة ما يدل علي أن مجرد التشابه في المعني لا يكفي للحكم بالسرقة، وأن النظم هو محل التفاوت وإليه يرجع الشأن كله فالأصالة لا تقتصر علي الجدة الكاملة، أو الخلق المحض، أو الامتياح من الموهبة الفطرية والطبع الساذج وإنما تنسحب أيضا إلى الشكل والصياغة لتجعل طريقة التناول موضعا للمزية، وأساسا للتفرد والأصالة، حتي كان من موطن الملاحظة أن نطالع كثيرا عبارة تتردد تشيد بالتوليد أو الأخذ الفني وتجعله حسنا يخرج من حيز الاتباع إلى حيز الإبداع بل لأن يسمي ابداعا أولي» [3].

١ نفسه/ ٣/ ٣٣١

٢ عبد الرازق بلال/ جدلية التعالق النصي بين السرقات الأدبية والتناص/ ١٥٥

٣ محمد طه عصر / مفهوم الابداع في الفكر النقدي عند العرب / ٤٣

سابعا: مراجعات في مقولة القاضي الجرجاني (الدين بمعزل عن الشعر):

مقولة: (الدين بمعزل عن الشعر): قال بها القاضي الجرجاني ردًا على من اتهم المتنبئ بضعف الدين وفساد المذهب في الدين خصوصا في قوله:

ترَشفْن من فمي رشَفاتٍ ... هنّ فيهِ أحلى من التوحيد

«فلو كانت الديانة عارًا على الشعر وكان سوء الاعتقاد سببًا لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحى اسمُ أبي نواس من الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولَكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزِّبَعري وأضرابُهما من تناول رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بُكْمًا خرسًا، وبِكاء مفحمين؛ ولكنّ الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر»[1].

فليس صحيحا أن نفهم مقولة عزل الدين عن الشعر للجرجاني بمعني ألا يؤاخذ الشاعر فيما يقوله وفقا لتعاليم الدين ومعايير الأخلاق فلقد شهد التاريخ بمواقف رافضة لبعض صور الفسق والفجور في تراثنا النقدي نأخذ منها موقف أبي الهذيل من شعر العباس بن الأحنف وقد كان شاعر مجيدا يقول صاحب الأغاني: كان العباس بن الأحنف شاعرا مجيدا غزلا وكان أبو الهذيل العلاف يبغضه ويلعنه لقوله

إذا أردتُ سُلُوًّا كان ناصركم ... قلبي وما أنا من قلبي بمنتصِر

فأَكْثِروا أو أَقِلُّوا من إساءتكم ... فكلُّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ

قال فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا ويقول يعقد الكفر والفجور في شعره[2].... وبناءً علي ذلك فإن: «عبارة (الدين بمعزل عن الشعر) لا تعني إبعاد الدين عن الشعر، ولا تعني الفصل بينهما، أو إلماعا إلى أنهما نشاطان متنافران، أو أن اتصالهما قد يؤدي إلى إضعاف الشعر أو لينه كما فهم ذلك بعض الباحثين المعاصرين، لكنه فصل بين الحكم علي الشاعرية وسلوك صاحبها أو عقيدته[3].. ولعل من هؤلاء المعاصرين مثل من يقول بجواز للشاعر مالا يجوز لغيره من حيز التجاوز

---

١ الجرجاني / الوساطة / ١/ ١٩

٢ الأصفهاني / الأغاني ٨/ ٣٦٩.

٣ وليد قصاب / مجلة الادب الاسلامي/ ١

اللغوي فيما يدخل في ضرورات الشعر إلى حيز التجاوز الديني والخلقي بحجة حرية الشاعر وجموح الابداع، ومن هؤلاء من يحتج بأن الشاعر لا يقام عليه الحد بقوله دون فعله، ويستشهدون علي ذلك بخبر والي ميسان في قوله :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا في الجوسق المتهدم

وهو يعني بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي لم يقم الحد علي الوالي الشاعر ناظرا إلى قوله تعالي في سورة الشعراء (وأنهم يقولون ما لا يفعلون).، والحقيق أن عمر رضي الله عنه وإن لم يقم الحد علي الوالي فإنه عزله عن الامارة وفي ذلك دلالة واضحة أن الاسلام لا يقبل الخروج عن الدين قولا وفعلا[1] وفي المقابل يمكن أن نأخذ بشعر الكافر والفاسق والماجن طالما أن شعره يدعو إلى قيم الحق والفضيلة ولا تناقض «وهاهم النقاد يستشهدون بأشعار الجاهلية وبأشعر فسقة أو فجرة أو يهود، أو نصاري تدعو إلى قيم الحق والخير فمثلا لذلك ينقل قصاب عن الاصمعي الطمحان القيني : «كان شاعرا مجيدا، وكان مع ذلك فاسقا» وكان يقول عن الحطيئة: «كان الحطيئة متين الشعر، وكان دنئ النفس».... ويقول نتيجة لهذا الكلام: « ولو صدرت الحكمة عن فاسق، أو ماجن او كافر، أو مجنون، فإنه لا شئ يمنع من أخذها والاشادة بها بل تبنيها والدعوة إليها، وإن أرقي انواع الالتزام عند الادباء وغيرهم أن يقترن القول بالعمل وأن يصدق الكلام، ....[2].

لابد إذن أن تكمن مهمة النقد في الكشف عن أسرار الجمال يجعل من العقيدة مقياسا خارجا عن تقويم جمال الشعر إنتاجا ونقدا، وإن انطلقنا من أن الشعر حين يتعامل مع اللغة فإنه يمرر عبرها سلسلة من القيم، وأن وظيفته لا تقتصر علي الجمال الخالص، وإنما يتجاوز ذلك إلى بث قيم يسعي إلى ترسيخها في وجدان المتلقي وتفكيره عبر صيغ تعبيرية جميلة تكرس ذلك المسعي، إذ ذاك تصبح العقيدة جزءا أصيلا من معايير قبول الشعر أو رفضه. إن العقيدة المتحدث عنها قد لا تكون دائما عقيدة دينية، فقد تكون فكرية، أو اجتماعية، أو إنسانية وقد تكون هذه الأخيرة مجتمعة، أو منفصلة مجتمعة بالعقيدة الدينية، ومن هنا تطرح قضية الالتزام من أوسع أبوابها.

إن الشعر الذي لايتبني هذفا إنسنيا نبيلا لا قيمة له، وأن نقد الشعر الذي يتوقف عند حدود التحليل لا يؤدي وظيفته في التوجيه والتقويم، مهما كانت نوعية النظرية أو المنهج الذي يتبناها

١ عبد القدوس صالح/ مجلة الادب الاسلامي/ ١
٢ وليد قصاب مجلة الادب الاسلامي / ٤٣

هذا التحليل سواء بارجاع الشعر إلى سيرة الشاعر الذاتية، أو بارجاعه إلى وضعيته الاجتماعية وتعبيره عن رؤيته فئته.....»[1].

أما ما كان من أمر نص الجرجاني فقد قال بتلك العبارة بناءا علي تأثره بالتيارات الفلسفية التي أسهمت في استقواء التيار الذي يفصل بين الشعر والدين والأخلاق في الحكم النقدي، علي الرغم من حرص الثقافة الفلسفية علي تقدير النشاطات الانسانية – بما فيها الشعر – التي تخدم الجانب الأخلاقي،٢ كما نري ذلك عند قدامة بن جعفر المتأثر بالمنطق الأفلاطوني، إذ لم يعر الأخلاق ولا الدين إهتماما في قوله : «وعلى الشاعر إذا شرع في أي معنى كان، من الرفعة والضعة، والرفث والنزاهة، والبذخ والقناعة، والمدح والعضيهة، وغير ذلك من المعاني الحميدة والذميمة: أن يتوخى البلوغ من التجويد في ذلك إلى الغاية المطلوبة»[3].

خلاصة:

وبعد فإن ما سقناه من تصحيحات لبعض المفاهيم النقدية قام بها نقاد معاصرون نعتقد أنهم أحسنوا قراءة التراث النقدي حتى القرن الرابع الهجري، ثم قاموا بتنقيته مما شابه من قراءات خاطئة يعد أمرا مهما جدا لاستشراف نقد عربيي أدبي مبني علي أسس من خلال ما توصلوا إليه من تقريرات نجملها كالآتي:

١/ الشعر شعور وخيال وتخييل، وعدم المزاوجة بين المبدع والمتلقي أمر يضر بالعملية الشعرية والموهبة الشعرية وتفضي إلى تفعيل الاتهام بالكذب.

٢/ الاهتمام باللفظ والمعني معا من أميز اهتمامات النقاد حتى القرن الرابع الهجري وليس صحيحا ان الجاحظ ينتصر للفظ دون المعني. في كل الأحوال أما ما شتهر عنه بالانتصار للفظ له ما يبرره.

٣/ الخروج عن عمود الشعر العربي القديم لا ينفي عن الشاعر شاعريته طالما التزم برونق اللفظ واستقامة المعني.

٤/ ابن الأثير لم يكن موفقا فيما يتعلق بمصطلح المسخ حين خرج به من مفهوم السرقة إلى مفهوم الاصطلاح والتهذيب وإنما كان الأجدي أن يخرج به إلى مفهوم الابداع والابتكار.

---

١ بشري تاكفراست/ الاسلامية وسؤال النقد الأدبي مجلة الدراسات اللغوية والأدبية / العدد الأول / ٢٧٩

٢ احمد حلمي / علاقة الافكار النقدية بالسلطة السياسية / ٢٥٤

٣ قدامة بن جعفر / نقد الشعر/ ٢

٥/ منهج الآمدي في الموازنة أضر بسمعة أبي تمام كشاعر له مكانته. مما يلزم استعادة تلك المكانة.

٦/ مقولة الجرجاني الدين بمعزل عن الشعر تعني أن الموهبة الشعرية والابداع الشعري هما بعزل عن الدين بمعني أنهما لا يتوقفان على دين الشاعر أو تفلته من الدين.

أهم المصادر والمراجع:

١. البيان والتبيين، الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر: تحقيق: المحامي فوزي عطوي دار صعب – بيروت، ١٩٦٨.

٢. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، ١٩٨٣ دار الثقافة – لبنان

٣. الجامع المسند، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري تحقيق، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ

٤. الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري

٥. الحيوان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر دار الجيل،١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

٦. الخصومة بين الطّائِيّيْن وعمود الشعر العربي. وحيد صبحي كبّابة، اتحاد الكتاب العرب،.١٩٩٧

٧. سيرة الشاعر، هل تؤثر في الحكم عليه، وليد قصاب، مجلة الأدب الإسلامي رابطة الأدب الاسلامي العالمية، العدد٨١، الرياض ٢٠١٠

٨. الاسلامية وسؤال النقد الأدبي، بشري تاكفراست/ مجلة الدراسات اللغوية والأدبية / العدد الأول / الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، كوالا لامبور ٢٠٠٩

٩. الصورة والبناء في المرائي الجاهلية، سعيد الأيوبي منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، مكناس، المغرب،١٩٩٦

١٠. نقد الشعر، قدامة بن جعفر تحقيق س.أ، بونيباكير، مطبعة بريل، لندن، ١٩٦٥.

١١. في الأدب والنقد، شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة. ١٩٩٩،

١٢. المثل السائر، ابن الأثير المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن تحقيق : محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية – بيروت، ١٩٩٥

١٣. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ١٤٠٦

١٤. الوساطة بين المتنبئ وخصومه الجرجاني، علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيس الحلبي، القاهرة،١٩٦٦

١٥. علاقة الأفكار النقدية بالسلطة السياسية حتى القرن الرابع الهجري أحمد حلمي عبد الحليم خلف،٢٠١٤، الهيئة العامة المصرية للكتب، القاهرة.

١٦. العقد الفريد، ابن عبدربه، تحقيق أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة،١٩٧٣

١٧. مفهوم الشعر، دراسة في التراث النقدي، جابر عصفور، الهيئة العامة المصرية للكتاب،٢٠١٧ القاهرة،

١٨. مقولة القاضي الجرجاني عبد القدوس أبوصالح/ مجلة الأدب الإسلامي رابطة الأدب الاسلامي العالمية، العدد٦٥، الرياض ٢٠١٠

١٩. الموازنة بين الطائيين، بشر الآمدي، دار المعارف، القاهرة،١٩٦١.

٢٠. النقد الأدبي حول أبي تمام والبحتري في القرن الرابع الهجري، محمد علي أبو حمدة، مكتبة الجامع الحسيني، عمان الأردن،١٩٦٩.

٢١. النقد المنهجي عند العرب، محمد مندور، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، د.ت.

٢٢. مفهوم الإبداع في الفكر النقدي عند العرب، محمد طه، عصر عالم الكتب، القاهرة ٢٠٠٠،

٢٣. النقد الأدبي، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٧

٢٤. نقد النقد، كمال عبد العزيز، مكتبة الآداب، القاهرة،٢٠١٠

التجديد في الشعر السوداني

بقلم: د. إيمان الطريفي عبد الرحمن
أستاذ مشارك جامعة البحر الأحمر
كلية التربية بورتسودان
ايميل: emanhbi@gmail.com

مستخلص الدراسة:

كان الهدف من الدراسة إعطاء ملامح عامة عن التجربة الشعرية وما أحاط بها من نقد، من حيث موضوعاته ومن حيث الشّكل الشعري للقصيدة فتناول الشعراء موضوعات تقع في باب الرومانتيكية وأخرى تقع في باب القومية وخرجوا من باب الانكفاء الذاتي إلى آفاق الحياة الإنسانية الرحبة كما كتبوا بالشعر المرسل وشعر التفعيلة. كما وضحت أن الانفتاح على تجارب الآخرين أتاح للشعراء السودانيين ولوج كثيرٍ من المجالات الشعرية. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. توصلت الدراسة الى أن تأثرت موضوعات الشعر كما تأثر شكل القصيدة من خلال من حملوا لواء التجديد متأثرين بما اطلعوا عليه من آداب الشؤون الغربية فتنالوا أغراضًا مختلفة ورادوا آفاقًا إنسانيةً وقومية لم تكن من قبل مطروقة كما كتبوا شعر التفعيلة والشعر الحر والمرسل فجددوا وأثروا الحياة الأدبية ووضعوا بذورًا للكثير من القيم الشعرية توصي الدراسة بالاهتمام بدراسة اتجاهات الشعر السوداني ومناهجه النقدية في ضوء الاتجاهات الحديثة المعاصرة لمعرفة مدى قربنا أو بعدنا مما هو حادث في العالم المعاصر خاصة والعولمة الثقافية تتجه نحو إماتة الخصوصيات الثقافية .

Renewal in the Sudanese poetry

Dr. Eman Altarifi Abdelrahman
(Faculty of Education-Portsudan)
The Red Sea University.
E-mail: emanhbib@gmail.com

Abstract of the Study

The aim of the study was to give general features about the poetic experiment and criticism in regards to the object and the poetic form of the poem. The poets have dealt with such topics like romanticism and nationalism. They have emerged from self-alienation to the horizon of real life. They wrote in blank and meter poetry. The poetic experiment showed openness to the experiments of other people has allowed the Sudanese poets to enter various poetics fields. The study followed the descriptive analytical method. The study arrived at the following results: The topics of the poetry and the form of the poem have been affected by those who carried the banner of renewal and who have dealt with various poetics aims. They have written in blank and meter poetry and enriched the literary life. The study recommends paying attention for the study of the Sudanese literature and it criticism methods in the light of contemporary modern trends to know to what extent we are near or far from what is happening in the contemporary world, particularly, globalization is heading to kill cultural privacy.

هيكل الدراسة:

أهدف الدراسة: تأتي الدراسة بغرض الحرص على أهمية الأدب السوداني وإعطاء ملامح عامة عن التجربة الشعرية، وما أحاط بها من نقد وأبانة الأحكام النقدية وفق المنظورات الحاضرة عن تلك التجربة. كذلك تتبعت هذه الدراسة، المؤثرات المختلفة التي أحاطت بتلك التجربة الشعرية والنقدية، الرئيسة في الشعر من حيث موضوعاته ومن حيث الشّكل الشعري للقصيدة فتناول الشعراء موضوعات تقع في باب الرومانتيكية وأخرى تقع في باب القومية وخرجوا من باب الانكفاء الذاتي إلى آفاق الحياة الإنسانية الرحبة كما كتبوا بالشعر المرسل وشعر التفعيلة.

فروض الدراسة:

تفترض الدراسة أن الانفتاح على تجارب الآخرين أتاح للشعراء السودانيين ولوج كثيرٍ من المجالات التي أفادت الشعر السوداني. وتأثرت موضوعات الشعر كما تأثر شكل القصيدة من خلال من حملوا لواء التجديد متأثرين بما اطلعوا عليه من آداب الشؤون الغربية. وانهم تناولوا أغراضًا مختلفة ورادوا آفاقًا إنسانيةً وقومية لم تكن من قبل مطروقة. وكتبوا شعر التفعيلة والشعر الحر والمرسل، فجددوا وأثروا الحياة الأدبية ووضعوا بذورًا للكثير من القيم الشعرية.

منهجية الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. كما توصلت الدراسة الى أن فئة المتعلمين الذين تخرجوا في كلية غوردون أو فئة الذين هاجروا في المهاجر الغربية (فرنسا – لندن) كان لهم الأثر الواضح في تطوير الشعر والنقد معًا. هذا لا يعني إغفال أدوارهم الوطنية الأخرى خاصة في مجال السياسة والتحرر الوطني. تأثرت موضوعات الشعر كما تأثر شكل القصيدة من خلال من حملوا لواء التجديد متأثرين بما اطلعوا عليه من آداب الشؤون الغربية فتنالوا أغراضًا مختلفة ورادوا آفاقًا إنسانيةً وقومية لم تكن من قبل مطروقة كما كتبوا شعر التفعيلة والشعر الحر والمرسل فجددوا وأثروا الحياة الأدبية ووضعوا بذورًا للكثير من القيم الشعرية.

توصي الدراسة بالاهتمام بدراسة اتجاهات الشعر السوداني ومناهج النقد في ضوء الاتجاهات الحديثة المعاصرة، لمعرفة مدى قربنا أو بعدنا مما هو حادث في العالم المعاصر خاصة والعولمة الثقافية تتجه نحو إماتة الخصوصيات الثقافية.

ما ينتظر الشاعر السوداني والشعر السوداني القيام بمهام شاقة إلا أنها تستحق أن تجسد خدمة لأدب وثقافة شعب عظيم.

الدراسات السابقة:

هنالك دراسة بعنوان / حمزة الملك طمبل رائد التجديد في الشعر السوداني، على موقع موسوعة التوثيق الشامل tawtheegonline.com للأستاذة هالة نصر الله، تضمنت على ان حمزة الملك طمبل رائد التجديد في السودان من خلال الدعوى لأدب قومي يعكس شخصية السودان كما كانت له دعوى مشهورة نحو الصدق الفني.

أيضا دراسة للدكتور احمد عكاشة احمد فضل بعنوان العصرانية وما بعدها قد يطرحان خارطة طريق لتطور الشعر السوداني المعاصر، على موقع سودانايل sudanile.com جاء فيها ان الشعر السوداني طوال القرن الماضي ظل محبوسا في إطار الرومانسية الشعرية وأن افاق تطوره قد توجد او لا توجد في دخوله مرحلة العصرانية الشعرية او ما بعدها.

كلمات مفتاحية:

التجديد: التجديد في الشعر هو ان يتم كسر قواعد شعرية قديمة وخلق قواعد مبنية على أسس جديدة تتسم بالابتكار في النسق، والصورة، والمفردة، والشكل، والمضمون أو في أي شيء آخر، مدام يتماشى مع أصول الذائقة ولا يخلّ بقوانين الشعر الضمنية.

أدب: كلمة أدب في العصر الحالي تعني الكلام البليغ الذي يؤثر في نفوس القراء سواء كان شعرًا أو نثرا، ولقد تطوّر هذا المفهوم على مر العصور واتّخذ العديد من المعاني حتى تكوّن بهذه الصاغة وهذا المعنى.

عرض الموضوع:

تحدث جمال الدين الرمادي عن نشأة جيل جديد من الشعراء تجردوا من تقاليد الكلاسيكية البالية في نظم القصيدة العربية وأضافوا إليه تجاربهم النفسية، بعضها في الحب وبعضها في الألم والشكوى، وبعضها في الثورة على الأوضاع الفاسدة في المجتمع أو ضد الظلم والطغيان فغدا

شعرهم مفعمًا بشتى المشاعر زاخرًا بمختلف الأحاسيس (جمال الدين الرمادي، القاهرة د.ت، ص٤٩)[١].

يرى الدكتور الشوش في مؤلفه الشعر الحديث في السودان - (محمد إبراهيم الشوش، د.ط، لجنة التأليف والنشر جامعة الخرطوم، ١٩٦٢م، ص١٣٢) - «أن الشعراء التقليديين .... لم يتأثروا بالثقافة الغربية الجديدة، ولم تعانِ نفوسهم من القلق والحيرة والغربة التي يمكن أن يثيروها في أنفسهم انقلاب فكري داخلي».

الذي لا جدال فيه أن أولئك الشعراء تخرجوا في كلية غردون وظلوا متمسكين بتراثهم الديني الذي تلقوه في الخلوة فحفظوا القرآن وحكمتهم البيئة المحافظة المتمسكة بدينها وتقاليدها.

التغيير حتم فكان لابد للأجيال التي أعقبت الرعيل الأول من الشعراء والأدباء والنقاد أن يتأثروا بالثقافة الغربية وحركة التجديد. ويذكر الدكتور الشوش على ذات الصفحة من ذات المرجع:

«كان لابد أيضًا أن يتأثر هذا الجيل كثيرًا بالحركات التجديدية في الأدب التي بدأتها مدرسة (الديوان) في مصر ومقالات العقاد وشعر المدرسة الجديدة وشعراء المهجر».

ويستطرد جمال الدين الرمادي فيقول: لم تكن التجربة الوطنية هي التجربة الوحيدة لشعراء الجيل الجديد، إنما كانت لهم قلوب كما تثور وتصخب تسكن وتهدأ، وكما تكافح من أجل الحرية والاستقلال تعشق الحسن وتتعلق بأهداب الجمال، فقال طمبل يصف جبلاً على شاطئ دنقلا ويحكي ليلة عذبة على الشاطئ الجميل (جمال الدين الرمادي، القاهرة د.ت، ص ٥٠)[٢]:

جلسنا عشاء بقرب النهر وقد فضض الماء ضوء القمر

ونام على الرمل أطفالنا وغيري انبرى لاهيًا بالسحر

وما هم نفسي سوى منظر أثار بنفسي شتى الفكر

طلول شخصن بأعلى الربى وفي صمتهن دروس العبر

لقد أطرقت وبها مسحة حكت سأم اليائس المنتظر

١ . جمال الدين الرمادي. دراسات في الأدب السوداني، الدار القومية للطباعة والنشر، ١١ شارع الصحافة، القاهرة د.ن، ص٤٩.

٢ . دراسات في الأدب السوداني، مرجع سبق، ص٥٠.

لقد شهدت فترة العشرينيات من القرن الماضي إقبالاً واضحًا على الاطلاع على ما تنتجه المطابع المصرية والمشرق العربي والمهجر.

لابد لكل حركة جديدة أن تمضي مسيرتها بإيقاع بطيء حتى يقوى عودها وتستقم تجربتها ولابد أن تشوب تلك التجربة بعض نواحي القصور وأن تكون الآراء عميقة بسبب الحماس والاندفاع فقد كان تأثيرهم عابرًا بحركة المجددين.

يرى الأديب محمد عشري الصديق (عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٥٢م، ١٩٥٢م ص٢٩٧)[١]، ويرى عبد المجيد عابدين أن عجز أولئك الشباب المجددين يعزى إلى عوامل شتى تتمثل في أن الجمهور لايزال معجبًا بالشعر القديم كما إنه لا يرغب في هدم موروثه. وأن هنالك خصائص ظهرت في الشعر السوداني التجديدي والتي يمكن أن يعرف بها ملامح هذا الشعر، ويميز بها الشعر التقليدي من الشعر التجديدي، ولمعرفة هذه الخصائص والميزات يجب البحث في الأثر الديني والأثر الفني، والأثر القومي، حتى يتسنى للقارئ المقارنة بين الاتجاهين. لا شك أن هؤلاء الشعراء أو معظمهم نشأوا نشأة دينية بالتعليم أو التربية الأسرية، نرى هذا الأثر في شعرهم التجديدي واضح، تفكير الشعر يرتبط بفلسفة الجمال والحق والخير مثلاً عليا عرفها الشعراء المجددون معرفة دراسة وممارسة، يتحدث أدباء السودان المجددون ونقادهم عن الشعر التجديدي والشعر الصوفي مثال لهم حمزة الملك طمبل، وظهر ذلك في شعر يوسف التني وفي شعر التجاني يوسف بشير.

والتجديد الحقيقي هو تجديد للنفس والشاعر قبل أن يكون في الأشكال والعناوين. وتتفق الباحثة مع عبد المجيد عابدين في هذا القول لأنه من الخطأ أن يظن أن مجرد ذكر أسماء أعلام إفرنجية في الشعر أو مجرد الدعوة إلى التجديد، ونفض غبار التقليد عن فن الشعر، أو مجرد اختيار عناوين مبتكرة للقصائد أو مجرد التحرر من القافية أو الوزن، أمور كافية للحكم على الشاعر بأنه مجدد، هذا ظن خاطئ، فقد أكثر شوقي من ذكر أسماء إفرنجية في شعره، ودعا حافظ إبراهيم إلى فك قيود التقليد عن الشعر واختار كثير من الشعراء المعاصرين المقلدين عناوين مبتكرة لقصائدهم ومع ذلك عدو مقلدين في طريقتهم واتجاههم. والبنا يجد القارئ أسماء إفرنجية في ديوان الفجر الصادق ولكن مع ذلك فهو من المقلدين الذين ترسموا طريق القدامى.

١ . عبد المجيد عابدين. تاريخ الثقافة العربية في السودان. الطبعة الأولى؛ القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٥٢م، ص٢٩٧.

ويقول عبد المجيد عابدين (عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٥٢م، ١٩٥٢م ص٢٤٥)[١]: أما الأثر القومي فيزداد نصيبه في الشعر التجديدي إذ يتاح له ما لم يتاح للشعر التقليدي من وسائل مكنت الآثار القومية أن تتجلى فيه بصورة واضحة. والشاعر المجدد أكثرا إرسالاً للنفس على سجيتها، ذلك أن التعبير عن النفس عامل أساسي في هذا الشعر، وصدق التجربة من أهم مقوماته، والتعبير عن تجربته هي أقرب طريق ممكن كمثال يحتذي به الشاعر المجدد، لذلك ظهرت النفوس على حقيقتها، وعبر الشاعر عن آلامه وآماله بصورة أوضح وأصدق من الشعر التقليدي.

أما الأثر الفني في هذا الاتجاه تغلب الأوزان الخفيفة والقصيرة على الأوزان المنبسطة، وأحيانًا لا يتقيد الشاعر بوزن واحد ولا قافية واحدة في القصيدة. تكاد تختفي معارضات الشعر القديم وتشطيره وتخميسه، غير أن حمزة الملك طمبل المجدد عارض قصيدة تجديدية للشاعر الشامي سليم أبو شقرا بالرغم من نقده لمعارضة القصائد القديمة (عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٥٢م، ص٢٤٢)[٢].

واجه شعراء ونقاد التجديد رفضًا وصل إلى حد المحاربة فقد امتنعت جريدة الحضارة عن نشر الأعمال النقدية للشاعر والناقد حمزة الملك طمبل بل وفتحت صفحاتها لمهاجمته.

يروي الأستاذ حسن نجيله (حسن نجيلة، الطبعة الرابعة؛ الخرطوم، دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ٣٠١ - ٣٠٢)[٣] أن الأمين علي مدني في محاضرة له بنادي الخريجين تعرض بالنقد إلى شعر عبد الله محمد عمر البنا متهمًا أياه بالصناعة والتقليد وخلوه من الشعور والروح، كاد الأمين أن يتعرض للاعتداء من أحد الحاضرين لولا لطف الله وكانت النتيجة أن أقفلت مجلة الحضارة أبوابها في وجهه. كان الوضع في مصر غير ما جرى عليه الحال في السودان فقد قوبل الديوان والغربال بالتمجيد.

من المهم دراسة الأمين علي مدني وحمزة الملك طمبل لدورهما المؤثر في ظهور مدرسة الفجر التي سارت على خطى جماعة أبوللو في مصر.

١ تاريخ الثقافة العربية في السودان، مرجع سبق، ص٢٣٥

٢ المرجع السابق، ص٢٤٢

٣ حسن نجيلة. ملامح من المجمع السوداني. الطبعة الرابعة؛ الخرطوم: دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ص ٣٠١ – ٣٠٢.

تأثر الأمين علي مدني بشاعر المهجر جبران خليل جبران.

في آراء وردود الأمين يمكن للباحثة تحديد بعض آرائه في الشعر رغم أنه لا يستند في ذلك على مذهب أو فكرة واضحة كما يرى د. الشوش (محمد إبراهيم الشوش، د.ط، لجنة التأليف والنشر جامعة الخرطوم، ١٩٦٢م، ص ١٣٤-١٣٥)[١]:

الشعر خيال لا تحده حدود، والشاعر طائر يحلق بأجنحة أثيريه منطلق متحلل من القيود لا يحرق عواطفه بخورًا أمام أهل الجاه والسلطان، وهو مجنون لأنه ليس كالآخرين بل مخالف لهم، لأنه يحلق بأجنحة غير أجنحتهم وفي فضاء غير فضائهم ... هو مناقض لهم يلبس السواد في أفراحهم ويقيم المآتم في أعراسهم، شعر الآخرين كذب وزيف... إنه شاعر لا يشبه الآخرين.

إن أخطر ما ورد في هذه القطعة أنه وليد الساعة ومنصرف عن أغنية الماضي وألحان المستقبل؟ هل هذا يعني انفصامه عن ماضيه وتراثه الأدبي؟

يرى الشوش أن أغلى ما يملكه الشاعر وينبغي أن يحافظ عليه تراثه الشعري. فالتبصر في الماضي مطلوب لاستشراف المستقبل (محمد إبراهيم الشوش، لجنة التأليف والنشر جامعة الخرطوم، ١٩٦٢م، ص ١٣٦)[٢]. لقد بنى الأمين علي مدني فكرة خاطئة حين وسم نفس الشاعر بالتحلل من القافية والوزن والجرس! إذن كيف يكون الشعر شعرًا دون تلك القيود!

رغم ما يوجه من نقد للأمين علي مدني لكنّ بعضًا من آرائه جدير بالاحترام والنظر، فالشعر مظهر من مظاهر النفس وعلى الشاعر أن يوقر نفسه لا أن يلقي بها تحت أقدام أهل الغرض والحكام ... تلك مواقف مبتذلة ما ينبغي أن يتحلى بها شاعر. الأمين لا يرى في الشاعر معطرًا للمنتديات بشعره العاطفي المستعار ... الشاعر عنده من يذوب وجدًا وشعرًا أمام زهرة متفتحة ووردة نضرة. من يذوب شفافية في أنفاس الورد! هل هذه دعوة صريحة إلى نبذ التقليدية وشعر المناسبات المصنوع والتحول إلى الشعر الوجداني الرومانسي. إنها دعوة للتجديد.

يقول الشوش (محمد إبراهيم الشوش، لجنة التأليف والنشر جامعة الخرطوم، ١٩٦٢م، ص ١٣٧)[٣]:

---

١ الشعر في السودان الحديث، مرجع سبق ص١٣٤-١٣٥

٢ المرجع السابق، ص١٣٦

٣ المرجع السابق، ص١٣٧.

«والناقد الذي يمكن أن نعتبره بحق رائد التجديد في الأدب السوداني هو الناقد الشاعر حمزة الملك طمبل».

لقد كان نقده موضوعيًا ويعبر عن ثقافة ووعي برسالة الشعر. ورغم هذه المكانة في خريطة التجديد لم يحظ طمبل بالاهتمام لا في شخصه ولافي أعماله الأدبية شعرًا ونقدًا، ثمّ فقد كل شيء، وعاش منزويًا في أحد فنادق ام درمان الشعبية إلى أن غادر الحياة.

ظهر كتابه « الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه» في ١٩٢٨م متضمنًا مقالاته النقدية التي كان ينشرها في مجلة الحضارة، ثم في العام ١٩٣١م أصدر ديوانه الشعري « ديوان الطبيعة « متضمنًا أشعاره التي كتبها بين عامي ١٩١٦م و١٩٣٠م.

يرى دكتور الشوش أن غرض طمبل من كتابه التوجيه إذ إنه «يفيد كل شاعر مبتدئ».

يطرح طمبل رأيًا هو موضع خلاف إذ يحمل النقد مسؤولية ضخمة في قدرته على تغيير وجهة الأدب وتغيير مجراه! هذا الإحساس بأهمية النقد جعل طمبل يهمل بقية المؤثرات.

هنا يقف طمبل موجهًا ومرشدًا وفي ذات الوقت معطيًا التبريرات لما يعتقد أنه حادث. يقول طمبل (حمزة الملك طمبل، الطبعة الأولى، مصر مطبعة النهضة: ناشر سوداني، ١٩٣١م، ص ٩٠-٩١)[١]: «واعتقادي أنه لو سار الأدباء في الطريق الذي ترسمه لهم في هذا الكتاب وبقية أجزائه فسيتخذ الأدب السوداني له مجرى غير مجراه الحالي ويصبح بعد سنين قلائل أدبًا صحيحًا بارزًا يستحق الدرس والتقدير...».

إن مؤلف طمبل موجه ضد التقليد فالشعراء الذين تناولهم في مقالاته النقدية عاب عليهم منتقدًا مذهبهم التقليدي في نظم القصيدة. انظر إليه وهو يتناول الشاعر علي أفندي أرباب حيث يذكر أنه لن يتناول المسائل اللغوية معه أو مع غيره وله حججه في ذلك والتي تمثل مذهبًا في النقد في حد ذاته حيث يرى طمبل (حمزة الملك طمبل، الطبعة الأولى، مصر مطبعة النهضة: ناشر سوداني، ١٩٣١م، ص٩٣)[٢] أن دراسة اللغة توافر المتانة أما روح الشعر وموهبته فهي هبة

١ حمزة الملك طمبل. الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه. الطبعة الأولى، مصر مطبعة النهضة: ناشر سوداني، ١٩٣١م، ص ٩٠-٩١.

٢ المرجع السابق، ص٩٣.

من الله، ويرى طمبل أن ما يؤخذ على الشاعر على أرباب هو هذا الاستهلال التقليدي بالغزل والنسيب ويطالبه بالبعد عنه مستشهدًا بقصيدته التي ودع فيها المستر رتشارد:

رأتني فتاة الخدر عيني تقطر ودمعي من جفني يسيل ويحدر

ويرى طمبل أن أبياتها السبعة الأولى وكذلك الأبيات السبعة الأولى لقصيدته في ذكر المدرسة الطبية: وقفنا بدور الغانيات الكواعب لنسكب ماء العين قبل الركائب

« كلها تحصيل غير حاصل أو بالصريح كذب وثرثرة لا داعي لهما ولا لزوم! اسمعوا! اسمعوا! لا أوجه هذا الكلام لعلي أفندي أرباب فقط بل لكل من ينظم الشعر في السودان أو يميل إليه. فيا أدباء السودان أصدقوا وكفى!» ويرى طمبل أن تلك المداخل في القصيدة العربية ويسميها « التحية « محببة إلى العرب ومحللة عندهم ولكنها مرفوضة بتاتًا في أدب هذا العصر ملمح آخر من ملامح النقد عند طمبل هو نقده للتكرار الذي يعزوه إلى « قلة المادة والعناية بالألفاظ دون المعاني وهو عيب.

فعجز البيت تكرار للشطرة الأخيرة من صدر البيت «عيني تقطر» تحت « رأي جديد « يكرر طمبل رأيه السابق في تغير مجرى الأدب السوداني لو سار الأدباء في الطريق الذي يرسمه لهم في كتابه وبقية أجزائه. استمر طمبل في تناول شعراء السودان ومنهم أحمد المرضي وأحمد محمد صالح وغيرهم.

تشير زينب الفاتح (زينب الفاتح البدوي. التجديد في الشعر السوداني المعاصر. الطبعة الأولى؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م، ص١٦).[١] إلى أن التجديد في الأدب السوداني عامة والشعر السوداني خاصة بدأ في الربع الثاني من القرن العشرين حيث زادت أعداد المثقفين السودانيين المتطلعين إلى أدبٍ غير تقليدي تهتم موضوعاته بالواقع وأوضاع الناس. تعرض هذا الاتجاه الجديد إلى نقد المدرسة التقليدية وشعرائها محمد سعيد العباسي والتني وعبد الله عبد الرحمن الضرير وغيرهم.

يقول فيهم الضرير:

١ زينب الفاتح البدوي. التجديد في الشعر السوداني المعاصر. الطبعة الأولى؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م، ص١٦.

لقد منيت أم اللغات بفتيــةٍ طغام على أعلامها تتمــردُ

قد شربوا حب الأعاجم فانبروا إلى هذه الفصحى سهامًا تسردُ

ويستمر إلى أن يقول:

وما هو تجديد فنكبر أمره ولكن دعاوى منهم وتزيــدُ

كان التجديديون ينشرون أعمالهم في مجلة حضارة السودان بين سنتي ١٩٢٧م و١٩٣٠ م، ثم في مجلة النهضة السودانية من سنة ١٩٣١م إلى١٩٣٣م، ثم في مجلة الفجر خلال سنتي ١٩٣٤م و١٩٣٥م. لقد ذكر الشوش كما وضح من قبل أن أول الداعين إلى إبراز الطابع السوداني في الأدب هو حمزة الملك طمبل الذي ظهرت مقالاته في مجلة النهضة ١٩٢٧م ثم ظهرت في كتاب له بعنوان «الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه» (محمد إبراهيم الشوش، لجنة التأليف والنشر جامعة الخرطوم، ١٩٦٢م، ص ١٣٧)[1]، ثم بلور ذلك محمد أحمد المحجوب في بحثه المطبوع في الخرطوم في العام ١٩٤١م في مؤلفه «الحركة الفكرية في السودان إلى أين تتجه؟».

بعد الحرب الكونية الثانية كانت اليقظة الوطنية وكراهية المستعمر سمة واضحة للشعر السوداني فارتبط الأدب بالشعب وأن وظيفة الأدب إبلاغ الرسالات الفكرية.

كان للشعر السوداني دوره في تحقيق الاستقلال، فقد انتشرت المذاهب الفكرية والأدبية وتأثر السودان بالتيارات الثقافية المعاصرة آنذاك، فنهج الشعراء والأدباء نهج التجديد في موسيقى الشعر فنظموا شعرًا منثورًا وشعرًا مرسلاً وشعرًا حرًا وقلدوا شعراء الغرب ونظموا في شعر التفعيلة الواحدة. إن البحث عن التجديد في الشعر السوداني يلمح من حيث الخصائص والمذاهب عند إنتاج بعض الشعراء من أمثال إسحق محمد الخليفة شريف في ديوانه «زهرٌ وقفر» والدكتور مصطفى عوض الكريم في ديوانه «السفير» والدكتور سعد الدين فوزي في ديوانه «من وادي عبقر».

ستكون البداية ديوان إسحق محمد الخليفة شريف. هو من قبيلة الأشراف الدناقلة وجده الخليفة شريف أحد خلفاء المهدي ولد بأم درمان في العام ١٩٢٣م. درس القرآن بالخلوة وكان تعليمه النظامي بمدارس الأحفاد في رفاعة وأم درمان ألحقه والده بمدرسة الأقباط المصرية بالخرطوم ثم واصل بمدارس كمبوني ثم التحق بكلية فكتوريا بمصر وبعدها انتقل إلى إنجلترا بجامعة أكسفورد

١. الشعر الحديث في السودان، مرجع سبق، ص١٣٧.

في العام ١٩٤٥م ثم عاد إلى السودان ولم يكمل تعليمه حيث غادر إلى فرنسا. كان لوالدته تأثيرٌ واضح عليه حيث يعتبرها أكبر موجه له في حياته. تأثر إسحق منذ بدء تعل يمه بالأستاذ الجليل أحمد عمر الشيخ الذي كان يدرس العربية إلى جانب أنه كان منشدًا مؤثرًا في سامعيه. إنشاد الأستاذ أحمد عمر الشيخ للشعر، دفع إسحق إلى عشقه ثم نظمه. لا ينكر إسحق دور والده في مده بكتبٍ كثيرة أغنت حصيلته، يقول إسحق « أنا لم أكن مبرزًا في الفصل لأني لا أحب التنافس. لم أقرأ قط لأنال ترتيبًا أو مكانة أكاديمية. أحب المعرفة صرفه لا أعرف حب في العلم « (زينب الفاتح البدوي الطبعة الأولى، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م، ص ١٩١).

سألته زينب الفاتح عن ورود عبارة «الورد الأحمر» كثيرًا في ديوانه (زينب الفاتح البدوي. الطبعة الأولى، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م، ص٢٠-٢١٢) كانت إجابته أنه يرمز للمشاكل العاطفية، وحين سألته عن الكناية والرمز في شعره وإعجابه بالشاعر الفرنسي بود لير Charles Baudelaire حيث خصص له قصيدة من أطول القصائد في ديوانه «شاعر الفردوس». لقد كان معظمًا لشاعرية بود لير Charles Baudelaire لدرجة أنه تحدث عنه في محاضراته في الأندية الأدبية. في إجابته ذلك السؤال ذكر أن بود لير Charles Baudelaire هو الشاعر الوحيد الذي تأثر به من شعراء الغرب بعد شكسبير William Shakespeare وشغفه به قاده إلى ترجمة بعض أشعاره إلى العربية وأنه يعجب بنزعة التصوف والصدق عنده، ومضت زينب الفاتح في أسئلتها فسألته عن كيفية نظمه للشعر فقال (زينب الفاتح البدوي، الطبعة الأولى الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م، ص٢١)[٣]: الشعر عندي تجربة حقيقية.... أتألم بحمله حتى أنطق به، شعري ليس وليد صنعة ولكنه يفرض على فرضًا من تجربة شخصية. مثلاً قصيدة مصرع طائر حدثت في أول المساء ولم أنم حتى انتهيت من نظمها وكان الشروق قد أزف».

قال عنه الأستاذ ملحم كرم الذي كتب مقدمة الديوان «ملك به الناظم (إسحق) سر وحدة القصيدة ... فالبيت موثق بأخيه على جمال وسهولة» (إسحق محمد الخليفة شريف، د.ط، بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٥٦م، ص٩).٤ يعتبر جبران خليل جبران مؤسسًا للمدرسة الرومانتيكية في الشعر العربي. وكما يرى إدجار ألن بو Edgar Allan Poe أن النفس هي

١ زينب الفاتح البدوي الطبعة الأولى؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م، ص ١٩.

٢ . المرجع السابق، ص٢٠-٢١

٣ . المرجع السابق، ص٢١

٤ إسحق محمد الخليفة شريف. زهر وقفر-ديوان شعر. د.ط؛ بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٥٦م، ص٩.

المسؤولة عن الشعر وهو يصدر عنها، يرى إسحق أن الشعر مقيد بالحب الذي يربط نفس الشاعر بجواهر معينة وفق رأيه الذي أورده في توطئة ديوانه. يقول اسحق في قصيدة «الورد الأحمر»:

فعلي من ورد الصبابة باقة حمراء في ألوانه الإدلاءُ

ويمضي فيقول:

لا شعر مثل سلافة من وصلنا شهدت بذلك وردة حمراء

إن أغراض الشعر السوداني شملت الدعوة إلى القومية والتراث العربي الإسلامي القديم والمعاصر، كما أنه التزم أسلوب العربية الفصحى وأن الأدب وسيلة إلى غاية تتصل بالوطن وإنسانه وإلى تناول قضاياه وقضايا إنسانية، وتلك كلها من سمات التجديد. يتحدث إسحق في قصيدة « بكاء النيل « عن أحداث جنوب السودان في ١٩٥٥م، حيث رد السبب إلى الاستعمار وسياسته. يقول إسحق :

لتلك مكيدة ولدت بليلٍ وصنو الليل أرضعها الظلام

بنو السكسون قد ربو أباها بسم الغل فارتحــلوا ودامَ

إن إسحق لم يكن رومانتيكيًا مقلدًا، فشخصيته وفنه متسقان في شعره، فهو يتسم بالأصالة.

تتضح الرومانتيكية عنده في قصيدته «أنشودتي»:

أدعوك ما قلق النهار لنأيكم أو صور الليل المشوق لقاءُ

والدمع تكتمه العيون تجلدًا وتتفتتُ منه الضلوع بكاءُ

قصائد الديوان تجري في موضوعات شتى حيث لا تصف فقط ولكنها تعمد إلى التفكير. انظر إلى قصيدة «دعاء النور» وإلى «مصرع طائر». يوجه إسحق سؤالاً إلى بود لير Charles Baudelaire في قصيدته «شاعر الفردوس» فيخاطبه:

يا شاعر الفردوس كيف وجدته ما خاب ظنك في عظيم المطمع

من خلال شعر إسحق تتضح ثقافته العربية والغربية وهو الذي تخصص في الأدب الفرنسي خاصة، ولعل قصيدته شاعر الفردوس تظهر إلمامه بحياة بود لير Charles Baudelaire

والتي جاء فيها:

ذهب الجميع بخيرهم وشرورهم وبقيت حتى اليوم ملء المسمع

ويمضي إسحق في الرسم بالكلمات في قوالب شعرية تضعه من رواد التجديد في الشعر السوداني فيقول في قصيدة «أنشودتي»:

والدوح يحتضن الثمار كأنه أمٌ تلاعب طفلة حسناء

ويمضي فيقول:

أحييت قلبي بالحنان وشمته كالطفل هلل صحة وهناءَ

يقول مكرم ملحم (إسحق محمد الخليفة شريف. زهر وقفر-ديوان شعر. د.ط؛ بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٥٦م، ص٩.)[١]: «ولم يجمع الديوان الغزل المعاد والمستعاد، بل نفذ إلى خفايا الحياة يعرضها بضلاعة الملم بالخبئ. فكان له، وهو يتفجع على الأمس الذاوي، المثقل حبًا، وما يخلو الحب من برحاء».

يقول إسحق في قصيدته «الشاعرة»:

أيبوء بالإحراق مثل فراشة جذب الضياء إلى الإيوار عيونها

أيذوب في الذرات مغلق سره فيعود للغبراء يحصب حزنها (إسحق محمد الخليفة شريف. زهر وقفر-ديوان شعر. د.ط؛ بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٥٦م، ص٣٥)[٢].

وفي قصيدته «توحيد» يقول:

فالزهر يخجل لو يقال بأنه قد يشبه الخدين أو رياك

والجنة الفيحاء غير كريمة لولا تضوع في الجنان سناك (إسحق محمد الخليفة شريف. زهر وقفر-ديوان شعر. د.ط؛ بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٥٦م، ص٣٩)[٣]:

١ المرجع السابق، نفس الصفحة.
٢ المرجع السابق، ص٣٥
٣ المرجع السابق، ص ٣٩

انظر إلى قصيدة إسحق «نهج الروح» حيث يتحدث عن المادية والروح فيقول:

فالروح تنكر أن تكون مطية للطير في لجج الغناء الزاجر

إن سمة التجديد عند إسحق لا تتضح في الموضوعات فقط ولا في ثقافته فقط ولكنها تطول شكل القصيدة أيضًا ويتضح ذلك في قصيدته «الصباح الأغبر» حيث يتكرر البيت الشعري بعد مجموعة أبيات بقافية واحدة مع تغيير قافية البيت المتكرر وهذا يعرف بالشعر الحر.

تقول زينب الفاتح: لقد كان إسحق أحد المجددين فقد اطلع على الشعر الغربي ومذاهبه وتأثر بتلك المذاهب من رمزية ورومانتيكية ونزعة إنسانية وشك كما إنه استشعر القومية في الشعر السوداني المعاصر. إن في شعر إسحق قدرًا من الثقافة الإنسانية فهو في قصيدته «شاعر الفردوس» يشير إلى «اليباب الأصلع» وهو تشبيه أخذه من الشاعر الإنجليزي روبرت براوننج Robert Browning حيث يقول كالشعر في البرص (زينب الفاتح البدوي، الطبعة الأولى الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م، ص٢٩-٣٠١).

أما الشاعر الثاني فهو الدكتور مصطفى عوض الكريم الذي ولد في مدينة دلقوا في شمال السودان في نوفمبر ١٩٢٣م. واصل تعليمه بالسودان متفوقًا في اللغة العربية، ثم التحق بمعهد الدراسات الأفريقية والآسيوية بجامعة لندن واختار الأدب الأندلسي تخصصًا. نال درجة الماجستير والدكتوراه في الأدب الأندلسي من جامعة لندن. توفي في العام ١٩٦٢م وهو في جامعة الخرطوم محاضرًا أول. يقول عن نفسه (مصطفى عوض الكريم، ط١ ١٩٧٢م الخرطوم، الدار السودانية للكتب، ص٤)[٢]: « اتخذت الشعر مسلاة لأقطع بها أوقات فراغي وأنسى عندها همومي وآلامي، وإذا أردت نشر هذا الشعر يومًا ما فسأعدم أكثره وأنقح بعضه (زينب الفاتح البدوي، الطبعة الأولى الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م ص٣٠)[٣].

يرى معاوية محمد نور أن جوهر الأدب القومي هو الإحساس القومي وأن الشاعر أو الكاتب يبرز ذلك الإحساس القومي في إنتاجه. لقد ارتبطت دعوة التجديد بدعوة القومية. إن الإحساس

١ التجديد في الشعر السوداني المعاصر، مرجع سبق، ص٢٩-٣٠
٢ مصطفى عوض الكريم السفير، ديوان شعر، ط١ ١٩٧٢م الخرطوم، الدار السودانية للكتب، ص٤
٣ التجديد في الشعر السوداني المعاصر، مرجع سبق، ص٣٠

بالقومية يرتبط بحنين الشاعر إلى الوطن ويرى أن من الشعراء الذين فاض حنينهم إلى الوطن وهم في الغربة الشاعر مصطفى عوض الكريم الذي يقول عن قريته كرمه:

فهل أجلسن تحت النخيل يظلني من السعف المسحور فينان أخضر؟

وهل يسقطن فوقي من التمر يانع كأن قد تغشاه السبيك المحـمر؟

وهل أملأ الكفين من ماء جـدول به من زلال النيل شهدٌ مكـوثر؟

لم يكتفِ الدكتور مصطفى عوض الكريم بشعر الحنين إلى الوطن فقط ولكن يوجد التجديد في شعره السياسي، وهو تجديد في الموضوع والأسلوب والمعاني، وأن علاقة الأدب بالمجتمع أهم العلاقات، وأن للأدب وظيفته في إبلاغ الرسالة حاضرًا ومستقبلاً. لقد تجاوب مع العدوان الثلاثي على مصر حيث كتب قصيدته « الصفعة الأخيرة» وهي من شعر التفعيلة. يقول فيها:

وسوف تصبح المأساة يومها أسطورة السمر

وكل جدة تردد الحكاية المثيرة

بأن سندباد قد نجا من الخطر

وعاد ملء رحله فرائد الدرر (مصطفى عوض الكريم، ط١ ١٩٧٢م الخرطوم، الدار السودانية للكتب، ص ٤٧)[1].

لقد نظم عن الزعماء السياسيين مثل هتلر Adolf Hitler وغاندي Mohandas Karamchand Gandhi. إن مصطفى وغيره من الشعراء عطاء عالمي لا تحده حدود وعليه أن يكون على مستوى الإنسانية وقد رثى غاندي Mohandas Karamchand Gandhi في قصيدته «نجم هوى»:

مضى البطل الهندي فانهد معقلٌ تلوذ به الأحرار في ساعة الجهد

أما في قصيدته آمنة، أو قصة الحياة فالتجديد يظهر في النظم وقالب الموضوع. هذه القصيدة يمكن تلخيصها في أن كل شيء مخلوق فانٍ وعنده رمزٌ لمدلولٍ وهي من شعر التفعيلة يقول:

١ السفير، مرجع سبق، ص٤٧.

قاطع الصديق حاقدًا صديقه

وخاصم الشقيق ظالمًا شقيقه (زينب الفاتح البدوي، الطبعة الأولى الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م ص ١٢٩)[١].

تضمن ديوان السفير قصائد من الشعر القصصي مثل قصيدة «دموع الهيكل» و «العراقي المريض» ومثل هذا الشعر القصصي تظهر فيه العواطف الذاتية والإيحاء.

لقد تضمن الديوان شعرًا تناول الظواهر الاجتماعية وطرح فيها الرأي الأخلاقي بهدف تجاوزها. انظر إلى قصيدته «حديث المجاهد» حيث يقول مخاطبًا جارته:

لا تجزعي إما ذهبت فإنني　　أعقبت من دنيا الخنوع بديلا

ويقول في قصيدة «أرض العجائب»:

لا خير في أمرٍ يجئ توسلاً　　ما حقق الآمال غير اللهـازب

إن التجديد عند هؤلاء المجددين يتمثل في عدم الانكفاء على قضاياهم أو قضايا أمتهم بل النظرة إلى الإنسانية جمعاء مشاركين لها حلوها ومرها ومتعرضين إلى القضايا الكبرى. يقول في قصيدته «الصفعة الأخيرة»:

لأن شهرزاد لم تعد تقص للصباح على الأمير شهريار

حديثها المباح كي ينام في السحر

من أجل أن تعيش ليلة جوفاء

وإنما قد بعثت جزائرية عذراء

قوية نقية كالماسة الصماء

فتية عنيدة نبيلة..... (زينب الفاتح البدوي، الطبعة الأولى الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م ص ٤٨)[٢].

١ التجديد في الشعر السوداني المعاصر، مرجع سبق، ص١٢٩

٢ المرجع السابق، ص٤٨

ثالث شاعر من شعراء التجديدي هو الدكتور سعد الدين فوزي الذي صدر ديوانه الشعري «من وادي عبقر» في العام ١٩٦١م بعد وفاته بخمس سنوات. كان والده إسماعيل محمد فوزي من مؤسسي نادي الخريجين بأم د رمان مولعًا بالفن والأدب والثقافة والتمثيل وله مكتبة حببت لسعد الدين الاطلاع وقرض الشعر. كان أستاذًا بجامعة الخرطوم ومؤسسًا لقسم الاقتصاد بكلية الآداب حتى أصبحت كلية الاقتصاد والدراسات الاجتماعية. وصل إلى منصب نائب مدير الجامعة في ١٩٥٨م. توفي في مايو ١٩٥٩م وهو في السابعة والثلاثين من عمره.

أورد عبد المجيد عابدين (عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٥٢م، ١٩٥٢م ص. ٢٤٥)[١] أن شعره منذ ١٩٤٠ امتدادًا لهذا الاتجاه التجديدي في كثير من قصائده، ولا سيما تلك التي ترسم فيها اتجاه علي محمود طه المهندس، ومحمود حسن إسماعيل.

ولد الحب على مهد الربيع

ونما طفلاً لدى الروض البديع

كالفراش النضر الطفل الوديع

صار يلهو فوق مخضر الربوع

عبد القدوس الخاتم (عبد القدوس الخاتم، مقالات نقدية، الطبعة الأولى، دار النشر الثقافي، ١٩٧٧م، ص٤٩ –٥٥)[٢] كتب تحت عنوان «سعد الدين فوزي والإرث المهمل». يقول في تلك المقالة: «مع أن دكتور سعد الدين قد عاصر تفتح الحركة الشعرية على مدرسة الديوان وأبولو وما كانت تنادي به من نبذ التقليد والتركيز على وحدة القصيدة، إلا أن شعر المناسبات والمسابقات الأدبية جنت على موهبة الشاعر الوليدة جناية عظيمة وحدت من انطلاقها ... شعره خامة صالحة للدراسة المقارنة ولعله أحد المنطلقات التي نبدأ منها لفحص آثار مدرستي أبولو والديوان والشعر المهجري على الشعر السوداني في الثلاثينات».

١ تاريخ الثقافة العربية في السودان، مرجع سبق، ص٢٤٥.

٢ عبد القدوس الخاتم، مقالات نقدية، الطبعة الأولى، دار النشر الثقافي، ١٩٧٧م، ص٤٩ –٥٥.

أما الدكتور محمد إبراهيم الشوش فقد ذكر في كتابه الشعر الحديث في السودان في الجزء الأول أن شعر سعد الدين في ديوان «من وادي عبقر» في أوائل الأربعينات امتدادٌ لمدرسة الفجر. صلاح الدين المليك يتحدث عن شعر سعد الدين في كتابه «فصول في الأدب والنقد» فيذكر أن في ديوان من «وادي عبقر» قصائد في موضوعات مختلفة حيث لم يقتصر شعره على المسابقات وإنما تناول المناسبات العامة من دينية واجتماعية وثقافية (صلاح الدين المليك، الطبعة الأولى؛ الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر،١٩٧٥م، ص٣٢)[١].

كان سعد الدين معجبًا بالشاعر علي محمود طه وديوانه « الملاح التائه «. لقد استوحى من ديوان « الملاح التائه « قصيدته «حانة الشعراء» تحت عنوان «الحانة الخالدة». ولم ينسَ سعد الدين وطنه السودان وحبه الجارف له حين نظم قصيدته «إلى الخلود» (سعد الدين فوزي، د.ط؛ بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر،١٩٦١م. مقدمة الديوان)[٢].

يرى الدكتور إحسان عباس في مقدمة الديوان أن سعد الدين تتجاذبه عوامل شتى أبعدها أثرًا في نفسه الطموح إلى الشهرة وحب الظهور دون أن يستكمل عدته من الثقافة واللغة. كان مخلصًا لدعوة التجديد في عصره إذ يتبع الحرية في التعبير. يقول في قصيدة «الشاعر» مخاطبًا علي محمود طه:

حرر الشعر وحلق في سماه وانشر التجديد في دنيا الجمود

إنما الشاعر من تسمو رؤاه مطلق الأفكار لا يرضى الحدود

لقد حاول نظم شعره وفق نسق التوشيح المهجري. تذكر زينب الفاتح قصيدة «ماذا تريد « التي يقول فيها:

أيها الإنسان قل ماذا تريد في الحيـاه

هل عرفت السر من هذا الوجود أو مداه

ورشفت الشهد أو زقت البرود في ريـاه

١ صلاح الدين المليك. شعراء الوطنية في السودان. الطبعة الأولى؛ الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ١٩٧٥م، ص٣٢.

٢ سعد الدين فوزي. من وادي عبقر، د.ط؛ بيروت، دار الريحاني للطباعة والنشر،١٩٦١م. مقدمة الديوان.

ويرى أن هذه القصيدة مهجرية الشكل والمضمون. كذلك ترى زينب الفاتح أن سعد الدين اهتم بقدر وافر بالقومية السودانية. لقد كتب شعرًا عن كردفان عروس الرمال وتحدث عن وحي الخريف والخريف الباكر (زينب الفاتح البدوي، الطبعة الأولى الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م ص ٤٢)[١].

إن صفة الرومانتيكية من مميزات شعره وأن شعره الغنائي عاطفي وقصيدته « ملك الطبيعة « أفكارها من أفكار الرومانتيكية. أنصت إليه يقول:

فسبحت في قلب الطبيعة شاديًا مثل الرعـاة

وعقدت تاجي من أزاهر عندها متألقـات

هل كان اسم الديوان « من وادي عبقر « عن اعتقادٍ بفكرة صلة الشعر بالإلهام الإلهي وبفكرة شيطان الشعر؟ لم يخلُ شعره من الأساطير إذ يتبين ذلك في قصيدته «وحي الخريف» التي نظمها من مائة بيت، أورد فيها الإله والأساطير. إنه لم يكن بعيدًا عن التأثر بالشعراء المعاصرين له، فقد تأثر بالشاعر علي محمود طه حيث استعار هياكل القصائد والألفاظ والتراكيب ورغم ذلك لم تطمس شخصيته في شعره، فالتجديد عنده تحكمه الرومانتيكية ونظم قصائده تربطه علاقة بنائيه بين الألفاظ (زينب الفاتح البدوي، الطبعة الأولى الخرطوم، دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م ص٤٧)[٢]. قال عبد المجيد عابدين (عبد المجيد عابدين، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٥٢م، ١٩٥٢م ص ٢٤٨)[٣]: لعل هدوء هذا الشعر قد مكن صاحبه من أن يجرب الأسلوب القصصي في الشعر، فمن ذلك قصيدته (غرام الشيوخ):

فمضى يداعبها هوى والشيخ كم جهل الدعابة

يهذي بقارعة الطريق ولم يخف أهل الرقابة

ويطن في أذن الفتاة كما تطن بها ذبابه

١ التجديد في الشعر السوداني، مرجع سبق، ص٤٢

٢ المرجع السابق، ص٤٧.

٣ تاريخ الثقافة العربية في السودان، مرجع سبق، ص٢٤٨.

ولكن لم يرقها منظر الشيخ وتصرفه، فجعلت تؤنبه، ولكن الشيخ لم يكترث لقولها ومضى في غوايته:

محبوبتي هذا عتابك فاسمعي عني جوابه

أنا ذلك الشيخ الذي عشق الجمال ولن يهابه

ربيت في حضن الهوى ورضعت من ثدي الصبابة

سلب الحسان شبابه هلا رددت له شبابه

أورد الرمادي (جمال الدين الرمادي، الدار القومية للطباعة والنشر، ١١ شارع الصحافة، القاهرة د.ن ص٥١)[1]: لقد استطاع سعد الدين فوزي أن يصور تجاربه النفسية في وضح وجلاء في أسلوب عذب جميل، ليس فيه تعنت القدماء، انظر لقوله:

كم سهرنا في ضياء القمر

وغفونا عن سهام القدر

وقطفنا من ربيع العمر

من لذاذات الشباب النضر

ثم لم نحفل بنقد أو جمود

هذه الأزهار تزهو حولنا

إن هذا الليل يغري مثلنا

وصفاء الكون قد أضحى لنا

وكنار الحب يشدوا معلنا

ها هو الصفو فهل من مستزيد

١ جمال الدين الرمادي. دراسات في الأدب السوداني، الدار القومية للطباعة والنشر، ١١ شارع الصحافة، القاهرة د.ن، ص٥١.

إن الاستطراد عن هؤلاء الشعراء ودواوينهم الشعرية توضيح لخط التجديد حيث المزاوجة بين التأملات الفكرية، النفسية والفلسفية وتأثيرات الوجدان والانطباعات الصوفية والعاطفية والطبيعة. خذ مثلاً قصيدة « زهرٌ وقفر» وهي تتبع الشعر المقطوعي. يقول إسحق في تلك القصيدة:

كيف يرنو مثل ظئر لعظيـــم

كان بالأمس حليمًا والنفــوس

لم يصبها من صدى الدهر الصدأ

كنضارٍ تحته النحر صقــيل

لقد اتحد هؤلاء الشعراء في كراهية الاستعمار كما إن صورهم الشعرية مؤثرة مترابطة تكشف عن وحدة شعرية. ترى زينب الفاتح أن قاموسهم الشعري يوحي بالرابطة المعاصرة. إن شعرهم غني بالمعاني الجديدة في الشعر السوداني المعاصر.

يضاف إلى هؤلاء الشعراء الشاعر حسين منصور صاحب ديوان «الشاطئ الصّخري» وهو شاعر سوداني من أصل مصري ولد في أم درمان سنة ١٩٠٦م، وهو من شعراء الاتجاه الاتحادي. كان شاعرًا ثائرًا مقاتلاً. كانت دعوته إلى النضال والقتال عنيفة والتمعن في قصائده يوضح هذا الاتجاه.

انظر إلى قصيدته « لماذا التردد؟» حيث طالب فيها إلى حمل السلاح وكان فيها حادًا حيث يقول:

يا أمة سدرت في اللهو وارتشفت خمر الفساد وعاطت كأسها صرفا

....

كفى فقد صار قلبي لا يحبكم وصار لي وطني السودان كالمنفى

يرى المليك أن حسين منصور قضى سنوات من عمره كواقف على شاطئٍ صخري يصيبه ما يصيبه ومن ثم لابد له من سلاحٍ يرد به مما جعل شعره قويًا عنيفًا (صلاح الدين المليك، الطبعة الأولى، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر،١٩٧٥م، ص ٢٠٨)[١]. يقول في قصيدته « الشاطئ الصخري»:

وحياتي لهم إذا اشتد أمرٌ فهي وقفٌ على صحابي وشعبي

إذن فقد أوقف الشاعر حياته على شعبه وناضل وقاتل من أجله وتمنى ما ينبغي أن يكون عليه وطنه حيث يقول:

فيكون موطننا الجنان لأهله ويتم بين مواطني هنائي

لقد كان شعر حسين منصور خطبًا سياسية منظومة شعرًا تنادي بالكفاح السياسي والحماسة ويقول المليك عن شعره: كان له دورٌ كبير في تنبيه المواطنين وإثارة حماسهم. إنه أيضًا إضافة قيمة إلى الأدب السوداني الحديث « الفصيح، فيها اتسعت أغراضه وصار مجال دراسته ومجال الدراسات السودانية عامة أرحب، وبهذه الإضافة خطى الشعر السوداني الفصيح خطوات نحو سلامة المبنى وجودة المعنى « (صلاح الدين المليك، الطبعة الأولى؛ الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر،١٩٧٥م، ص ١١٠)[٢].

كان من شعراء الاتجاه الاتحادي وهم كثيرون: عبد الله عبد الرحمن وحسن طه وحسين منصور ومحمود أنيس وأحمد سنجر. لقد كان شعرهم ومن بينهم حسين منصور ذا أسلوب بسيط ووضوحٍ ساير ذوق عامة الناس ومستواهم وهو مساهمة، تحمد لهم، في الجهاد والكفاح السياسي حيث استنهضوا الأمة وأثاروا حماسها فنهضت حتى تحقق الاستقلال. لقد اتسعت أغراض شعرهم وهذا يجعلهم من ضمن مجموعة شعراء التجديد.

يقول عز الدين الأمين في مستهل كتابه (عز الدين الأمين. نظرية الفن المتجدد وتطبيقاتها على الشعر. الطبعة الأولى؛ القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٦٤م، ص١٠)[٣] أنه نظر في الأدب العربي محاولاً

١ . شعراء الوطنية في السودان، مرجع سابق، ص٢٠٨ .

٢ . المرجع السابق، ص١١٠.

٣ عز الدين الأمين. نظرية الفن المتجدد وتطبيقاتها على الشعر. الطبعة الأولى؛ القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٦٤م، ص١٠.

استكشاف سنته في التطور والتجديد: فكان أن انتهيت إلى أنه يجب – في رأيي– أن يسير على غرار نظرية اهتديت إليها وأسميتها « نظرية الفن المتجدد، قصد عز الدين الأمين باستخدامه كلمة الفن إلى التفرقة بينها والعلم في التطور. ويرى أن الذي يعتري الفن من ضرورة إبقاء أصوله الرئيسة لا ينبغي أن يحدث للعلم. (عز الدين الأمين، الطبعة الأولى، القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٦٤م، ص١٠)[١].

يشير عز الدين الأمين إلى نظريته تقوم على أساسين اثنين:

إبقاء الفن وهو المحافظة على الأصول الرئيسة حتى لا يقضي عليه وبمعنى آخر فلو فقد الشعر وزنه وموسيقاه لما عاد شعرًا فالشيء حين يفقد خصائصه يصبح شيئًا آخر. هذا لا يعني الجمود وإيقاف التجديد فالتجديد يأتي داخل الإطار. إن التجديد حادث في الشعر العربي فالقصيدة لم تعد كل أبياتها بروي واحد بل تنوع الروي فاتفاقية لم تسقط أو تزول بل بقيت ولكن تنوعت.

التجديد المطرد للفن وهو مطلوب ولكن داخل إطار أصول الفن الرئيسة. سنة التطور تفرض التجديد فإن لم يكن ذلك في شكل الفن وطريقة الآداء فقد يكون في المضمون والغاية. أطلق عز الدين الأمين على الشعر الذي تنطبق عليه نظريته بالشعر المتجدد ووازن بنية الشعر الحديث الذي أطلق عليه «شعر التفعيلة».

يرى الدكتور عز الدين الأمين أن أنصار عمود الشعر العربي لا يقبلون في الشعر تجديدًا ولا تنوعًا في عموده. سمى هذا الفريق بالتقليديين أو أنصار الشعر القديم. إنه يتفق مع جماعة الشعر الحديث في المضمون من حيث إعطاء الأديب حريته دون التزام. وأهم رأي في هذا السياق أن جماعة الشعر الحديث يجعلونها على التفعيلة الواحدة بينما يدعوا الدكتور عز الدين الأمين على إقامتها على وحدة التفعيلات. إن منهم من يعترف بالقافية في حدود ولكن على غير نسق وقد سماها باتفاقية الداخلية بسبب عدم وجودها في نهاية الوحدة الموسيقية إلا نادرًا إذ غالبًا ما تتخلل التفعيلات. (عز الدين الأمين. نظرية الفن المتجدد وتطبيقاتها على الشعر. الطبعة الأولى؛ القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٦٤م، ص٦٥)[٢].

١ . المرجع السابق، نفس الصفحة

٢ . المرجع السابق، ص٦٥

ويهتم الدكتور عز الدين الأمين باكتمال الموسيقى في النص الشعري إذ إنه يتقبل ذلك الشعر الحديث ذا الصلة بالوزن والقافية.

توصلت الدراسة الى إن الانفتاح على تجارب الآخرين أتاح للشعراء السودانيين ولوج كثيرٍ من المجالات ولم يكن النقد بعيدًا عن ذلك التأثير. وأن فئة المتعلمين الذين تخرجوا في كلية غوردون أو فئة الذين هاجروا في المهاجر الغربية (فرنسا – لندن) كان لهم الأثر الواضح في تطوير الشعر والنقد معًا. هذا لا يعني إغفال أدوارهم الوطنية الأخرى خاصة في مجال السياسة والتحرر الوطني. تأثرت موضوعات الشعر كما تأثر شكل القصيدة من خلال من حملوا لواء التجديد متأثرين بما اطلعوا عليه من آداب الشؤون الغربية فتنالوا أغراضًا مختلفة ورادوا آفاقًا إنسانيةً وقومية لم تكن من قبل مطروقة كما كتبوا شعر التفعيلة والشعر الحر والمرسل فجددوا وأثروا الحياة الأدبية ووضعوا بذورًا للكثير من القيم الشعرية.

توصي الدراسة بالاهتمام بدراسة اتجاهات الشعر السوداني ومناهج النقد في ضوء الاتجاهات الحديثة المعاصرة، لمعرفة مدى قربنا أو بعدنا مما هو حادث في العالم المعاصر، خاصة والعولمة الثقافية تتجه نحو إماتة الخصوصيات الثقافية.

الاهتمام بإعادة طباعة تراثنا القديم خاصة في مجال الشعر والأدب وإصدارات الحقب التاريخية الماضية حتى تكون في متناول يد الأجيال الحاضرة من أجل تثقيفهم وإدراكهم لماضيهم ومن أجل البحث العلمي إذ إن الأخير يتطلب توافر المادة العلمية لدراستها. وما ينتظر الشاعر السوداني والشعر السوداني القيام بمهام شاقة إلا أنها تستحق أن تجسد خدمة لأدب وثقافة شعب عظيم.

قائمة المراجع:

أولاً- الكتب:

١ – جمال الدين الرمادي. دراسات في الأدب السوداني، الدار القومية للطباعة والنشر، ١١ شارع الصحافة، القاهرة د.ن.

٢ – حسن نجيلة. ملامح من المجمع السوداني. الطبعة الرابعة؛ الخرطوم: دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م.

٣- حمزة الملك طمبل. الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه. الطبعة الأولى؛ مصر مطبعة النهضة: ناشر سوداني، ١٩٣١م.

٤ - زينب الفاتح البدوي. التجديد في الشعر السوداني المعاصر. الطبعة الأولى؛ الخرطوم: دار جامعة الخرطوم، ١٩٨٥م.

٥- صلاح الدين المليك. شعراء الوطنية في السودان. الطبعة الأولى؛ الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر،١٩٧٥م.

٦ - عبد القدوس الخاتم. مقالات نقدية. الطبعة الأولى؛ دار النشر الثقافي، ١٩٧٧م.

٧ - عبد المجيد عابدين. تاريخ الثقافة العربية في السودان. الطبعة الأولى؛ القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٥٢م.

٨ - عز الدين الأمين. نظرية الفن المتجدد. الطبعة الأولى؛ القاهرة: مكتبة وهبه، ١٩٦٤م.

٩ - محمد إبراهيم الشوش. الشعر الحديث في السودان. الطبعة الثانية؛ د.ط: لجنة التأليف والنشر جامعة الخرطوم، ١٩٦٢م.

ثانيًا- دواوين الشعر:

١ - إسحق محمد الخليفة شريف. زهر وقفر-ديوان شعر. د.ط؛ بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر، ١٩٥٦م.

٢ - حسين منصور. الشاطئ الصخري - ديوان شعر - صورة من الأصل، دون بيانات.

٣ - سعد الدين فوزي. من وادي عبقر. د.ط؛ بيروت: دار الريحاني للطباعة والنشر،١٩٦١م.

٤ - مصطفى عوض الكريم. السفير. د.ط؛ الخرطوم: الدار السودانية للكتب،١٩٧٢م.

منهج الشيخ علي بيتاي في التعامل مع الحديث الشريف
دراسة تحليلية

بقلم: دكتور/ حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد البولادي

الأستاذ المشارك – نائب عميد كلية الدراسات الإسلامية

– جامعة كسلا – السودان

بريد الكتروني: yahoo.com@haghamad٢٠٠٥

المستخلص:

يهدف هذا البحث للتعريف بالشيخ علي بيتاي رحمه الله، وبيان دوره الكبير في التعليم والدعوة إلى الله، واصلاح المجتمع في شرق السودان، مع الوقوف على منهجه في التعامل مع الحديث الشريف، من خلال الخلاوي والمساجد والدروس والمواعظ، بالتركيز على كتابه (الهداية إلى الطريق المستقيم). واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتتبع منهجه في شرح وتطبيق الأحاديث النبوية تطبيقًا عمليًا حقق به الشيخ تحولاً كبيرًا في المجتمع في همشكوريب خاصة وشرق السودان عامة. وقد خرجت الدراسة بمجموعة من النتائج أهمها: أن الشيخ علي بيتاي استخدم عدة مناهج في الدعوة إلى الله وتعليم الناس بالحسنى متخذًا من القصص والموعظة والتطبيق العملي للحديث منهجًا للتعليم، أن الشيخ اهتم بتدريس الحديث وعلومه مع القران الكريم، وأن منهج الشيخ في تطبيق الحديث وتبسيطه نجح في تمسك الناس بالسنة النبوية وساعد في حفظ المجتمع كله.

وقدمت الدراسة العديد من التوصيات أهمها: إقامة مؤتمر علمي عن منهج الشيخ علي بيتاي في الدعوة والتعليم، ودراسة مناهجه فيها،وضع منهج للخلاوى لتدريس الحديث الشريف،مع الإهتمام بكتاب الشيخ وطباعته وتوزيعه للوقوف على نهجه في التعامل مع الحديث الشريف.

Abstract

The aim of this research is to introduce Sheikh Ali Betti (May God have mercy on him), and to demonstrate his great role in teaching and preaching to God, and reforming the society in eastern Sudan, while standing on his approach in dealing with Hadith, through the Khalawi, mosques, lessons and sermons, focusing on writing (guidance to the road The rectum). The study used the descriptive analytical method to follow its approach in explaining and applying the prophetic hadiths in a practical application that Sheikh has achieved a major transformation in the society in Hamashrib, especially in eastern Sudan in general. The study came out with a series of results, the most important of which are: Sheikh Ali Betti used several methods in advocating for God and educating people in the knowledge of the stories and preaching and the practical application of the hadeeth curriculum of education, that Sheikh cared about teaching hadith and its sciences with the Koran, and that the method of Sheikh in the application of Hadith His simplification succeeded in holding people to the prophetic sunnah and helped to save society as a whole.

The study presented several recommendations, the most important of which: the establishment of a scientific conference on the curriculum of Sheikh Ali Betti in advocacy and education, and study of its curricula, the development of a curriculum for the Khalawi to teach the Hadith, with interest in the book of Sheikh, printing and distributing it to determine his approach in dealing with Hadith.

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحمد وله الملك وهو على كل شيئ قدير، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وصفيه من خليقته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد..

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يتناول بالبحث والدراسة الشيخ علي بيتاي ومنهجه في التعامل مع الحديث الشريف، ويبين دوره الذي لا تخطئه عين في العملية الدعوية واصلاح المجتمع في شرق السودان من خلال منهجه في شرح وتطبيق الأحاديث النبوية تطبيقًا عمليًا حقق به الشيخ تحولاً كبيرًا في مجتمع كان يسوده الجهل وتنتشر فيه الجرائم إلى مجتمع علم وعمل وتمسك بالهدي النبوي الشريف.

أسئلة البحث:

١- من هو الشيخ على بيتاي، وما هو دوره في التغيير الذي حدث في شرق السودان؟

٢- ماهي مناهج الشيخ على بيتاي في الدعوة والتعليم في مجتمع همشكوريب؟

٣- كيف استخدم الشيخ المنهج العملي التطبيقي في تطبيق الحديث الشريف؟

٤- ما الوسائل التي اتخذها الشيخ لتعليم الناس السنة النبوية، وما هي آثار منهجه هذا؟

أهداف البحث:

أ- التعريف بالشيخ على بيتاي ودوره في نشر الإسلام في شرق السودان.

ب- إبراز منهج الشيخ التعليمي المرتكز على القرآن والسنة النبوية.

ج- شرح وتحليل طريقة الشيخ في التعليم الديني وكيفية نهله من الحديث الشريف.

د- بيان منهجه في التعامل مع الحديث الشريف وكيفية تنزيل نصوصه في المجتمع داخل وخارج همشكوريب.

هـ- توضيح تجربة الشيخ الدعوية من خلال منهجه في تطبيق الحديث الشريف في مجتمع همشكوريب من خلال مواعظه ودروسه وكتابه (الهداية).

حدود البحث:

حدود هذا البحث هو شخصية الشيخ علي بيتاي رحمه الله وفترته التي عاش فيها، وأثره الذي تركه في المنطة التي انتشرت دعوته فيها والتي مركزها مدينه همشكوريب خاصة وشرق السودان عامة.

مصطلحات البحث:

١/ الخلوة: المكان الذي يدرس فيه الطلاب بالمفهوم العام في السودان ولكن في همكشوريب مكان سكن الطلاب (بشير، ٢٠١٦م) .

٢/ القرءانية: مكان الدراسة لطلاب خلاوي همشكوريب. (بشير، ٢٠١٦م).

٣/ الهداية إلى الطريق المستقيم: هو كتاب الشيخ علي بيتاي رحمه الله فهو خلاصة حياته الشخصية وجهوده الدعوية ومجموعة افكاره ونهجه في الدعوة إلى الله عز وجل فقد ألفه وهو أمي بإعتبار رواياته التي إلقاها على حيرانه وتلاميذه بلهجة الهدندوة فجمعوها وترجموها باللغة العربية ثم طبعوه.

٤/ الحديث: والحديث في إصطلاح جمهور المحدثين يطلق على قول النبي (صلى الله عليه وسلم) وفعله وتقريره أوصفة.(عتر، ١٤١٨هـ - الدهلوي١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٥/ همشكوريب: تقع في شرق السودان على الحدود المتاخمة لدولة أريتريا على بعد (٢١٠ كيلو مترًا) من مدينة كسلا، تحيطها الجبال من جهات ثلاثة وسكانها اساسًا من قبيلة الهدندوة ومن أصل البجا.

الدراسات السابقة:

لم أقف في حدود بحثي على دراسة لمنهج الشيخ علي بيتاي في السنة النبوية والحديث الشريف،ولكن هناك دراسات عن منهجه في الدعوة،والتربية وحفظ القرآن،وقد وقفت علي بعض من هذه الدراسات وأهمها :

أولاً: دراسة سيد أحمد بابكر الصافي،وهي بعنوان :(تعليم القرءان الكريم واللغة العربية بخلاوي همشكوريب)وهي دراسة لنيل درجة الماجستير: (الصافي، ١٩٩٢م)[١].

حيث تناول البحث في دراسته نبذة تاريخية عن الخلاوي في كل السودان،ثم عن خلاوى همشكوريب و الشيخ علي بيتاي كمؤسس لخلاوي القرآن الكريم، وطرق تعليم اللغة العربية في همشكوريب وطريقة الحفظ والتحفيظ فيها. وأورد بعض الإيجابيات عن منهج الخلوة،وبعض السلبيات،وعرج على مناهج التعليم المتبعة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية.

والفرق بين دراسته وهذه الدراسة أنه تناول الخلاوي من جانب تعليم القرآن الكريم و اللغة العربية، وهذه الدراسة تركز على المنهج التطبيقي لتعليم الناس عبر الحديث الشريف.

ثانيًا: دراسة طاهر عمر بشير أحمد: وهي بعنوان (الشيخ على بيتاي ونهجه في الدعوة إلى الله عز وجل) (بشير، ٢٠١٦م) .وعرفت دراسته بالشيخ علي بيتاي ومنهجه في تأسيس خلاوي القرآن الكريم،ونهجه الدعوي إلى الله عز وجل،ووسائله في الدعوة إلى التي مارسها، مع الحكمة والموعظة الحسنه حتى هدى الله قبائل شرق السودان،وصارت مدينة همشكوريب قبلة لكل طالب للقرآن، من جميع أنحاء السودان وخارج السودان. و توصل الباحث إلى عدد من النتائج التوصيات، دعا فيها لتوفير الدعم المادي للخلاوي،وتأهيل الشيوخ باستمرار مع توفير احتياجاتهم المادية،ومد خدمات الكهرباء والمياه والصحة للخلاوى.

والفرق بين دراسته وهذه الدراسة أنه تحدث عن وسائل الدعوة عند الشيخ، وهذه الدراسة تتحدث عن استخدام الحديث الشريف تطبيقًا في حياة الناس، ودعوة الشيخ لها بعدة وسائل ومناهج.

١ سيد أحمد بابكر الصافي: تعليم القرءان الكريم واللغة العربية بخلاوي همشكوريب، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من معهد الخرطوم الدولي للغة العربية بإشراف الدكتور يوسف الخليفة بابكر في سنة ١٩٩٣م.

ثالثًا: دراسة محمد حسين أونور: وهي بعنوان(المنهج التربوي بخلاوي همشكوريب في تحفيظ القرءان الكريم وتعليم اللغة العربية) (أونور، ٢٠٠٥م) حيث عرض الباحث في الطرق التربوية التي استخدمها الشيخ في التربية،وفي تعليم الناس في الخلوة للغة العربية، وكيفية تصنيف الطلاب و حفظهم للقرءان الكريم،وتحدث عن اسس دعوة الشيخ بدءًا من واستعرض الرؤيا التي رآءها للنبي صلي الله عليه وسلم التي رءاها الشيخ علي بيتاي،وطرق التدريس التي استخدمها في تعليمه للناس.

والفرق بين هذه الدراسة ودراسته، أنه لم يتطرق لعلاقة الشيخ بالحديث النبوي، وطرق ووسائل الشيخ في تنزيله لواقع الناس،وركز على منهجه التربوي من خلال القرآن،ولم يتطرق للحديث الشريف ومناهجه في تعليمه وأثره في مناهجه،وهذا ما سيجتهد الباحث في إثباته والتدليل عليه.

هيكل البحث: على النحو التالي:

* المقدمة: وفيها خطة البحث وأهمية الموضوع، واسئلة البحث، وأهدافه.
* تمهيد: همشكوريب الموقع والطبيعة
* المبحث الأول: التعريف بالشيخ على بيتاي.
* المبحث الثاني: أسس دعوه الشيخ وأثرها في التغيير.
* المبحث الثالث: منهج الشيخ في التعامل مع الحديث النبوي.
* المبحث الرابع: عناية الشيخ علي بيتاي بالحديث الشريف
* الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات .
* المراجع والمصادر.

تمهيد

همشكوريب الموقع والطبيعة

تقع مدينة همشكوريب (مدينة القرآن) في أقصى شرق السودان، على الحدود الدولية المتاخمة لدولة أريتريا، حيث تقع المدينة على بعد (٢١٠ كيلو مترًا) من مركز ولاية كسلا، وهي مدينه كسلا، وتحيط بها سلسلة من الجبال من جهات ثلاثة وسكانها أصلاً قبيلة الجميلاب،بطن من بطون قبيلة الهدندوة، المنحدرة من أصل البجا، الذين يسكنون إقليم شرق السودان.وتمتد منطقة همشكوريب في أرض قاحلة،قليلة الأمطار و العشب، عارية من الأشجار بخلاف بعض اشجار الدوم المتناثرة على ضفاف نهر القاش، وحرفة السكان الأساسية هي الرعي لقليل من الإبل والأغنام.فالمراعي فقيرة لا تسمح إلا بعدد من الحيوانات وخاصة في موسم الجفاف يضيق لندرة المراعي وصعوبة أخرى هي شُح المياه والحياة على هذا النحو قاسية وتركت هذه القسوة بصمتها على الناس. (فضل، ١٩٨٨م).

وظهر نمط جديد من التخطيط العمراني في تلك المنطقة(همشكوريب) يخالف ما كان عليه الوضع في عامة المدن وقرى السودان إذ أن جزء من القرية يعرف بالحلة وهو سكن الأسر والمنازل المشتمل على خلوة النساء وكل شئ خدمي يخص النساء بما فيها مضيفة خاصة بالنساء وسكن للطالبات، حصر هذا الجزء بمساحة لا تقل عن ثلاثمائة متر من القرية والذي يتكون من مسجد وخلوة الرجال ومساكن الشيوخ والمضيفات الخاصة والعامة ومنطقة السوق وموقف المواصلات العامة والمدرسة ومركز الشرطة والمركز الصحي وكما أن للنساء آبار لمياه الشرب خاصة بهن والتي لا يرتادها الرجال وأن النساء لا يدخحلن السوق أبدًا ولو جلست في همشكوريب زمنًا طويلاً لا ترى إمرأة أبدًا في ساحة الخلاوي والسوق وللنساء مركز صحي خاص بهن. (بشير، ٢٠١٦م – أونور، ٢٠٠٥م) .

المبحث الأول

التعريف بالشيخ علي بيتاي

الشيخ على بيتاي هو مفجر ثورة التغيير في اليم شر السودان، حيث شهدت هذه المنطقة تحولاً كبيرًا، من حياة الجهل إلى نور القرآن، ومن السلب والنهب والقتل، إلى العيش في سلام ومحبة، ومن التفرق إلى الوحدة والعيش في مجتمعات قرآنية، ومن منطقه معزولة إلى مدينة يؤمها الطلاب من كل نواحي الدنيا.

مولد الشيخ ونشأته: الشيخ علي بيتاي رحمه الله في قرية همشكوريب، شمال مدينة كسلا سنة ١٣٥٠هـ الموافق الأربعاء ٢١ سبتمبر ١٩٣٠م،و نشأ الشيخ علي بيتاي رحمه الله نشأة بدوية، فقيرًا يتيمًا في كنف ورعاية أخيه الشيخ محمد أحمد بيتاي، نسبة لوفاة والده مبكرًا وكان عمره اذ ذاك أربعة سنوات .

نسبه: (بيتاي، ١٩٩٦م) وأما نسب الشيخ علي بيتاي رحمه الله من جهة ابيه فهو الشيخ علي بن السيد محمود الملقب ببيتاي بن علي بن محمد بن علي بن انفيين بن احمد بن محمود بن علي بن عيسى بن محمد الباقر(عثمان) بن الشيخ عجيب المانجلك بن الشيخ عبدالله جماع. ينتهي نسبه إلى الإمام أبي عبدالله الحسين بن بضعة خير البرية السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها من الإمام علي كرم اله وجهه. وهذا النسب الشريف كتب سنة (٩٤٦هـ) بالحرمين الشريفين كما في كتاب (السمرقندي) . (بشير، ٢٠١٦م) .

والشيخ علي بيتاي رحمه الله من قبائل البجا في شرق السودان، ونسبة للتشتت القبلي، وعدم الإستقرار والفرقة السائدة بين القبائل، والشقاق بين بطون القبال، فقد رأى الشيخ علي بيتاي رحمه الله بفكره الثاقب، وبصيرته المتوقدة أن يسد جدار الفرقة بين القبائل، عن طريق المصاهرة بين القبائل، فدعا للزواج من القبائل الأخرى، وشجع عليه، وتزوج هو بحوالي تسع نسوة من مختلف القبائل، وقد مات رحمه الله تعالى وفي ذمته ثلاثة زوجات.

حتى أنه تزوج من خارج السودان وزوجته هي أم الشيخ بشير من قبائل الباريا وأولاده منها بشير وعبدالله رحمه الله والشيخ بشير هو المشرف اليوم على خلاوي همشكوريب بدولة ارتريا وهي حوالي مائة وخمسون خلوة تقريبًا. (طه، ١٩٨٣م).

أسرة الشيخ :وللشيخ علي بيتاي أخوين،الأخ الأكبر هو محمد أحمد بيتاي وقد نشأ على يده الشيخ علي يتيمًا فقام بكفالته، وكان للشيخ بمثابة الحارس الأمين أثناء رحالته في الدعوة وما زال حاله نحو الشيخ حتى إنتقل إلى ربه .وبهذا حدث تغيير جذري في مناطق الشرق وأصبحت تسير من حسُن إلى أحسن بصورة لم يسبق لها مثيل. (طه،١٩٨٣م – (بشير، ٢٠١٦م) . توفى رحمه الله عام ١٩٧١م بمسجد تهداي عن عمر جاوز الستين عامًا رحمه الله والآخر هوالشيخ طاهر بيتاي الذي سار بالخلاوى وفق نهج شقيقيه حتى توفى عام ١٩٨٣م. (بيتاي،١٩٩٦م – طه،١٩٨٣م). وللشيخ علي بيتاي رحمه الله أختان أكبرهما (أم الفقراء) وهي المشرفة سابقًا على خلوة النساء وتوفيت رحمها الله وتزوجت ولها أولاد، والثانية نفيسة بيتاي وهي أيضا متزوجه وأبناءها الآن بهمشكوريب.

أشهر تلاميذه: كان الشيخ علي بيتاي رحمه الله رجلاً أميًا،وقد أكرمه الله عزوجل برؤية النبي صلي الله عليه وسلم وجعله سببًا لهداية قبائل شرق السودان، حيث قام بتأسيس خلوات القرآن الكريم التي خرجت آلاف الطلاب والطالبات علي مستوي السودن والعالم أجمع. ولعل أشهر تلاميذ الشيخ هم:

١/ الشيخ عمر بشير أحمد علي: العالم الكبير والشيخ الجليل، المشهور بالقاضي فقد لقبه الشيخ بهذا اللقب لفصله بين الناس فيما يختصمون فيه، فكان يجتمع عنده من العلماء والفقهاء وحفظة القرءان ويدرسون عنده العلوم الشرعية واللغة العربية في مسجد همشكوريب وكان إمامها و تخرج على يديه جماعات كثيرة، توفي في عام ٢٠٠٣م ودفن في همشكوريب.(أوهاج، ٢٠١٦م)

٢/ وهناك عدد لا يحصى منهم، الشيخ الفقيه (فكي) طاهر شرعاب، والشيخ العالم العابد سيدنا مصطفى في تيلكوك،والشيخ آدم علي شبناب، والشيخ محمد نكسوب، والشيخ سيدنا حسين،وكانوا من العلماء كلهم، وغيرهم خلق كثير .

وفاته: مرض الشيخ علي بيتاي رحمه الله بمدينة كسلا، وبعد أيام قليلة من مرضه نصحه الأطباء بالسفر إلى الخرطوم، فنقل إلى المستشفى العسكري بأمدرمان حيث لزم سرير المستشفى تحت عناية كبار الأطباء،و زاره الرئيس جعفر محمد نميري رحمه الله، والوزراء ورجال الدين والأعيان والمريدين والأحباب من كل حدب وصوب، وتوالت الإستفسارات عن صحته من مختلف الأقاليم والمدن، وفي فجر الأثنين الرابع عشر من شوال ١٣٩٨م الموافق ١٨ سبتمبر ١٩٧٨م وبعد صلاة الصبح توفي في المستشفى العسكري بأم درمان في الجناح الخاص رحمه الله،

ثم تم تشييع جثمانه الطاهر إلى مطار الخرطوم العسكري حيث أعدت طائرة خاصة لنقله إلى كسلا حيث كان في إستقباله محافظ مديرية كسلا، وجمع من المسؤولين و المشائخ والمريدين والمحبين من أبناء الشيخ علي، و حمل الجثمان الطاهر إلى همشكوريب ووري هنالك حسب طلبه ورغبته.(طه، ١٩٨٣م- (بشير، ٢٠١٦م) .

هذا غيض من فيض في التعريف بالشيخ على بيتاي رحمه الله، ونشأته وجهده في التعليم وإرشاد الناس للخير، وفي تحفيظ القرآن وفتح الخلاوي، وفي تغيير مجتمع شرق السودان من ظلامات الجهل والفقر والإحتراب والاقتتال، إلى الهداية إلى الطريق المستقيم.

المبحث الثاني

اسس دعوة الشيخ وأثرها في التغيير

وهب الله جل وعلا الشيخ علي بيتاي شخصية فذة، جعلته مركز اهتمام كل من عرفه، فوجد إحترامًا من المخالفين قبل المحبين،وذلك لأنه كان يعامل الفريقين على السواء، صاحب ذاكرة قوية جعلته ينادي كل الناس بأسمائهم، ويعرف قبائلهم وأنسابهم وأماكن إقامتهم،وموضع ترحالهم، يتفقد أحوالهم، ويقيم دروسًا في الوعظ والإرشاد أينما حل، وقد وفقه الله لإرشاد الناس في تلك الفترة الحرجة من تاريخ السودان قبل وبعد الإستعمار، وكان كثير الصمت إلا لضرورة، ضابطًا للسانه، لا يواجه أحدًا بمكروه مع الصدع بالحق وقوة النفس، بطئ الغضب ما لم يكن في حق الله تعالى، وكان يمتاز بالتواضع والبعد عن التباهي، في ملبسه و مأكله ومشربه، وكان ورعًا شديد التحري والتحرز فيما يأكل أو يشرب أو يلبس، ينتقي الحلال الطيب، ويتجنب الحرام والمشبوه،كريمًا غاية الكرم، ولقد زان كل تلك الخلال الفريدة والخصال المجيدة ملازمته للعبادة، وحرصه على عدم تخليه وقته منها، فكان قواما بالليل متهجدًا، صوامًا بالنهار، وحج إلى بيت الله الحرام، ومداومًا على الذكر والإستغفار في جميع أحواله، وكان رحمه الله معظمًا لجناب الرسول ﷺ محترمًا لسنته متبعًا لهديه منكرًا للبدع، شديد الوطأة على المجترئين على حدود الله تعالى . (بشير، ٢٠١٦م) .

يعتبر كثير ممن سمع بخلاوى همشكوريب، أن دعوة الشيخ علي بيتاي رحمه الله هي تحفيظ للقرآن فحسب، ولكن الصحيح أن الشيخ علي بيتاي رحمه الله كان مصلحًا عامًا، فقد وجد مجتمعًا تسوده الجاهلية في كل أركانه،فتحول بفضل الله إلى مركز للإشعاع يقول الشيخ علي بيتاي عن الوضع اذ ذاك: (ولقد نشأت بشرق السودان وتمنيت أن تزال كثير من العادات و اشفقت عليهم ولقد رأيت وسمعت الكثير عن شتى المناطق في السودان وعلمت فيما علمت أن الجهل هو سبب الشقاء واردت لهم التعليم لتتحسن الحالة الاقصادية والدينية لديهم وبحسب ذلك فقد ارشدتهم ونصحتهم حتى ظهر في عمق مناطق الجهل خير كثير).(بيتاي،١٩٩٦م).

فشمر عن ساعد الجد ليغير هذا الحال بالعلم ونور القرآن، فأسس الخلاوى وعين لها المشايخ،ووطن الرحل من قبائل المنطقة، حتى نشأت قرى صغيرة ومدن كبيرة،حول الخلاوى فصارت منارات يشار إليها بالبنان، وذلك بعد إرافه المباشر ومتابعته المستمرة للشيوخ في كل

الخلاوى، فيقول الشيخ في كتاب الهداية، وهو يدعو إلى طلب العلم وفضله وآدابه:(أول ما يجب على الشيخ أن يعلم أتباعه معرفة الله تعالى وما أمر به من التفقه في أمور الدين وخصصوا في تجمعاتكم وأريافكم وقراكم وأماكن للصلاة وخلاوي القرآن الكريم للرجال والنساء واهتموا بتدريس التفسيروالحديث خاصة بعد كل صلاة حديثًا ويكون ذلك خمسة أحاديث في اليوم وفي الشهر مائة وخمسين حديثًا من أحاديث الرسول (ص) وأن تكونوا متعلمين أو معلمين للغة العربية الفصحى لمعرفة معاني القرآن الكريم وإني لا أريد أن يكون لي محب جاهل وأخشى أن يحضرني الأجل قبل معرفتكم العلم معرفة تامة فأجتهدوا في التعليم).(بيتاي،١٩٩٦م).

وعلى هذا النهج نهج التعليم والتعلم، وانشاء الخلاوى، والوعظ المستمر،والسفر إلى كل الأصقاع ودعوة الناس للخير، ظهرت معالم منهج الشيخ في الدعوة والتعليم، وقد جعل الشيخ هذه الأسس في سبع ركائز للدعوة تعكس شمول فكره، وثاقب نظر للأمور وهي:- (بشير، ٢٠١٦م) .

١/ التوبة النصوح بنية خالصة: فقد حث الشيخ في دعوته على التوبة، وذلك مصداقًا لقول النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسئ النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسئ الليل حتى تطلع الشمس من مغربها). (مسلم، ١٢٦٣ه).

٢/ صلاة الجماعة ولو أثنين: وهذه كانت مفقودة في ذلك المجتمع، فحث الشيخ عليها وأمر بها تأسيًا بقول الحبيب المصطفى، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(صلاة الرجل في الجماعة تزيد على صلاته وحده سبعا وعشرين درجة). (مسلم،١٢٦٣هـ)

٣/ استقرار العرب الرحل وستر النساء.

٤/ قراءة القرءان الكريم شيبًا وشبابًا رجالاً ونساءً وذلك تطبيقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم من تعلم القرءان وعلمه) . (البخاري، ١٤٠٧هـ).

٥/ التسامح فيما حصل بينهم في الماضي لوجه الله تعالى. وذلك تصديقا وتطبيقًا لقوله صلى الله عليه وسلم :(ما زاد الله عبدا يعفو إلا عزًا) (مسلم، ١٢٦٣هـ).

٦/ عدم التفرقة بين المسلمين بالرغم من إختلاف ألوانهم ولهجاتهم.:فقد كان يبدأ الشيخ دعوته بسؤالين للناس عدة مرات هل تعلمون((من أخوكم؟ ومن عدوكم؟)) ويتول الإجابة بنفسه بعد تكرار السؤال (أخوكم كل مسلم وعدوكم الشيطان). (بشير، ٢٠١٦م)، وذلك تأكيدًا لقوله صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم) (البخاري، ١٤٠٧ه – مسلم،١٢٦٣هـ).

٧/ كسب الرزق الحلال والاعتماد على النفس ومعرفة العصر الذي هم فيه وقوانينه وعدم الأنصدام مع السلطة. (بيتاي،١٩٩٦م) ولعل من أبرز أقوال الشيخ علي بيتاي في هذا الصدد (ولا تعتمدوا على غيركم في الدنيا فأعملو بأيديكم واكتسبوا الحلال واياكم والشحذة إلا على وجه تقبله الشريعة) . (فضل، ١٩٨٨م –بشير، ٢٠١٦م) . فكأنه يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: (ماأكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده). (البخاري، ١٤٠٧هـ).

الملاحظ أن ركائز الدعوة مأخوذة من القرآن الكريم والحديث الشريف، دون أن يشغل الشيخ المجتمع بالحديث وروايته،ودرجته من الصحة وغيرها، فيصوغ الكلام بما يناسب عقولهم، ويبين حالهم ويضع العلاج لهم، حتى حدث التغيير المنشود،وانتشر العلم والتزم الناس بالهدي النبوي الكريم، وهو الآن ماثل للعيان فمن كان يتوقع أن ذلك الرجل الجاهل الأمي، الذي يعيش في الغابات،و يتدثر بالجبال، ويحمل سيفه ليل نهار، يستوحش من الناس ولايسكن قربهم،يمكن أن يتغير ويسكن في مدينة يخالط فيها كل القبائل، ويحلق شعر رأسه أو يرجله، ويسعى للعلم ويحفظ القرآن، وتصير بلاده قبلة لك الناس في السودان وخارجه، ولكن اذا عرفنا بعد فضل الله فصاحب هذا التغيير هو الشيخ على بيتاي ومنهجه لذي صار عليه على خطى النبي صلى الله عليه وسلم،إن وراء هذا التغيير في حياة الناس رجل فذ هدى الله به أمة كاملة وكان لهديه (هو الأمي) والناس يمتثلون لما يعظهم به حتى إستطاع أن يقتلع من بعض القبائل التي أمتثلت تعليماته وأعرافهم الأكثر العادات رسوخًا في حياة (الهدندوة) كإطلاق الشعر وسف التمباك وإدمان شرب القهوة والسجائر. (بشير، ٢٠١٦م).

مصادر الشيخ في التغيير: اعتمد الشيخ علي بيتاي رحمه الله بعد أن وضع خطته ومنهجه في تغيير الناس نحو الخير، اعتمد على القرآن الكريم، فبعد أن يأتي الناس للخلوة، ويبدأون حفظ القرآن ييسير معهم الشيخ كل وفق حاله وحاجته،فيلزمهم بترك قبيح العادات،ويدعوهم للإلتزام

بالصحيح من نهج النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول رحمه الله تعالى: فالواجب علينا أن نسير على الكتاب والسنة ولا نخالف كتاب الله وسنة رسوله (ص).(بيتاي، ١٩٩٦م -(بشير، ٢٠١٦م) .

ولذلك تجد الشيخ دائمًا يتحدث عن اصول دعوته، وعن مصادره التي ينهل منها، وعن مراجعه التي يرجع إليها في نهجه ومنهجه ومرتكزات دعوته حيث يقول في كتاب الهداية:(فالكتاب والسنة بين أيديكم هذا حلال وهذا حرام فحللو حلاله وحرموا حرامه). (بيتاي، ١٩٩٦م) فهذا المنهج المبني على القرآن الكريم حفظا وتدريساَ، والهدي النبوي من خلال معرفة السنة النبوية تطبيقاَ عمليا لارواية شفاهية، هو مما جعل مدينة همشكوريب مركز تهفوا إليه فلوب طلاب العلم من كافة أرجاء الدنيا، وارتبط كل ذلك باسم الشيخ علي بيتاي رحمه الله.

المبحث الثالث

منهج الشيخ في التعامل مع الحديث النبوي

كان الشيخ علي بيتاي رحمه الله يسافر بين الجبال والوديان، يدعوا الناس مستخدما أسلوب الموعظة الحسنة، فيداعب الناس ويضاحكهم، ويعيش بينهم،ثم يخطب فيهم ذاكراً لهم مايتمتعون به من شهامة ورجولة وفروسية، ثم يدلف مذكرًا إياهم بنعم الله جل وعلا عليهم، ثم يعدد الأخطاء والمعايب التي يمارسونها،و الأخطاء التي يرتكبونها فيصححها لهم من خلال نصوص الحديث الشريف دون أن يشغلهم بسنده وروايته ودرجته من الصحة وعدمها.

ثم يروي ويقص عليهم من القصص العاطفية المؤثرة ما يسلب به عقولهم وترق له أفئدتهم، كل ذلك بالموعظة الحسنة، والترغيب في الطريق المستقيم، مقتبسًا من الحديث الشريف قولاً وفعلاً، فانظر إليه وهو يصف لهم الجنة ونعيمها والنار وجحيمها مقتبسًا من هدي الحبيب المصطفى فيقول في الهداية(الجنه التي لا تحتاج إلى ترميم ولا يفني نعيمها ولا تبلي جدتها وليس فيها ماتستقذره النفوس وليست فيها سخانة ولا برد بل فيها ماتشتهية الانفس وتلذ الأعين وروادها فيها خالدون وأعد النار لمن كفر وطغى وبغي وعذابها لا مفر منه ولا تقبل فيها الشكوى، ثم إنه جلت قدرتة إرسل إلينا رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ولا نبي بعده وهو خاتم الأنبياء والمرسلين البشير النذير السراج المنير الرؤف الرحيم وشفيع المؤمنين.(بيتاي، ١٩٩٦م) وهذا عينه معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:(من يدخل الجنة ينعم فيها لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه).(مسلم، ١٢٦٣هـ) .

وهوكذلك يقتبس من كتب السنة فهاهو في كتاب الهداية يقول بعد ذكر عدد من الاخلاق الحسنة: (وعليكم بالأخلاق الحميدة فهاكموها من كتب السنة الغراء). (بيتاي،١٩٩٦م).

فيقول:(أوصيكم بالجار خيرًا، وأرحموا اليتامى). (بيتاي، ١٩٩٦م) وهو هنا يأخذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم :(ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه). (البخاري، ١٤٠٧هـ – مسلم،١٢٦٣هـ). وكذا يقتبس الشيخ في كل دروسه من الحديث الشريف فيقول في الاخوة: (وكونوا عباد الله إخوانًا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على الإثم والعدوان المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره وأن تكرم ونحسن معاملة الخلق ونجتنب اللؤم (بيتاي، ١٩٩٦م).

وكذا عند حديث عن العبادات يقول :(وحافظو على الصلوات الخمس جماعة في مواعيدها لكون صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة).(بيتاي،١٩٩٦م).

فمنهج الشيخ لجهل القوم وعدم معرفتهم بالحديث أن يذكر الحديث بلفظه هو اما بلغتهم الأم أو باللغة العربية ويبسط لهم معناه، ولايذكر أنه حديث لأنهم لم يعتادوا على رواية الحديث، ولايعرفون مصطلحات أهل العلم فيه فيكفيهم مؤونة الرواية والإسناد.

ومن منهجه في التعامل مع الحديث أنه يطلب منهم قرآءة الأحاديث عقب الصلاة، وقد حدد لهم خمسة أحاديث يوميًا عقب كل صلاة حديث واحد قال في الهداية :(واهتموا بتدريس التفسير والحديث خاصة بعد كل صلاة حديثًا ويكون ذلك خمسة أحاديث في اليوم وفي الشهر مائة وخمسين حديثًا من أحاديث الرسول (ص)).(بيتاي،١٩٩٦م). فيجلس الناس لسماع الحديث فتتعود آذانهم عليه، ويقتبسوا من نوره وهديه حاجتهم، ويكون التدرج هو منهجهم في تعلمه حديثاَ حديثاَ.

وكان الشيخ قدوة في تطبيق الحديث الشريف فكانت صفاته وفق الهدي النبوي في نفسه فكان متمسكًا بالسنة فقد كان كثير الصمت إلا لضرورة، ضابطًا للسانه.... بطئ الغضب ما لم يكن في حق الله تعالى، وكان يمتاز بالتواضع والبعد عن التباهي، في ملبسه و مأكله ومشربه، وكان ورعًا شديد التحري والتحرز فيما يأكل أو يشرب أو يلبس، ينتقي الحلال الطيب، ويتجنب الحرام والمشبوه، كريمًا غاية الكرم وكان رحمه الله معظمًا لجناب الرسول ﷺ محترمًا لسنته متبعًا لهديه منكرًا للبدع، شديد الوطأة على المجترئين على حدود الله تعالى. (بشير، ٢٠١٦م) .

فقد كان الشيخ نفسه قدوة حسنة لكل مقتدي من أهل همشكوريب، يلبس عمامته ويرجل لحيته،ويرتدي إزارًا ورداء وفق السنة النبوية،فقلده الجميع في ذلك، وصارت سمة من سمات أهل همشكوريب المميزة لهم الإلتزام الصارم بالسنة النبوية.

المبحث الرابع

عناية الشيخ علي بيتاي بالحديث الشريف

إعتنى الشيخ علي بيتاي بالقرآن وحفظه وتحفيظه، ومع ذلك أفرد عناية خاصة للحديث الشريف، ظهرت جليًا في تمسكه بالهدي النبوي في كل حياته، وفي شخصه وسمته وتقليده للنبي صلى الله عليه وسلم في حله وترحاله، وحرصه على نشر سنته في دروسه ومواعظه، وفي مساجه وخلاويه، ويظهر ذلك جليًا في مقدمة كتابه الهداية الى الطريق المستقيم اذا قال : (أقدم هذا المؤلف لكل من يريد السير على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم).(بيتاي،١٩٩٦م). وللوقوف على عناية الشيخ واهتمامه بالحديث الشريف تطبيقًا وتدريسًا، نوجز ذلك في الآتي:

أولا:-أمره لأتباعه بقرآءة الحديث عقب كل صلاة،في كل يوم قال في الهداية :(واهتموا بتدريس التفسير والحديث خاصة بعد كل صلاة حديثًا ويكون ذلك خمسة أحاديث في اليوم وفي الشهر مائة وخمسين حديثًا من أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم)).(بيتاي،١٩٩٦م).

ثانيًا: - التزامه بالحديث الصحيح ورد الضعيف ويظهر ذلك في قوله في كتاب الهداية عندما حذر من النياحة قال:واوصيكم بعدم النياحة على الميت.(بيتاي،١٩٩٦م). كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية). (البخاري،١٤٠٧هـ - مسلم،١٢٦٣هـ). فهو يورد الأحاديث الصحيحة مع أنه ل لصحتها ولكن بعد الدراسة يظهر لنا ذلك، ولم يرد عنه أنه أقتبس نصًا من حديث ضعيف أوموضوع في كتابه الهداية أودروسه ومواعظه دون أن يشير لذلك.

ثالثًا: - لا يروي الحديث بإسناده ولا يبين درجته رغم صحته الا نادرًا لذلك نجده في حديث النياحة السابق الذكر قال: رواه الخمسة الا ابا داؤود. (بيتاي، ١٩٩٦م).

رابعًا:- حفظ متون الحديث فقد أمر الشيخ الطلاب في الخلاوى بعد حفظ القران بحفظ متن الاربعين النووية نصا بلا شرح .(أونور،٢٠٠٥م).

خامسًا:- تدريس بعض كتب الحديث في همشكوريب كرياض الصالحين ومختصر ابن أبي جمرة وكتاب بلوغ المرام.(أونور، ٢٠٠٥م).

سادسًا:-حتى يتسنى للناس معرفة الهدي النبوي التطبيقي، فإنهم يدرسون بعض كتب السيرة، ككتاب ملخص السيرة،وفقه السيرة،والرحيق المختوم.(أونور،٢٠٠٥م).

سابعًا: حفظ الصحاح بإسنادها: فقد أمر الشيخ كبار الطلاب الذين حفظوا القرآن ودرسوا في المدارس من خريجي همشكوريب بالعودة لتعليم الناس، وذلك بتدريس صحيحي البخاري ومسلم باسانيدها كاملة، وقد أتم بعضهم حفظها كالشيخ علي الطاهر محمد رحمه الله، والدكتور محمد أحمد عيسى، حيث كانوا يقفون عقب الصلاة ويقرأون صحيح البخاري بإسناده كاملاً.

وعلى ماسبق فإن الشيخ علي بيتاي في خلاوى همشكوريب لم يهتم بالقرآن فقط، بل كانت له عناية بالحديث الشريف وتدريسه وحفظه وتطبيقه وفق ماختطه من منهج كان له كبير الأثر في التغيير الذي حدث في المنطقة، وقد لاحظ الشيخ ابان حياته هذا التغيير فيقول في كتابه الهداية: (فدعونا العرب الرحل لتأسيس خلاوي القرءان الكريم والاستقرار فتحسنت حالتهم الدنيوية اذا كانوا يعانون من شظف في العيش وقساوة في الحياة).(بيتاي،١٩٩٦م).

وما أروع ماخطه يراع الاستاذ محمد شريف فضل في كتابه اذ قال:(ولقد نجحت دعوة الشيخ علي بيتاي في هذا الجانب نجاحًا عظيمًا فظهرت على خريطة الشرق قرى كاملة تتمتع الآن بخدمات لم تكن تعرفها من قبل ففتحت المدارس وشيدت المراكز الصحية والمستشفيات وآبار المياه. ... وكان يعمل لكل قبيلة قرية صغيرة ثم يحول هذه القرى بعضها لبعض حتى جمع هؤلاء الرحل من ضواحي كسلا وحتى الحدود الشمالية المتاخمة للبحر الاحمر. (فضل،١٩٨٨م).

وهنا تظهر عظمة منهج الشيخ علي بيتاي في الدعوة عامة، وفي استفادته من هدي الحبيب المصطفى خاصة، وتبين لنا ثمرة جهده في تعامله مع القرآن الكريم حفظًا وتحفيظًا، مع الحديث الشريف دراسة وتدريسًا، وعملاً يوميًا وتطبيقًا حتى وصل إلى هذه النتيجة الباهرة الظاهرة للعيان في الشرق خاصة وبلاد السودان عامة، والعالم الإسلامي بأسره.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا التطواف يصل الباحث لبعض النتائج والتوصيات يوجزها في الآتي:

أولاً: -النتائج:

أ/ الشيخ على بيتاي رحمه الله هوذاك العلم الذي كان له أثر كبيرفي التغيير الذي حدث في شرق السودان بتدريس القرآن وإنشاء الخلاوى وبناء المساجد بدءً من همشكوريب.

ب/ إتخذ الشيخ على بيتاي عدة مناهج في الدعوة إلى الله وتعليم الناس بالحسنى متخذًا من القصص والموعظة والتطبيق العلملي للحديث منهجًا مختلطًا فريدا.

ج/ استخدم الشيخ المنهج العملي التطبيقي في تعليم وتطبيق الحديث الشريف، فلا يروي الحديث بسنده ولا يبين درجته بل يقتبس منه ويبسط للناس معناه ليتعلوا منه ويطبقوا معناه.

د/ أبدع الشيخ العديد من الوسائل لتعليم الناس الحديث الشريف، ففرض عليهم حديثًا واحدًا عقب الصلاة، ودرس لهم عدد من كتب الحديث وشروحها.

ه/ افرزت مناهج الشيخ في التعامل مع الحديث الشريف مجتمعًا متماسكًا، ملتزمًا بالهدي النبوي رغم أن أكثرهم لايجيد القرآءة والكتابة.

و/ اقتبس الشيخ في كتابه الهداية الكثير من نصوص الحديث النبوي دون أن يشير إليها تبسيطا للناس ونشرًا للعلم حسب حاجة المجتمع في ذلك الوقت.

ثانيًا: - التوصيات: -

أ/ إقامة مؤتمر علمي عن منهج الشيخ علي بيتاي في الدعوة والتعليم وصياغة المجتمع ونشر الوعي ودراسة مناهجه التي إتبعها في تغيير المجتمع.

ب/ وضع منهج محدد ومعين بعدد أحاديثه وكتبه وشروحه لكل فئة عمرية في الخلاوى عامة

ج/ مراجعة وتحقيق كتاب الهداية إلى الطريق المستقيم ودراسته دراسة علمية معمقة لاستخراج مكنوناته وطباعته وتوزيعه ونشره على الشبكة العنكبوتية.

المصادر والمراجع:

١ – ابن حنبل، الامام احمد بن محمد الشيباني، المسند المحقق شعيب الأرنؤوط وآخرون الناشر: مؤسسة الرسالة–الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.

٢ –أونور،د/ محمد حسين،المنهج التربوي لخلاوي همشكوريب وتعليم اللغة العربية – وهي رسالة دكتوراة قدمها لجامعة القرآن الكريم.(٢٠٠٥م)

٣– البخاري، محمد بن اسماعيل، الجامع الصحيح، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م. تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .

٤– بيتاي، الشيخ علي، الهداية إلى الطريق المستقيم، مكتبة دار العلوم الحديثة – أمدرمان / دار جامعة الخرطوم للنشر، ط / الثانية ١٩٩٦م.

٥ – الدهلوي، عبد الحق بن سيف الدين، مقدمة في أصول الحديث، الناشر دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م تحقيق: سلمان الحسيني الندوي.

٦ – ضرار، محمد صالح، تاريخ شرق السودان (ممالك البجة وقبائلها وتاريخها)، مطبعة دار الإتحاد العربي للطباعة ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

٧ – طه، أحمد طه، من حياة الشيخ علي بيتاي، دار الأيام للطباعة والنشر –السودان، ١٩٨٣م

٨ – الطيب، محمد الطيب، المسيد، الطبعة الأولى ١٩٩١م، الطبعة الثانية ١٩٩٩م، مؤسسة الصالحاني للطباعة – دمشق – سوريا.

٩ – عتر، دكتور نور الدين عتر منهج النقد في علوم الحديث، الناشر: دار الفكر دمشق– سوريةالطبعة الثالثة ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.

١٠ – فضل، محمد شريف، همشكوريب واحة القرآن الكريم في شرق السودان، إدارة تعليم العاصمة القومية – السودان – الخرطوم: ذو القعدة ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م .

١١– مسلم، ابن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح (صحيح مسلم) تحقيق وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، للطبعة الإستانبولية المطبوعة عام ١٢٦٣ هـ.

منهج النحاة في رسم القاعدة النحوية
(بين القبول والرفض)

بقلم: د. أيمن مصطفى طه سلطان
– جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا (كلية التربية)

د. محمد عبد القادر الصديق علي

– جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا (كلية التربية)
الايميل: Mohammedmakee22@gmail.com

الملخص:

تناول هذه الدراسة الوصفية التحليلية منهج النحاة في رسم القاعدة النحوية (بين القبول والرفض)، وترجع أهميتة إلى معرفة المنهج الذي اعتمد عليه النحاة في رسم هذه القاعدة، وتقعيدها واطرادها اعتمادًا على كلام الموثوق بلغتهم شعرًا ونثرًا، وتعرض البحث في ثناياه إلى إبراز آراء المتأخرين من هذه القواعد المرسومة، فلجأ البعض للتوفيق بين القواعد والنصوص التي تخالف الكثير من كلام العرب، ولكن أسرف بعضهم في ذلك، ربما لأجل مناصرة مذهب معين فلم يسلم من وطأة ذلك حتى القرآن الكريم. وتعرض الباحثان لتعليلات النحاة الرافضة والمؤيدة لهذه القواعد المرسومة وموقفهم منها لجعلها متَّسقة مع قواعدهم.

الكلمات المفتاحية:

التقعيد – الاطراد – الإقرار – الاضطراب

Abstract:

This analytical descriptive study deals with the curriculum of grammarians in drawing the grammatical rule (between acceptance and rejection). The importance of the method used by the grammarians in drawing this rule, and its repetition and persistence depends on the authoritative language of poetry and prose. These rules were drawn, some resorted to reconcile the rules and texts that contradict many of the words of the Arabs, but some of them in this, perhaps for the sake of advocating a particular doctrine did not remove the weight of that even the Koran. The researchers presented the explanations of the rejecters who supported these rules and their position to make them consistent with their rules.

Key words:

Stalling – Steadily – Acknowledgment – Turbulence

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أمَّا بعد: فقد اتبع النحاة الأوائل منهجًا علميًا محكمًا لوضع أصول النحو العربي ورسم قواعده، اعتمادًا على تتبع كلام العرب الموثوق به شعرًا ونثرًا، وتسجيل الفروق والظواهر اللغوية المختلفة، ومن ثمّ وضع القوانين والقواعد التي يسير عليها وفق نظام العربية، وقد قام هؤلاء الأوائل بجهود عظيمة في استقراء اللغة بهدف الحفاظ عليها، وصولاً إلى القاعدة المطردة، غير أنَّ هذا المنهج الذي اتَّبعه القدماء في رسم هذه القاعدة صاحبته اختلافات مع بداية تطور النحو في أواخر القرن الثاني الهجري، ويقصد بهذا الخلاف ما نشأ بينهم من تباين في تعليل الظواهر اللغوية، ومن اختلاف في استنباط الأحكام النحوية، وتمايز في فهم الأصل النحوية واستخدامها، وتقعيد القواعد وتخريجها، ويشمل الخلاف أيضًا ما نشأ بينهم من اختلاف فردي في المنهج. الأمر الذي جعل القاعدة النحوية مقبولة عند بعضهم ومرفوضة عند البعض الأخر، ولعل هذا يرجع لتغيير الروايات وكثرتها وكذلك بوضع لفظ مكان لفظ آخر، وقد يروون الأثر في المعنى وذلك أن يضع الراوي كلمة أو عبارة في قصيدة معينة مكان أخرى بما يناسب السياق.

القاعدة لغةً:

قعد يقعد قعودًا، بخلاف قام، وجمعها قواعد، وقاعدات،وهي أصل الأس، والقواعد لاساس،وقواعد البيت أساسه(الفراهيدي،) ووردت في القرآن الكريم بصيغة الجمع لمعانٍ مختلفة ال تعالى: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت} (البقرة،١٢٧)، وكذلك قوله جلَّ شأنه: {والقواعد من النساء الائي لا يرجون نكاحًا فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة} (النور،٦٠).

القاعدة اصطلاحًا:

هي قضية كلية منطبقة على جميع جزيئاتها(الجرجاني، ٢٠٠٣)ومن التعريفات أنها وصف لسلوك معين في تركيب اللغة (شرف، ١٩٨٦).

وقواعد النحو هي قوانينه وهذا القانون هو دستور دائم ن وهو نتاج جماعي توافق عليه الجميع من خلال الاستقراء والاستنتاج، ومن ثم ذلك تقعيد القاعدة على هذا القانون، وبناء هذه

القواعد مر بمراحل كثيرة اعتمادًا على النقل والسماع والاستصحاب، وقد تحجَّروا في اقتصارهم الرواية على قبائل معينة، واضعين بذلك معيار المكان ن ومن ثم الأخذ من حقبة زمانية معين لم تخرج عن دائرة الفصاحة وهذا ما عُرف بالمعيار الزماني،وهذا ما يدل على تمحيصهم لكل ما سُمع، وهذا يبين أن وضع القاعدة النحوية أعقب عملية جمع اللغة ؛ لأن تقعيد القواعد لا يتم إلا بعد النظر في المادة اللغوية المجموعة وتصنيفها من حيث الفصاحة وعدمها اعتمادًا على الشائع من كلام العرب .

مصادر التقعيد النَّحوي:

سنعقد هذا العنوان للحديث عن المنْهل الذي استقى منه النحاة نحوهم، وكما هو معلوم أنَّ البصرة كانت مهد النّحو، وفاتحة أبوابه فهي التي احتضنته، وكان لها أثر كبير في النهوض بدراسته.

١ – القرآن الكريم:

لقد اعتمدوا الغة التنزيل أصلاً أقاموا عليه نحوهم، وهو أحد المصادر التي توثَّقوا بها ممَّا أسَّسوا من نحوهم(السامرائي،١٩٨٧) فأقاموا نحوهم على القرآن حيث كان يستشهدون في كثير من المسائل بآيات من القرآن الكريم فكان القرآن أحد مصادرهم المهمة ؛ «لأنه اصدق كلام، وأصح مصدر يَرْجع النحاة إليه في تقنين القوانين، واستخراج الأصول، لأنَّ العربية لم تشهد كتابًا أُحِيط بالعناية، واكْتُنِف بالرِّعاية منذ زمن مبكر، فحُوفِظ على تراكيبه، وأُحْصِيَت كلماته وحروفه، وكيفية ترتيله بلهجاته، مع إتقان متنه في التلقين، دقة في الأخذ والأداء مثل القرآن الكريم

٢ – الشعر الجاهلي والإسلامي:

اعتمدوا على الشعر الجاهلي أصلاً من أصولهم وتجاوزوه إلى الشعر الإسلامي فكان لهم في شعر الفرزدق وجرير وأراجيز العجاج ورؤبة وأبي النجم مادة اعتمدوها في نحوهم، ولا نعدم أن نجدهم قد استشهدوا بشعر بشار بن برد، لكن شعر بشار جاوز الحقبة التي وقفوا عندها في استشهادهم، يدل على ذلك ما جاء في (الاقتراح) للسيوطي فيما رواه ثعلب عن الأصمعي: إن إبراهيم بن هرمة آخر من يُحْتج به، ومن المعلوم أن ابن هرمة هذا ولد سنة تسعين للهجرة، وعمَّر طويلاً حتى تجاوز منتصف القرن الثاني(السيوطي،٢٠٠٦).

٣- الفصحاء من العرب:

وهم سكان البادية الذين بعدوا عن التأثُّر بلغات أجنبية، والذين ينتمون في الغالب إلى قيس وتميم وأسد وهُذَيل وكنانة وطيّ، والقبائل المتقدمة كانت تسكن بأواسط بلاد العرب، وكانوا متوغلين في البداوة بعيدين عن الاتصال بالأقاليم والأرياف. كما أنَّ أوائل البصريين قد اطمأنّوا إلى سلامة لغة جماعة من العلماء انتموا إلى أصول غير عربيَّة، ولكن صحَّت سلائقهم، كالحسن البصري الذي تحدَّث عنه أبو عمر بن العلاء بقوله :» ما رأيت أفصح من الحسن البصري والحجَّاج ابن يوسف الثقفي، فقيل له: فأيهما أفصح ؟ قال: الحسن»

٤- الأمثال:

وكذلك ما جرى مجرها ممّا اطمأنّ الناس له من عبارات قصيرة حفظها الناس نسبة لشيوعها على الألسنة كقولهم: رجع بخُفَّيْ حُنَين، وأوسعتهم سبّاً وأودوا بالإبل، تمرةٌ خيرٌ من جرادة (السامرائي، ١٩٨٧).

أمَّا الحديث الشريف فقد استبعده البصريون ولم يجوِّزوا الاستشهاد به بحجّة أنَّ الحديث يشتمل على قدر كبير رُوى بالمعنى، ولم يُضْبط بلفظه، وأنَّ معظم رواته غير عرب، وبالتالي لا يستطيعون التعبير عن معنى الحديث بعبارات صحيحة التركيب. ولعلَّ الباحثين ما يزالون مختلفين في الأسباب التي دعت إلى إبعاد الحديث عن مجال الاستشهاد والاحتجاج به.

ويري السامرائي وهو من المحدثين أنَّ عدم الاحتجاج بالحديث رأي غير سديد إذ يقول: « إن رجال الحديث قد تحرّوا التدقيق والضبط، وتشددوا في ضبط الحديث، واخضعوا هذه الغة الشريفة إلى ما دعوه « الجرح والتعديل «، الذي تناولوا فيه رواة الحديث، فكان لهم فيه موازين دقيقة».ويبدوا لنا أنَّ القول السالف فيه صحة وصواب ؛ لأنَّ الجاحظ وهو من النُّقّاد الأعلام أثنى على الحسن البصري، وعمرو بن فائد الأسواري وهما من أصول غير عربيَّة، وفي ترجمتنا لسيبويه أوضحنا أصله الفارسي، ومع ذلك اعتمد عليه النحاة.

ولا ندري لماذا غضّوا الطرف عن هؤلاء الرجال الذين شُهِد لهم إجادة العربية، والبعد عن التصرف في متون الأحاديث.

فمن رواة الحديث في ذلك العصر الشعبي، الذي قال فيه ابن عياش الكوفي لمناظره في حضرة أبي العباس: « وأين أنت عمَّن لم تَر عينك مثله في زمانه، من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أحفظ لما سمع، ولا أفقه في الدين، ولا أصدق في الحديث، ولا أعرف بمغازي – النبي صلى الله عليه وسلم– وأيام العرب وحدود الإسلام والفرائض، والغريب، والشعر ولا أوصف لكلِّ أمر، من عامر ابن شراحيل الشعبي» (المخزومي،١٩٥٨)

ومن رواة هذا الحديث في ذلك العصر أيضًا حماد بن سلمة الذي قال فيه اليزيدي:

يَا طَالِبَ النَّحْوِ ألا فابْكه بَعْدَ أبِى عَمْرٍو وَحمَّادِ

وسُمع عن حماد قوله: «من لحن في حديثي فقد كذب عليَّ»

وكذلك من الرواة أيَّوب السختياني، الذي عُرف بالفقه الذي ذكر الجاحظ حديث الحسن البصري فيه: « أيوب سيِّد شباب أهل البصرة»(العكبري،١٩٨٧)..

وأيوب المتقدم أخذ عن الخليل بن أحمد وهذا يكفي ويبرهن على أن أهل الحديث كانوا من حملة العلم، وعرفوا بالتضلع من العربية. فالإشادة بهم رد قوي على من زعم أنَّ كل الحديث مروي بالمعنى. ولعلَّ ما ذهب إليه بن مالك، وأبو حيان، ومن تابعهما وهم يجوِّزون الاحتجاج بالأحاديث التي اعْتُنى بنقل ألفاظها يجعلنا نطمئن إلى الاستشهاد بالحديث وجعله مصدرًا من المصادر، وإلاَّ كيف نستشهد بالشعر الذي يخالف بعض الأحكام لأجل الضرورة.

أمَّا أبو حيَّان فقد دافع وعلل عدم الاحتجاج بالحديث النبوي قائلاً: «...إنَّما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ النبي (صلى الله عليه وسلم) إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في إثبات القواعد الكلية، وإنَّما كان ذلك لأمرين: أحدهما: أنَّ الرواة جوَّزوا النقل بالمعنى، الأمر الثاني: أنَّه وقع اللحن كثيرًا فيما روي من حديث؛ لأنَّ كثيرًا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ذلك» (الخضر، د.ت).

وخلاصة القول هي أنَّ مدرسة البصرة اكتفت باعتماد لغة القبائل البدوية غير المتاخمة للأمم الأجنبية – نثرًا و شعرًا – مصدرًا للقياس، كما اعتمدت اعتمادًا صوريًا على تصريح النقل من القرآن الكريم الذي يشهد له شعر أو كلام من لغة القبائل البدوية غير المختلطة بالأمم الأجنبية، أمَّا الحديث النبوي فقد تجاوزوه ورفضوا الاحتجاج به والتقعيد عليه، وبناءً على ما سبق فإنَّه

يمكننا القول بأنَّ لقياس المدرسة البصرية في واقع أمرها مصدرين: أحدهما: مصدر أصيل وهو لغة القبائل البدوية التي لم تختلط بالأمم الأجنبية، وأمَّا الآخر: فهو ثانوي وهو القرآن الكريم، وبتعبير آخر بعض قراءات القرآن الكريم التي يشهد لها شعر أو كلام منثور من لغة تلك القبائل البدوية الخُلّص.

وقد لقيت هذه المنهجية البصرية في تقعيد النحو قبولاً لدى جماعة من النحاة، كما حُظيت بالمقابل بجملة من الانتقادات المنهجية والعلمية عند كثير من العلماء شأنها في ذلك شأن كل المناهج البشرية التي تخضع للاختبار والتجريد. أمَّا أهمَّ الانتقادات المنهجية التي تؤخذ على هذه المدرسة، فيمكن حصرها في ثلاثة أخلال، وهي:

أ/ الاستقراء الناقص لمصادر التقعيد المعتمدة لدى المدرسة سواء على مستوى المصدر الأصلي وهو لغة قبائل البدو، أو على مستوى المصدرالثاني وهو بعض قراءات القرآن المتواترة، إذ إنَّه قد فاتت المدرسة جملة من لهجات قبائل البدو، كما فاتتها جملة أخرى من القراءات المتواترة والآحاد.

ب/ اعتماد المدرسة تصنيفًا معكوسًا لمصادر التقعيد، إذ إنَّها لم تراعِ في التصنيف قوة الفصاحة وضعفها في المصادر، ولذلك فقد قدَّمت في الاحتجاج القبائل البدوية على قراءات القرآن المتواترة، والعكس صحيح، وذلك لأنَّه لا خلاف بين العلماء في كون لغة القرآن أفصح اللغات بلاغة وبيانًا.

ج/ إبعاد المدرسة الحديث النبوي من دائرة الاحتجاج والاستشهاد اعتمادًا على عذرٍ مفتعل لا نصيب له في الواقع، وقد كان حريًا بها التفريق بين الأحاديث المروية بالمعنى. هذه هي أهمَّ الأخلال المنهجيةالتي يمكن ملاحظتها في مصادر التقعيد في مدرسة البصرة. ولا شك أنَّ كل خلل منها كافٍ لتوجيه النقد والانتقاد للمدرسة وروادها. فلا غرو أن تكون هذه الأخلال المنهجية مجتمعة وخاصة الخللين الأولين، قد عجَّلت بميلاد مدرسة أخرى حاولت أن تتجاوز قدر الإمكان هذه الأخلال برمَّتها، إنَّها مدرسة الكوفة التي انتقلت بالمصدر الأصلي والمصدر الثانوي من الدائرة الضيقة، فوسعت من المصدر الأصلي فاعتمدت في التقعيد على لغة عرب البدو حرشة الضباب وأكلة اليرابيع وعلى لغة عرب الأرياف أكلة الشواريز وباعة الكواميخ، كما وسَّعت من دائرة المصدر الثانوي فاعتمدت جُلَّ القراءات القرآنية المتواترة – إن لم يكن

كله – في التقعيد، وتبرأت من ضرورة وجود قيد ووجود شاهد من شعر جاهلي أو كلام بدوي لصحة الاحتجاج بالقراءة القرآنية في إثبات صحة قاعدة نحوية(ابن الضائع،١٣٤٧).

ولكن لئن نجحت المدرسة الكوفية في تصحيح الخللين المنهجيين الأوليين بعض الشيء، إلاَّ أنَّها لم تستطع التخلص من جميع أدرانها، بل ظلَّت في بعض الأحيان متأثرة بترسبات المدرسة البصرية، فكان لها بعض المواقف الشبيهة بمواقف البصريين من بعض القراءات المتواترة، والسبب في عدم تمكن المدرسة الكوفية من التجرد الكلي من جميع رواسب المدرسة البصرية يعود إلى كون الكوفية في واقعها مدرسة منبثقة من رحم البصرية، وكون كثير من رجالاتها خارجين على أساتذتهم البصريين، بل إنَّ المدرسة بجميع فطاحلتها قفوا أثر المدرسة البصرية في الخلل المنهجي الثالث المتمثل في إبعاد الحديث النبوي من دائرة الاحتجاج والاستشهاد.

وتمضي الأيام فيشاء الله أن ينتقل مقر الخلافة إلى الأندلس، فتنشأ على ربوعها حركة تقعيد نحوية تُعارض كل المناهج التي لا تقدر كتاب الله ولا سنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حق قدرهما فتدعو إلى ضرورة إعادة تقعيد القواعد في ضوء توجيهات و أساليب القرآن الكريم بقراءاتها المتواترة والآحاد، وفي ضوء أساليب الحديث النبوي الشريف، إضافة إلى كلام العرب بدويهم وريفيهم، ويمكن للمرء أن يلتمس هذا التّوجه الجديد في منهجية رواد المدرسة الأندلسية كالنَّحوي الأندلسي الشهير ابن مضاء (رحمه الله) الذي قاد حركة تقعيد جديدة ثائرة ضد حركات التقعيد البصرية والكوفية بأسرها، بل يجد المرء هذا التّوجه التجديدي في تجاوز سائر الأخلال المنهجية في التقعيد عند ابن مالك الذي تجاهل تجاوز نحاة البصرة والكوفة الحديث النبوي مصدرًا للتقعيد، فاتخذ منهجية ترى في الحديث النبوي مصدرًا خصبًا للتقعيد، بيد أنَّه لم يشأه أن ينص على ذلك تنصيصًا، الأمر الذي جعل أبا حيَّان الأندلسي يتهمه بالابتداع ومخالفة النزعة السائدة لدى جبابرة النحو، فقال متزمرًا: «...قد أكثر المصنف من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب، وما رأيتُ أحدًا من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره» ولا غرو أن يجد مثل هذا التَّوجه التجديدي طريقه مفروشًا بالورود في دولة الموحدين، وذلك لأنَّ نزعة التجديد والاجتهاد في سائر المعارف الإسلامية عمَّت جمع الأرجاء، بل تسربت هذه النزعة على الدول الإسلامية الأخرى، فعلى مستوى ذات النزعة نشأت في مصر حركة تقعيد نحوية حاولت التخلص من الأخلال المنهجية متمثلة في العلاَّمة ابن هشام الذي قيل إنَّه كان أعلم بالنحو من سيبويه، ولئن تشابهت حركة التقعيد النحوية الأندلسية والمصرية بيد أنَّه من

الإنصاف الإشارة إلى وجود فارق على مستوى أسلوب تأسيس المنهجية الجديدة في التقعيد النحوي، إذ إنَّه قد اتّسم جل رواد المدرسة الأندلسية في أكثر الأحيان بالهجوم و الانتقاد الشديد اللاذع للمدارس الأخرى، أمَّا أسلوب المدرسة المصرية متمثلة في ابن هشام وغيره، فقد اتَّسم بانتهاج الأسلوب الهادئ الفعَّال في عرض المنهجية الجديدة، وبناءً على ذلك فإن الفرق الجوهري بين الحركتين الجديدتين يتمثل في تميز الحركة الأندلسية بالحرارة وروح اجتثاث ما بنته المدرسة البصرية خاصة في هرم حول القياس وتوسيعاتهم في التأويلات والتخريجات، أمَّا حركة التقعيد المصرية فقد كانت تتسم بروح المراجعة الهادئة الفعَّالة المؤثرة.

لئن كتب الله لتلكما الحركتين التجديديتين في التقعيد شيئًا من النَّجاح، فإنَّهما لم تقدرا على إزالة جميع آثار الأخلال المنهجية الثلاثة، ولم تقويا على محو نتائجهما في الأذهان إلى يومنا، مما يمكن القول بأنَّه على الرغم من كل المحاولات الجريئة الصريحة والخفية في إقصاء المنهجية البصرية الملأى بالأخلال المنهجية عن ساحة التقعيد فإنَّها لا تزال – إلى يومنا هذا – منهجية متبعة في الدراسات النحوية، بل إنَّ الكتب النحوية الحديثة تكاد تعتمد على نتائج تلك المناهج ذات الأخلال المنهجية في تعلم النحو وتقريبه إلى الأفهام والعقول، فدعوات ابن مضاء وكثير من اجتهادات ابن هشام وابن مالك – رحمهم الله – ذهبت مع أدراج الرياح(ابن الضائع،١٣٤٧).

وبناء على ما سبق يمكن القول أنَّ الأخلال المنهجية التي رافقت منهجية البصريين – منذ بداية نشأتها – في التقعيد النحوي قد كانت وراء نشوء المدرسة الكوفية التي استهدفت الإصلاح والتصحيح والتعديل والتقويم، كما أنَّ عدم اكتمال دور التصحيح للأخلال البصرية على يد الكوفية قد مهَّدت لنشأة الأندلسية والمصرية فالشامية، بيد أنَّ الأخلال المنهجية لم تتمكن منها حركات الإصلاح إلى يومنا هذا تمكنًا عميقًا جذريًا، مما يبرر تقديم منهجية بديلة قادرة على تجاوز تلك الأخلال المنهجية وآثارها على تعلم قواعد اللغة العربية من حيث التقعيد والتعسير والتجريد.

إنَّ معالجة أيّ قصور أو خلل منهجيين في حركة التقعيد النحوي ينبغي أن تتم على مستوى المصادر التي أنتجت تلك القواعد وولدتها، ولذلك أنَّ تجاوز الأخلال المنهجية وآثارها يتم عن طريق الاستغناء عن التصنيف التقليدي – مصادر التقعيد النحوي التقليدية – وتبديلها باعتماد تصنيف منهجي آخر لمصادر التقعيد في ضوء ما أسلفناه، بحيث تغدو مصادر التقعيد النحوي مرتبة حسب الترتيب التالي:

المصدر الأوَّل الملزم للتقعيد النحوي: لغة القرآن بجميع قراءاته المتواترة والآحاد.

لئن عدت لغة القبائل البدوية غير المختلطة بالأمم الأجنبية أهمَّ مصدر للقياس النحوي عند نحاة مدرسة البصرة، فإنَّ مرد ذلك – بلا شك – إلى مستوى الفصاحة الرفيع الذي كان غالبًا على سكان البوادي، إضافة إلى بُعدهم عن مواطن اللحن بسبب عدم الاختلاط بأيّ أمة أجنبية أخرى.

وبناءً على ذلك فإنَّ المنهج العلمي الرصين يقتضي ضرورة الالتزام بهذا المبدأ في كل الأحوال بحيث يتم التفاضل بين مصادر التقعيد على أساس مستوى قوة الفصاحة وتمكنها، فتقدم لهجة قبيلة على لهجة قبيلة أخرى إذا كانت لهجة الأولى أفصح من الثانية، فالعبرة في التقديم والتأخير تكمن في مستوى الفصاحة وعدم اللحن، وليست العبرة في سكني البادية أو الحضر أو غير ذلك.

وإذا كان الأمر كذلك فللمرء أن يتساءل عن مدى وجود لغة أفصح من القرآن الكريم، فإذا ما ألفيناها قدَّمناها و اعتمدناها مصدرًا أولاً للتقعيد النحوي والاحتجاج، وللإجابة عن هذا التساؤل يمكن القول أنَّه: قد كانت للهجات بعض القبائل قبل نزول القرآن الكريم مكان الصدارة، وما كان في الإمكان العثور على أيّ لهجة أفصح من لهجاتها، بيد أن هذا الأمر لم يعد واردًا ولا قائمًا بعد نزول القرآن الكريم، وبعد اشتماله على لهجات تكوِّن في مجموعها فصحى لهجات القبائل البدوية والحضرية، فغدت لغة القرآن أفصح لغةٍ في الفصاحة والبلاغة والبيان، وتحدى فصحاء العرب وبلغاءهم بدوييهم وحضريهم على أن يأتوا بسورة من مثله، فعجزوا عجزًا أبديًا على قبول التحدي.

بناءً على ذلك فإنَّ المنهج العلمي يقتضي تقديم لغة هذا الكتاب الكريم عند الاحتجاج والتقعيد والاستشهاد على جميع لغات القبائل، وذلك لأنَّ لغته تمثل اللغة الفصحى التي لا يمكن أن تجارى.

المصدر الثاني للتقعيد النحوي: الحديث النبوي الصحيح بشقيه المروي بلفظه ومعناه، والمروي بالمعنى دون اللفظ.

من المتفق عليه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) أفصح من نطق بالضاد، ولا يمكن قياس فصاحته على فصاحة أحد من العرب، سواء كانوا بدوًا أو حضريين، ويكاد أن يكون الإنسان العربي الوحيد الذي لم يسجل عليه لحن قط، ولم يمازج لغته ضعفٌ أو وهنٌ أبدًا، فقد أوتي جوامع

الكلم، ورزق بيانًا كان له عونًا في الإقناع والتبليغ والتأثير، كما زاده الوحي الإلهي المتمثل في القرآن الكريم قبل كل ذلك فصاحةً وبيانًا كان يبهر بها السامع ويؤثر بهما في المخاطب، ومن مجموع ما تحدث به النبي – صلى الله عليه وسلم – يكوِّن ما يطلق عليه الحديث النبوي الشريف، وهو عبارة عن أقواله الشريفة خاصة، وعن أفعاله وتقاريره عامة. وإذا كان إثبات صحة قاعدة أو سلامة تركيب يتوقف على صحة المصدر الذي تقوم عليه تلك القاعدة، وإذا كانت المدارس النحوية تعتمد في تقعيدها القواعد على لغة عرب البادية أو عرب الأرياف لما في لغتهم من فصاحة وبيان، بل إذا كانت المصادر تعتمد أصولاً للقياس والتقعيد النحوي لما تتوافر فيها من فصاحة وسلامة من اللحن والتحريف، فإنَّ مقتضى ذلك أن تكون لغة النبي – صلى الله عليه وسلم – أهمَّ مصدر بعد لغة القرآن الكريم وأولاه اعتدادًا في التقعيد والتأصيل، وذلك لأنَّ الفصاحة التي تتوافر فيها لا تتوافر في لغة أيّ بدوي سواء أكان من أكلة اليرابيع أم من أكلة الشواريز.

وبما أن هذه اللغة النبوية الشريفة هي الموضوعة فيما يصطلح عليه بالحديث النبوي، فإنَّ المنطق والعقل يحكمان بضرورة الاحتجاج به والاستشهاد به واتخاذه أصلاً للتقعيد والتأصيل.

المصدر الثالث للتقعيد النحوي: القبائل البدوية والريفية: ذلك انطلاقًا من عدم اشتمال القرآن الكريم على جميع لهجات قبائل العرب، وبطبيعة الحال يمكن تقديم كلام البدو على كلام الريفيين في حالة وقوع تعارض بينهما عند التقعيد، وذلك ترجيحًا لواقع حياة البدو التي كانت أعمق في التبدي، وألصق بالعيشة الفطرية، وأبعد عن تأثير لهجات الأمم الأجنبية في كلامها شعرًا ونثرًا، وأمَّا إذا لم يكن ثمّ تعارض فلتعتمد لهجاتهم ضمن اللهجات الفصيحة لا الفصحى.

الخاتمة :

تناولت هذه الدراسة منهج النحاة في رسم القاعدة النحوي (بين القبول والانتقاد) وتعرضت لمجهودات القدامى لوضع الأصول النحوية حفاظًا على اللغة من اللحن، معتمدين على ما جاء من فصحاء العرب الموثوق بلغتهم، و رغم ذلك انقسم المتأخرون من النحاة إلى أقرَّ بهذه القواعد وإلى منتقد لها، ويمكن القول أن الدراسة توصلت إلى النتائج التالية:

١ - أنَّ منهج القدامى اعتمد على الاستقراء في الحكم على كلام العرب، ومن ثم رسم القاعدة النحوية.

٢- كان هدف الأوائل التأصيل لهذه القواعد حفاظًا على العربية.

٣- وقع منهج القدماء في الاضطراب عندما عزلوا نصوصًا فصيحة اعتمادًا على المعيار الزماني والمكاني.

٤- تأثر المتأخرون بعلم المنطق في تعليلهم للظواهر اللغوية المختلفة.

٥- توسع البعض في الرواية، والأخذ بمعظم ما ورد في اللغة لرسم منهجهم النحوي، وفي ذلك احترام لما نطقت به العرب.

٦- أن استبعاد الحديث النبوي من الاحتجاج النحوي أمر غير سديد؛ لأنَّ رجاله تحرّوا التدقيق والضبط من خلال الجرح والتعديل.

٧- استبعد بعض النحاة قراءات صحيحة متواترة؛ لأنها لا تتفق مع قواعدهم المرسومة.

المصادر والمراجع

١- أصول النحو، الأفغاني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٨٧ز

٢- الاقتراح في علم أصول النحو، السيوطي، تعليق: أحمد الحمعي، ١٩٨٨.

٣- إنباه الرواة على أنباء النحاة - جمال الدين أبو الحسن بن يوسف القطفي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط١ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٤- البحث النحوي عند العرب - أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط٢ ١٤٠٢هـ

٥- البيان والتبيين - أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، مصر، ط٣ ١٣٨٨ هـ.

٦- التعريفات - أبو الحسن على بن محمد بن على الحسين الجرجاني، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧ - التقعيد النحوي بين السماع والقياسن محمود شرف الدين، دكتوراه، دار العلوم، القاهرة،١٩٦٨.

٨- شرح الجُمل، أبو الحسن بن الضائع، خزانة الأدب، البغدادي، المطبعة السلفية، ١٣٤٧هـ.

٩- الصحاح، الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور، دار العلوم، بيروت، ط١، ٤ط٠.

١٠-القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية - عبد العال سالم مكرم، دار المعارف - مصر د.ت.

١١- في أصول النحو - سعيد الأفغاني، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٢- مجلة اللغة العربية، العدد ٣، ص: ١٩٩. بحث للشيخ محمد الخضر، عنوانه: (الاستشهاد بالحديث).

١٣- المدارس النحوية أسطورة وواقع - إبراهيم السامرائي، دار الفكر، ط١ ١٩٨٧م.

١٤- مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والأدب - مهدي المخزومي، ط٢ ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

١٥- مفاتيح الغيب، أبو بكر بن حسين الرازي، ج٣، ص:١٥٩.

١٦- المفصل في الملل والأهواء والنحل، ط١، ١٩٢٨م.

القواعد التوجيهية ودورها في ترجيح الحكم النحوي عند اختلاف الأدلَّة

إعداد: د. أيمن مصطفى طه سلطان

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا (كلية التربية)

gmail.com@Mohammedmakee٢٢

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة القواعد التوجيهية ودورها في ترجيح الحكم النحوي عند تعارض الأدلة، وتكمن أهمية الدراسة في أنَّها تمثل المفتاح لفهم الأحكام النحوية وبيان الأوجه النحوية وتعليلها ومن ثم ترجيح بعضها على بعض؛ باعتبارها قواعد ضابطة لهذه اللغة ولا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنها المعيار في تحديد الوجه النحوي المناسب، اعتمادا على الأصول النحوية – سماعًا، أو قياسًا، أو استصحابًا، وقد توصلت هذه الدراسة القائمة على المنهج الوصفي على نتائج منها:

١ – أن القواعد التوجيهية هي بمثابة المفتاح لفهم المادة النحوية وهي ضابطة للنصوص عند تعارضها للحكم عليها اعتمادًا على الأصول النحوية.

٢ – أن مصطلح قواعد التوجيه هو حديث لم يثبته القدامى في مؤلفاتهم النحوية.

الكلمات المفتاحية:

التوجيه – السماع – القياس – الاستصحاب

Abstract

This study dealt with the guidelines and their role in weighting the grammatical rule when contradicting the evidence. The importance of the study is that it represents the key to understanding the grammatical rules and explaining the grammatical aspects and explaining them and thus weighing one on the other as rules that control this language and cannot be

dispensed with. Grammatical, grammatical, syntactic, or analogous, and this study based on the descriptive approach has reached the following conclusions:

1. The Guiding Rules are the key to understand the grammatical material and it controls the texts when they are opposed to judgment based on grammatical origins.

2 – The term of guiding rules is a term that is not proven by the old in their grammatical writings.

key words:

Orientation – Listening – Measurement – Induction

مقدِّمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ن وعلى آله وأصحابه أولي النُّهى.

أمَّا بعد..

فالنَّحْو دِعامة العلوم العربية، وقانونها الأعلى ولن تجد علمًا منها يستقل بنفسه عن (النَّحو) أو يستغنى عن معونته أو يسير بغير نوره وهداه. وجميع العلوم النقلية – على جليل شأنها – لا سبيل إلى استخلاص حقائقها، والنفاذ إلى أسرارها، بغير هذا العلم، فهل ندرك كلام الله تعالى، ونفهم دقائق التفسير، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصول العقائد، وأدلة الأحكام، والفقه الإسلامي، والبحوث الشرعية إلا بإلهام النحو، وإرشاده (فجال . ونظرًا لما سبق فقد اهتم النحاة بهذه القواعد التوجيهية التي تضبط نحوهم، مستمدين هذه القواعد من كلام العرب سماعا، وقياسًا، واستصحابًا، قصدهم ترجيح الأحكام النحوية الصحيحة عند اختلاف الأدلة حتى لا يُفتح الباب أمام كل نص شاذ، أو مجهول القائل لم يأتِ على سَنن العرب، ولم يحاكِ طرائق كلامهم، فهي تسهم في الوقوف على أسس الترجيح النحوي من خلال استنباط الأحكام ومختلفة، ومن ثم ترجيح الحكم المقبول اعتمادًا عليها في التعليل، أخيرًا يمكن القول أنها ضوابط معيارية لضبط استدلال النحاة لا يمكن الاستغناء عنها .

القواعد التوجيهية (المصطلح والمعنى)

قبل التعريف بهذا المفهوم يجدر بنا أن نعرف التوجيه في اللغة:

قال ابن منظور في مادة (وجه): وجَّهت الأرضُ المطرةَ: صيَّرتها وجهًا واحدًا، والتوجُّه والإقبال ز وتوجَّه الرجل ك ولَّى وكبر، قال أوس بن حجر :

كعهدك لا ظِلُّ الشبابِ يُكنُّني ** ولا يَفِنٌ مِمَّنْ توجَّه دالِفُ (ابن منظور،٢٠٠٦).

ووردت الكلمة بمهنى الانقياد والاتباع، قال الأصمعي :وَجَهْتُ فلانًا إذا ضربت في وجهه، فهو موجوه (ابن منظور،٢٠٠٦). وجاءت عند الزمخشري بمعنى الاستبانة، ويقال : خرج القوم فوجهوا للناس طريقًا إذا وطئوه وسلكوه حتى استبان (الزمخشري،) ونخلص من هنا أن الكلمة يدور مهناها حول التوضيح والاستبانة وهي مصدر للفعل وجَّه توجيهًا.

مصطلح القواعد التوجيهية في الاصطلاح:

لم يرد هذا المصطلح عند الأقدمين في كتبهم، ويرى الكثيرون أنه حديث، ولعل أول من أشار لهذا المصطلح هو تمام حسان في كتابه (الأصول) . وربما اعتمد الباحثون في ذلك على ما أورده (تمام حسان) بقوله: (تقدمنا غير مسبوقين بالكشف عن كنزٍ قديم في تراثنا النَّحوي جعلنا عنوانه (قواعد التوجيه) (حسان،٢٠٠٦).

ويظهر لنا أنَّ الذي ساقه لهذا المصطلح هو ارتباطه بالقاعدة النحوية من ناحية التوجيه والتعليل ومن ثم ترجيح قولٍ على آخر نجد هذا في قوله:(وإنَّما آثرت أن أسمي هذه القواعد بقواعد التوجيه؛ لارتباطها بالتعليل وبتوجيه الأحكام عند التأويل واعتبار وجه منها أولى من الآخر بالقبول.(حسان،٢٠٠٦).

وذهب بعض المحدثين إلى تسميتها بـ (قواعد الاستدلال)؛ لأنَّ مصطلح التوجيه يجعل منها مقصورة على وظيفة واحدة من الوظائف المتعددة التي تتكفل هذه القواعد ببنيانها، إذ تستخدمفي إثبات الحكم النحوي والمفاضلة بين الأوجه والتأويل والتوجيه،ومن هنا كان تسميتها بـ(قواعد الاستدلال) لها من تطابق المصطلح على مفهومه ما ليس للمصطلح الشائع فيها.(ملاوي، ٢٠٠٩). . ومن المحدثين من أطلق على المصطلح (قواعد التعليل النحوي) لما لها من السعة

والشمول ح لأن التعليل يشمل الاستدلال والتوجيه(عبيد – ٢٠١٧).

ولعل ما مادفع الباحث لقوله أنه وجد كلمة التعليل متناثرة في كتب الأقدمين ومؤلفاتهم عند مناقشة المسائل النحوية، وعرضهم وتحليلهم لأوجه الإعراب

ويمكن القول أن هذه المصطلحات هي مترادفة؛ لأن الغرض منها هو التعليل، وتوجيه القاعدة النحوية وترجيح بعض الأقوال على بعضها عند اختلاف الأدلة في المسألة الواحدة، وهي قواعد مرتبطة بالنحو لتوضيح الصواب من الخطأ.

القواعد التوجيهية في الاصطلاح:

هي تلك الضوابط المنهجية التي وضعها النحاة ليتزموا بها عند النظر في المادة اللغوية سماعًا كانت، أم استصحابًا، أم قياسًا، التي تستعمل لاستنباط الأحكام (حسان،٢٠٠٦).

ومن التعريفات «هي مجموعة القواعد العامة التي تستدعيها الأحكام النحوية حين إطلاقها على عناصر النظام التركيبي في قضايا التحليل النحوي، أو مجموعة القواعد أو الأسس التي يُرتكز عليهافي أوجه التحليل النحوي من حيث الترجيح والتضعيف والرفض (الجاسم،٢٠٠٧).

ومفاد التعريفات السالفة أنها قواعد موضوعة ولنها مستبطة من كلام العر ب من خلال الأصول النحوية وهي السماع والقياس والاستصحاب ليستعين بها النحاة في دراسة النصوص وتفسيرها لبيان الراجح منها والمرفوض اعتمادًا على التعليل لصياغة القاعدة وإثباتها وذلك كله لضبط الفكر النحوي، والوقوف على الاستدلال الصحيح حتى لا يُفتح الباب على مصراعيه لكل نصٍ غير فصيح أو آخر شاذ ن أو شاهد مصنوع يخالف ما نطقت به العرب ولم يجرش على لسانها . إذًا هي قواعد ضابطة لكل ما هو مسموع أو مقيس.

مابين قواعد التوجيه والنحو

هي علاقة العام بالخاص؛ لأن قواعد التوجيه شاملة، أما قواعد النحو فتحص بابًا معينًا، ومن حيث الوظيفة فإن قواعد التوجيه يُؤتى بها لتقرير الوجه وتسويغه، وقواعد النحو تأتي لتقرير الحكم النحوي في المسألة، وقواعد النحو هي جزء من اللغة ؛ إذ تكون مستنبطة من اللغة لأجل ضبط النصوص اللغوية، وقواعد التوجيه جزء من المنهج(كريم،٢٠١٥). ولعل المراد

من الكلام السالف هو اختلافل وظيفة القواعد التوجيهية في أنها تكون للحكم على النصوص ومن ثم تعليلها وتجويز وجه على آخر. ويمكن اعتبار أن ثمة اختلاف آخر بينهما في كون قواعد التوجيه لم تأتِ في مؤلف واحد بل جاءت متناثرة من خلال بطون الكتب، بينما قواعد النحو جاءت مرتبة في أبواب.

القواعد التوجيهية ودورها في ترجيح الحكم:

لجأ النحاة لهذه القواعد التوجيهية عند اختلافهم في كثير من المسائل التي جاءت متناثرة في بطون الكتب. وأوردوا حججهم وأدلتهم من السماع والقياس مستعينين بهذه القواعد للفصل بين خلافهم وقد قمت باختيار بعض المسائل التي لعبت فيها تلك القواعد دورًا في ترجيح الحكم النحوي ومنها:

تقديم خبر (ليس) عليها:

هي مسألة خلافية بين النحاة فجوّز البعض ذلك بينما علل آخرون المنع بأنَّ (ليس) فعل غير متصرف، فلا يجري مجرى الفعل المُتَصرِّف كما أُجريت (كان) مجراه لأنَّها متصرفة ومن تعليلهم المنع التقديم أنَّ من النحويين من يُغَلِّبُ عليها الحرفية، والدليل ما حكى سيبويه من قول العرب: ليس الطيبُ إلاَّ المسكُ – فرفع الطيب والمسك جميعًا، وأعرى ليس من مرفوع ومنصوب لوجود (إلاَّ) الناقضة للنفس، كما أنَّ حكم (ما) كذلك(ابن الأنباري،١٩٨٧) .أمَّا حجة المجوِّزين لتقديم خبر ليس عليها قوله تعالى: {أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ } (هود، ٨) ووجه الدليل أنَّه قدَّم معمول الخبر عليها وذاك أنَّ (يوم) معمول – مصروفا» الذي هو الخبر وتقديم المعمول يؤذن بجواز تقديم العامل، لأنَّه لا يجوز أنْ يقع المعمول حيث لا يقع العامل، لأنَّ رتبة العامل قبل المعمول(ابن يعيش، د.ت) ويريدون من كلامهم أنَّ (ليس) هي فعل بدليل أنَّه لفظ يتحمل الضمائر، وتتصل به تاء التأنيث الساكنة على حسب اتصال ذلك بالأفعال المتصرفة وبيان الوصف أنَّك تقول : لستُ، ولستَ، ولستِ، وليسا، وليسوا، ولسْنَ، كما تقول: قلتُ، وقلتَ، وقلتِ، وقالا، وقالوا، وقلن وبعد هذا العرض لحجَّة النحاة واختلاف الفريقين يظهر لنا أنَّ جمهور النحاة قد اختاروا مذهب المانعين لتقديم خبر ليس عليها قال ابن مالك:

وَمَنعُ سَبقٍ خَبَرٍ لَيسَ اصطُفِى وَذُو تمَامٍ مَا بِرَفعٍ يَكتَفِى

أي: اختير منع تقديم الخبر على ليس(العكبري،١٩٧٦).

وأيَّد ابن هشام كذلك قول المانعين بحرفية ليس بقوله: «ليس كلمة دالة على نفي الحال، وتنفي غيره بالقرينة نحو: ليس خَلَقَ اللهُ مِثْلَهُ – وقال الأعشى:

لَهُ نافِلاتٌ ما يُغِبُّ نوالُها وَلَيسَ عَطاءُ اليَومِ مانِعُهُ غَدا(ابن هشام،٢٠٠٠).

والشاهد في المثال السابق مجئ ليس لنفي الماضي، أمَّا في بيت الأعشى فلنفي المستقبل.

ورجَّح ابن الأنباري رأي المانعين في هذه المسألة، كما ردَّ ابن مالك رأي المجوزين بقوله: «وعضَّد قوم تقديم خبر ليس بقوله تعالى:{أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ} ولنا ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنَّ المعمول قد يقع حيث لا يقع العامل، نحو: أمَّا زيدًا فاضرب، وعمرًا لا تهن، وحقّك لن أضيع، فكما لم يلزم من تقديم معمول الفعل بعد تقديم الفعل ولا من تقديم معمولي المجزوم والمنصوب على (لا) و (لن) تقديمهما عليها، كذا لا يلزم من تقديم معمول خبر ليس تقديم الخبر.

الثاني: أن يجعل (يومًا) منصوبًا بفعل مضمر، لأنَّ قبله (ما يَحْبِسُه) فـ(يوم يأتيهم) جواب، كأنه قيل: يعرفون يوم يأتيهم، و(ليس مصروفا) جملة حالية مؤكدة أو مستأنفة.

الثالث: أنْ يكون (يوم) مبتدأ فبني لإضافته إلى الجملة، وذلك سائغ مع المضارع كسوغه مع الماضي (ابن مالك. وبعد هذه المناقشة لأقوال النحاة في هذه المسألة يمكن القول أنَّ الحقَّ ما ذهب إليه االمانعون لتقديم خبر ليس عليها؛ لأنَّه جامد غير متصرف في نفسه فلا يتصرف في معموله، ولأنَّه لم يرد على ألسنة العرب تقديم خبر ليس عليها، يؤيد هذا ما أورده أبو حيان إذ يقول: وقد تتبعتُ جملة من دواوين العرب، فلم أظفر بتقديم خبر ليس عليها، ولا بمعموله إلاَّ ما دلَّ عليه ظاهر الآية وقول الشاعر:

فَيَأْبى فَمَا يَزْدَادُ إلاَّ لحَاجَةٍ وَكُنْتُ أَبِيًّا في الخَفَا لَسْتُ أقدم

وذكر العكبري أنَّ قول المجوزين في الآية مردود، لأنَّ (يوم) معمولاً لفعل محذوف تقديره: يعرفون، ويكون (ليس مصروفًا) في محل رفع خبر، واسم ليس مضمر، والتقدير: ليس العذابُ مصروفًا عنهم(العكبري، ١٩٨٦).

العامل في الخبر بعد (ما) النافية النَّصْب

قال ابن مالك: «ما» في لغة بني تميم أنَّها لا تعمل شيئًا فتقول: «ما زيْدٌ قائمٌ» فزيد مرفوع بالابتداء، وقائم خبره، ولا عملَ لما في شئ منهما، وذلك لأنَّ «ما» حرف لا يختص لدخوله على الاسم نحو: ما زيدٌ قائم، وعلى الفعل نحو: ما يقوم زيدٌ، وما لا يختص فحقه ألاَّ تعمل، ولغة أهل الحجاز إعمالها كعمل «ليس» لشبهها بها في أنها لنفى الحال عند الإطلاق فيرفعون بها الاسم وينصبون بها الخبر، نحو: ما زيدٌ قائمًا – وأشار بقوله:

إِعْمَالُ لَيْسَ أُعْمِلَتْ مَا دُونَ إِنْ مَعَ بَقَا النَّفْي وَتَرْتِيب زُكِنْ

واشترط ابن مالك لعمل (ما) عمل ليس ألاَّ يُزاد بعدها إنْ) فإن زيدت بطل عملها، نحو: ما إن زيد قائم، ثم لا ينتقض نفيها بإلاَّ، نحو: ما زيدٌ إلاَّ قائم، وكذلك مراعاة الترتيب فلا يتقدم خبرها على اسمها نحو: ما قائمٌ زيدٌ فلا تقول: ما قائمًا زيدٌ وهذا معنى قوله وترتيب زُكِن أي: علم.

أمَّا الخلاف الواقع في المسألة ففي (ما) الحجازية هل تنصب الخبر أم أنَّه منصوب بغيرها. وهي من المسائل التي احتكم فيها النحاة لهذه القواعد التوجيهية لترجيح الحكم النحوي، ويحتج المانعون لما ذهبوا إليه بأنَّ القياس يقتضي ألاَّ تعمل قائلين: إنّ (ما) حرف يدخل على الأسماء فلا اختصاص له، وما هذا شأنه لا ينبغي أن يعمل، فأحسن أحواله أنْ يعمل في الاسم الواحد، ويكون العمل في الاسم الآخر لحرف الجر في قولك: ما زيدٌ بقائم، إلاَّ أنه حُذِف تخفيفًا فانتصب الاسم بعده، لأنَّ شأن حرف الجر شأن الظروف، والظروف منصوبة، فيكون الجار والمجرور كالظرف فإذا حذف الحرف خلفه الاسم في الانتصاب، يدلُّ عليه أنَّها إذا نقض نفيها بإلاَّ أو لكن أو تقدَّم الخبر على الاسم بطل عملها، ولو كانت عاملة في الخبر لم يبطل في التقديم كما في كان وأخواتها(العكبري،١٩٨٦). أمَّا المجوزون فاحتجوا بقولهم: إنَّ (ما) أشبهت (ليس)، فوجب أنْ تعمل عمل ليس، وعمل (ليس) الرفع والنصب، ووجه الشبه بينهما من وجهين:

أحدهما: أنَّها تدخل على المبتدأ والخبر، كما أنَّ ليس تدخل على المبتدأ والخبر.

الثاني: أنَّها تنفي ما في الحال، كما أنَّ ليس تنفي ما في الحال. مجراه (ابن الأنباري،١٩٨٧).

ويرى المجوزون أنَّ ما ذهب إليه المانعون مردود؛ لأنَّ «ما» هي شبيهة (ليس) وذلك في لغة القرآن في قوله تعالى: {مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ}(يوسف،٣١). وقال تعالى: {مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ} (المجادلة،٢)وأيَّد ذلك الزمخشري بقوله إعمال (ما) عمل (ليس) هي اللغة الحجازية القُدْمى وبها ورد القرآن الكريم (الزمخشري، ١٩٩٨)

ومن الشعر ما ذكره ابن مالك قول الشاعر:

أَبْنَاؤنَا مُتكَنِّفُونَ أَبَاهُمُ حَنِقُو الصُّدُورِ وما هُم أَوْلَادَهَا

فالشاهد في الآيتين الكريمتين أنّ (ما) عملت عمل ليس، وكذلك في بيت الشاعر فرفعت الاسم محلاً ونصب الخبر لفظًا على لغة أهل الحجاز.

أما القول بأن الخبر منصوب بحذف حرف الخفض فقد اعتبره البعض فاسدًا من وجهين:

أحدهما: أن حرف الجر هنا ليست بأصل، بل هو زائد دخل فضلة مؤكدة، وما هذا سبيله لا يُجعل مقدَّمًا في الرتبة حتى يُقال لما حُذف انتصب بعده، بل النصب هنا قبل حرف الجر.

الثاني: أن الحذف عدم، والعدم غير صالح للعمل، ويدلُّ على ذلك أنَّا وجدنا حرف الجر يحذف في كثير من المواضع، ولا ينتصب ما يحذف عنه كقولك: (بحسبك قول السوء) فلو حذفت قلت: حسبك بالرفع، وكذلك قوله تعالى:{وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا } وكذلك قولهم: (ما جاءني من أحد) (العكبري،١٩٨٧).

واستشهد ابن الأنباري بأبياتٍ تمثِّل حجة للمجوزين فمن ذلك قوله :

لمَّا تَعَيَّا بالقَلُوصِ وَرَحْلِهَا كَفَى اللهُ كَعْبًا مَا تَعَيَّا بِهِ كَعْبُ

ومحل الاستشهاد به قوله: (كفى الله كعبًا) فإن (كفى) في هذه العبارة التي يقترن فاعلها بالباء الزائدة غالبًا، وقد يجئ فاعلها غير مقترن كما في البيت فلمَّا حذف حرف الجر صار ما بعدها مرفوعًا ولم ينتصب كما زعم الكوفيون.

وقال عَبْد بني الحسْحاس:

عُمَيرةَ وَدِّع إِن تجَهَّزتَ غَادِيا كَفَى الشَّيبُ والإِسلامُ لِلمَرءِ ناهيا

والاستشهاد في قوله (كفى الشيب) حيث أسقط الباء من فاعل (كفى) التي هي فعل قاصر لا يتعدى إلى المفعول.

وكذلك قالوا: بحسبك زيد – كقوله:

بِحَسْبِكَ أنْ قَدْ سُدْتَ أَخْزَمَ كُلَّهَا لِكُلِّ أُنَاسٍ سَادَةٌ وَدَعَائِمُ

والشاهد في قوله (بحسبك) حيث زيدت الباء في المبتدأ الذي هو حسب – بمعنى كافيك، وخبره هو المصدر المؤول في أنْ المخففة وما وليها وكأنه قال: كافيك سيادتك أخذم كلها. ويبدو لنا أنَّ الخلاف في هذه المسألة تبدو فيه قوة حجة من جوز ذلك ؛ لأنهم شبَّهوا (ما) بليس كما في النص القرآني، لذلك عملت عملها في رفع الاسم ونصب الخبر، ولكن الشبه ضعيف لذلك يبطل عملها من رفع الاسم ونصب الخبر، ولكن الشبه ضعيف لذلك يبطل عملها إذا تقدَّم خبرها على اسمها، أو إذا دخل حرف الاستثناء.

هل يجوز بناء (غير) مطلقًا؟

اختلف النحاة في هذا العنوان ويستدل المجوزون لبناء غير على الفتح إلى غير متمكن، وإن كانت في موضع رفع بقول الشاعر:

لَمْ يَمْنعِ الشَرب مِنْها غَيْرَ أنْ نَطَقَتَ حَمَامَةٌ في غُصُونٍ ذَاتِ أوْقَالِ

قال الأعلم: الشاهد فيه بناء (غير) لإضافتها إلى غير متمكن وإن كانت في موضع رفع، وذلك أنَّ (أنْ) حرف يوصل بالفعل، وإنما تؤولت اسمًا مع ما بعدها من صلتها؛ لأنها دلت على المصدر ونابت منابه في المعنى، فلمّا أضيفت (غير) إليها مع لزومها للإضافة بنيت معها. وقال سيبويه: « الحجة على أنَّ هذا في موضع رفع أنَّ أبا الخطاب حدَّثنا أنّه سمِع من العرب الموثوق بهم، من يُنْشد هذا البيت رفعًا، وزعموا أنَّ أُناسًا من العرب ينصبون هذا الذي في موضع الرفع، فقال الخليل: هذا كنصب بعضهم يومئذٍ في كل موضع، فكذلك (غير أن نطقت). وكما قال النابغة:

عَلى حينَ عاتَبتُ المَشيبَ عَلى الصِبا وَقُلتُ أَلمّا أَصحُ وَالشَيبُ وازِعُ

كأنَّه جعل حين وعاتبت اسمًا واحد .والشاهد بناء (حين) على الفتح لإضافتها إلى غير متمكن.

وأورد ابن هشام شاهدًا آخر لبناء غير وهو قوله:

لُذْ بِقَيسٍ حِينَ يَأبَى غَيْرَهُ تُلْفِهِ بَحْرًا مُفِيضًا خَيْرَهُ

والشاهد بناء (غير) فهو فاعل (بأبى) ومع ذلك جاء مفتوح الراء، لإضافته إلى مبني وهو الضمير.

أمَّا المجوزون فيقولون إنَّ غير لا يجوز بناؤها إلاَّ إذا أضيفت إلى غير متمكن، ويروْن أنّها اسم معرب قبل الإضافة، كسائر الأسماء المعربة، فإذا قلت: جاءني غير زيد، ومررت بغير زيد، فـ (غير) هنا معربة بلا خلاف ولو جاز البناء لكان لعلة الإضافة، والإضافة هنا موجودة، ولم يجز البناء فدلَّ على إبطال التعليل بالإضافة، ويذكرون لذلك وجوهًا من التعليل منها:

أحدهما: أنَّ غيرًا لا تتعرّف بالإضافة، بل تبقى نكرة والنكرات معربات.

الثاني: أنَّ غيرًا لا معنى لها إلاَّ بالإضافة، فلو كانت الإضافة علة البناء لوجب ألاَّ تعرب في موضع(العكبري،١٩٨٧)

ويستدلُّ المانعون على أنَّ الإضافة إلى غير المتمكن تجوَّز في المضاف البناء بقوله تعالى:{وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} (النمل،٨٩)، وقوله تعالى{إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ} (الذاريات،٢٣).

والشاهد في الآية بناء (يوم) . في قراءة من قرأ بالإضافة والفتح؛ لأنه أضيف إلى (إذ) وهو اسم غير متمكن، أمَّا الشاهد في الآية الثانية فقوله (مثل) في قراءة من قرأ بالفتح. وممَّا جاء في الشعر قول الشاعر:

رَدَدنا لَشَعثاءَ الرَسولَ وَلا أَرى كَيَومَئِذٍ شَيئًا تُرَدُّ رَسائِلُه

فالشاهد في البيت قوله «كـ(يومئذ) بنصب يوم على أنه مدخول حرف الجر لإضافته إلى المبني وهو (إذا). ومثله:

أَزْمَانَ مَن يُرِدِ الصَنيعَةَ يُصطَنَع فينا وَمَن يُرِدِ الزَّهادَةَ يُزهَدُ

فبنى (أزمان) لإضافته إلى (من) وهو غير متمكن، وقال آخر:

عَلى حينَ مَن تَلبَث عَلَيهِ ذَنوبُهُ يَجِد فَقدَها وَفي المَقامِ تَدابُرُ

فبني (حين) لإضافته إلى (من) (سيبويه،١٩٨٨).

وذكر سيبويه أن إضافة (حين) إلى من الشرطية ضرورة من ضرورات الشعر، قال الأعلم:

الشاهد مجازاته بمن مع إضافة حين إلى جملة الشرط ضرورة.

أمَّا الفرَّاء فيذهب إلى جواز بناء (غير) في الاستثناء مطلقًا سواء أضيف إلى معرب أو مبني لكونه بمعنى الحرف يعني (إلاَّ).

وعلى هذا نقول: أنَّ مناقشة جمهور النحاة لهذه المسألة رجَّحت رأي المانعين وتبدو قوة احتجاجهم لما استشهدوا به، وعلى هذا يمكن القول أنَّ المضاف إلى غير المتمكن يجوز بناؤه وليس معناه (إلاَّ)؛ لأنَّ الآيات القرآنية التي ذُكرت تبطل التعليل بوقوع (غير) موقع (إلاَّ) وكذلك أن موقع الاسم موقع الحرف لا يوجب البناء، ولو جاز بناء (غير) لمشابهتها (إلاَّ) لجاز القول:زيدٌ مثل عمرو، لقيام (مثل) مقام الكاف في: زيد كعمرو، وهذا لا يجوز بالإجماع.

نداء الاسم المُحَلَّى بأل:

ويقوم احتجاج المجوزين لنداء المحلى لمذهبهم بالسماع في قول الشاعر:

عَبَّاسُ يا المَلِكُ المُتَوَّجُ والّذي عَرَفَتْ لَهُ بَيْتَ العُلا عَدْنَانُ

وقول الآخر:

فَيا الغُلامانِ اللَّذانِ فَرَّا إيَّاكُمَا أنْ تَكْسِبَانِي شَرَّا

ومن الشواهد ما جاء عند سيبويه قوله:

مِنْ أجْلِك يَا الّتي تيَّمْتِ قَلْبي وأنْتِ بَخِيلةٌ بالوُدِّ عَنِّي

ومحلُّ الاستشهاد قوله (يا التي) حيث جمع بين حرف النداء وأل(سيبويه،١٩٨٨).

وأمّا القياس فمن ثلاثة أوجه:

أحدهما: أنّ الألف واللام للتعريف فجاز دخول (يا) عليه كقولهم: يا الله.

الثاني: أنّ (يا) تدخل على المضاف إلى معرفة، مع أنّ الاسم الأول معرفة بالإضافة، فكذلك الألف واللام.

الثالث: أنّ التعريف بحرف النداء غير حاصل به ألا ترى أنّك تقول: يا رجلاً كلِّمني، فتناديه وهو نكرة فتنصبه، ولو كانت (يا) للتعريف لم يجز ذلك، وإنّما يتعرف بالقصد، فالألف واللام تجري مجرى القصد فكما يجتمع في قولك: يا رجل، يا والقصد، يجتمع هاهنا الألف واللام، وياء (العكبري، ١٩٨٧).

أمّا أهل البصرة فيمنعون نداء ما فيه الألف واللام ويعللون المنع بأنّ (يا) تفيد التعريف، والألف واللام كذلك فلا يجتمع تعريفان. وأجازوا اسم الجلالة (الله)؛ لأنّه اسم معرفة بنفسه لانفراده سبحانه، والألف واللام زائدة ليست للتعريف، أما الجمل المحكية نحو: يا الرجل المنطلق فيكون لمن اسمه (الرجل المنطلق)، وجوّزوا ذلك؛ لأنَّ الجمل المحكية كالأمثال لا تتغيّر.

قال سيبويه: أنْ تقول: يا الرجل قائم، في المسمى بالرجل قائم؛ لأنَّ معناه: يا مقولاً له الرجل قائم. وأجاز ابن سعدان: يا الأسد شدةً، ويا الخليفة جودًا، ونحوه ممَّا فيه تشبيه، وهو قياس صحيح؛ لأنَّ تقديره: يا مثل الأسد، ويا مثل الخليفة(الصبان،٢٠٠٣).

وردَّ البصريون أدلّة المجوزين السماعية في أبيات الشعر وقالوا: إنَّ ذلك ضرورة، أو المنادى فيه محذوف تقديره: يا أيها الملك. وعلى التخريج السالف يكون الشاعر قد حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه، أو من باب الضرورة وذلك جائز في الشعر.

قال المبرد: «ومن العرب من يقول: يا ألله اغفر لي بهمزة، ومنهم من يقول: الله بغير همزة، فمن حذف الهمزة فهو على السبيل؛ لأنّها ألف ولام مثل (لام) الحارث في الأسماء، ومن همزها توهَّم الهمزة في الحرف، إذ كانت لا تسقط منه الهمزة قال الشاعر:

مُبَارَكٌ هُوَ وَمَنْ سَمَّاهُ عَلى اسْمِكَ اللَّهُمّ يا أَللهُ

ورد لفظ الجلالة منادى مقطوع الهمزة(المبرد،١٩٩٤).

وبعد هذا العرض لحجج الفريقين ومن خلال أقوال العلماء يبدو لنا أنَّ المرتضى ما ذهب البصريون يؤيِّد ذلك قول ابن مالك:

وَبِاضْطِرارٍ خُصَّ جَمْعُ يَا وَأَلْ إِلَّا مَعَ (اللهِ) وَمَحْكِيِّ الجُمَلْ

وأنّ ما استشهد به المجوزون ففيه شذوذ؛ لأنَّ نداء الألف واللام يؤتى فيه بـ(أيّها) و(أيتها) وهو ما ورد به القرآن الكريم كثيرًا .

وإذا كان ما سبق من وجوه التعليل يكشف عمَّا في نداء المحلّى بأل من ضعف في التكاليف راجع إلى تدافع أجزاء في الدلالة والإعراب الذي يكشف عنها، فإنَّ هذا الضعف يصحبه أيضًا ثقل في التركيب وتنافر في النطق.

ترخيم الاسم المضاف

الترخيم لغة: ترقيق الصوت وتليينه يقال: صوت رخيم، أي سهل ليِّن ومنه قول ذي الرّمة:

لهَا بَشَرٌ مِثْلُ الحُرِيرِ وَمَنطِقٌ رَخِيمُ الحَواشِي لَا هُراءٌ وَلَا نَزْرُ

ويقوم احتجاج الكوفيين على النقل والقياس، أما النقل فشواهده كثيرة، منها قول زهير:

خُذُوا حَظَّكُمْ يا آلَ عِكْرِمَ وَاحْفظُوا أوَاصِرَنا وَالرِّحْمُ بِالْغَيْبِ تُذْكَرُ

أراد يا آل عكرمة، فحذف التاء للترخيم. وقول الآخر:

أباعُرْوَ لَا تَبْعُدْ فَكُلُّ ابْنِ حُرَّةٍ سَيَدْعُوهُ دَاعِي مِيْتَةٍ فَيُجِيبُ

أراد أبا عروة، بحذف حرف النداء. وقال رؤبة:

إمَّا تَرَيْنِي الْيَوْمَ أُمَّ حَمْزٍ قَارَبْتُ بَيْنَ عَنَقِي وَجَمْزِي

أراد أم حمزة، وحرف النداء محذوف. وأورد العكبري شاهدًا آخر للكوفيين وهو قوله:

وَهَذا رِدائِي عِنْدَهُ يَسْتعيرُهُ لِيَسْلبَنِي ثَوْبِي أعامِ بنَ حَنْظَلِ

أراد (حنظلة)، ولكنه أجراه بعد الترخيم مجرى اسم لم يرخّم فجره بالإضافة.

أمَّا القياس فهو أنَّ المضاف إليه كزيادة في المضاف، وحذف الزيادة من المفرد جائز، فكذلك هاهنا، ألا ترى أنَّ قولك في ترخيم (زيدون) يا زيد أقبل، فتحذف الزيادتين، وكذلك (طائفي) وأنت تريد (طائفية) يدل عليه أنَّ المضاف إليه بمنزلة التنوين وكما يحذف التنوين في النداء، كذلك المضاف إليه(العكبري،١٩٨٧).

ولعل الذي دفع الكوفيين لتجويز ذلك هو أنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة الشيء الواحد، فجاز ترخيمه كالمفرد.

أمَّا البصريون فيحتجون لمنع ترخيم المضاف بأنَّه لم يستوفِ شروط الترخيم، ومنها ألَّا يكون ذا إضافة. وذكر ابن الأنباري أنَّ المسوِّغ للترخيم هو تغيير النداء، والنداء لم يغيِّر المضاف؛ فوجب ألَّا يدخله الترخيم، فصار هذا بمنزلة حذف الياء في النسب من باب (فُعَيْلة) و(فَعِيلة)، فيقولون في النسب إلى جُهَيْنة (جُهَني)، وإلى رَبيعة (رَبَعي) وإثباتها في (فُعيل) و(فَعيل) فيقولون في النسب إلى قُشَير (قُشَيري)، وإلى جرَير (جَريريّ)، فإنَّ الياء إنما حذفت من باب فُعيله وفَعيله دون باب فُعيل وفَعيل؛ لأن النسب أثر فيه وغيرَّه بحذف تاء التأنيث منه، والتغيير يؤنس بالتغيير، بخلاف باب فُعَيل وفَعِيل؛ فإنَّ النسب لم يؤثر فيه تغييرًا، فلم يحذف منه الياء، وأمَّا قولهم (قُرَشيّ) في النسب إلى قريش، و(هُذَلِيّ) إلى هذيل، فهو من الشاذ الذي لا يقاس عليه؛ لأنَّ اللغة الفصيحة إثبات الياء(الصبان،٢٠٠٣)..

وإثبات الياء في مثل ما تقدّم كقوله:

بِكُلِّ قُرَيْشِيّ عَلَيْهِ مَهَابَةٌ سَرِيْع إلى دَاعِي النَّدَى والتَّكَرُّمِ

وقال الآخر:

هُذَيْلِيَّة تَدْعُو إذا هِيَ فَاخَرَتْ أبًا هُذَلِيًّا مِن غَطَارِفَةٍ نُجْدِ

ونفهم من الكلام السالف أنَّ الحذف حدث لما غيّر النسب الاسم، وكذلك الحذف مع الترخيم لا يختص إلَّا بما غيَّره النداء، وهو المفرد المعرفة دون المضاف والنكرة. ويبدو لنا أنَّ الخلاف في المسألة نتج عن نظرة كل فريق، فالكوفيون يقولون بجواز ذلك؛ لأنهم نظروا إلى الصلة بين المضاف والمضاف إليه فهما كالكلمة الواحدة، فالترخيم للمضاف ولكن ظهر على المضاف إليه بحذف آخره فهو جزء منه. أمَّا البصريون فيعتبرون أنَّ المضاف والمضاف إليه كلمة بذاتها، لذلك لا يجوز أن يقع الترخيم في المضاف إليه، وهو غير منادى.

وخلاصة القول لا يمكن أن نعتبر ما ذهب إليه الكوفيون غير جائز؛ لأنَّ كثرة الشواهد تؤيِّد ذلك، بل أنه قد جاء حذف المضاف إليه كله، ممّا يؤكِّد أنَّ الترخيم للمضاف، وذلك في قول عدي بن زيد:

يَا عَبْدَ هَلْ تَذْكُرُنِي ساعَةً فِي مَوْكِبٍ أوْ رائدًا لِلْقَنِيص

يريد (عبد هند). وهذا أقوى ما يدل على أنَّ الترخيم للمضاف وليس المضاف إليه؛ لأنَّه لو كان له ما حذف كلمة.

وقوع الفعل الماضي حالاً

ويحتج من جوز ذلك الكوفيون بالنقل والقياس، أمَّا النقل فقوله تعالى: {أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ} (النساء،٩٠)فقد جاء الفعل الماضي (حصرت) في موضع الحال، والتقدير: حصرةً صُدورهم(أبو حيان،١٩٨٣).

ومن الشعر قول أبي صخر الهزلي:

وَإِنِّي لَتَعْرُونِي لِذِكْرَاكِ نُفْضَةً كَما انْتَفَضَ الْعُصْفُورُ بَلَّلَهُ الْقَطْرُ

فالفعل (**بلله**): فعل ماضٍ، وهو في موضع الحال من غير أنْ يقترن بـ(قد). أمَّا القياس فمن وجهين:

أحدهما: أنَّ الماضي يقع صفة للنكرة، فجاز أنْ يقع حالاً للمعرفة نحو: مررتُ برجلٍ كتب، أي كاتب، كما تقول: مررت برجلٍ يكتب، وتقديره أنَّ الحال صفة في الأصل، وإذا كان الماضي يصلح أنْ يكون صفة فقد صلح لأصل الحال.

الوجه الثاني: أنَّ الماضي يقع موقع المستقبل كقوله تعالى: {وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ} (المزمل،٨٧).. وإذا جاز أنَّ يقع حالاً للمعرفة نحو: مررت بالرجل قاعدًا، كل ما جاز أنْ يكون صفة للنكرة نحو: مررت برجلٍ قاعد. والماضي يقع صفة للنكرة نحو: مررت بغلامٍ قام، فينبغي أنْ يكون حالاً للمعرفة نحو: مررت بالغلام قام، وما أشبه ذلك.

أمَّا الآية فالسياق يقضي أنْ يأتي بالمستقبل عندما قال (ينفخ) ولكنه قال (فزع) وهذا كقوله تعالى: {وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ} (المائدة،١١٦).أي: يقول.

ويرد المانعون بوقوع الماضي حالاً بالقول: إنَّكم جوزتم وقوع الماضي مع (قد) حالاً، وبـ(قد) لا يصير هيئة في الفاعل، وإنَّكم جوزتم وقوع المستقبل حالاً، والمستقبل معدوم في الحال، كما أنَّ الماضي كذلك.

فالجواب عندهم أمَّا (قد) فإنها تقرِّب الماضي من الحال، والتقريب من الشيء مجاور له، والمجاوِر يعطى حكم المجاوَر.

ورجَّح بعض النحاة قول المانعين، وقال البعض الآخر بمذهب المجوزين، قال ابن السراج (أمَّا الماضي فلا يجوز إلَّا أنْ تدخل عليه (قد) فيصبح حينئذٍ حالاً تقول: رأيت زيدًا قد ركب، أي: راكبًا، إلَّا أنَّك إنَّما تأتي بـ(قد) في هذا الموضع إذا كان ركوبه متوقَّعًا، فتأتي بـ(قد) ليعلم أنَّه قد ابتدأ بالفعل ومرَّ جزء منه، والحال معلوم منها أنَّها تتطاول، فإنَّما صلح الماضي هنا لاتصاله بالحاضر فأغنى عنه، ولولا ذلك لم يجز، فمتى رأيت فعلاً ماضيًا قد وقع موقع الحال فهذا تأويله، ولابّد أنْ تكون معه (قد) ظاهرة أو مقدَّرة لتؤذن بابتداء الفعل الذي كان متوقَّعًا) (ابن الأنبارين١٩٨٧).

قال المحقق محمد محي الدين مؤيِّدًا مذهب المجوزين: «وقد رأينا أنَّ فصحاء العرب يجيئون بالفعل الماضي حالاً غير مقرون بقد، فأمَّا التقدير فلا دليل عليه».

وخاصة في الآية الكريمة، والمعنى: (ضاقت صدورهم عن قتالكم وقتال قومهم)، ويؤيِّد معنى الحالية قراءة يعقوب، والحسن البصري، وقتادة (حَصِرَةً صُدُورُهُمْ).

وقال أبو حيَّان معضِّدًا مذهب المجوزين: إنَّ الماضي يقع حالاً، ولا يحتاج إلى إضمار (قد) وهو الصحيح، ففي كلام العرب وقع ذلك كثيرًا (أبو حيان،٢٠٠٣).

ونقل عنه السيوطي: والصحيح جواز وقوع الماضي حالاً بدون (قد) ولا يحتاج لتقديرها لكثرة ورود ذلك، وتأويل الكثير ضعيف جدًا، لأنَّا إنَّما نبني المقاييس العربية على وجود الكثرة (السيوطي، ٢٠٠٦).

أخيرًا نقول بمذهب المجوزين الذي يجوِّز وقوع الماضي حالاً ما دام السماع يقوِّي حجتهم من القرآن والشعر، وصحة القياس عليه دون الحاجة إلى تقدير أو تأويل؛ لأنَّ القرائن تدل على ذلك.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة القواعد التوجيهية ودورها في ترجيح الحكم النحوي عند اختلاف الأدلة، وبيَّنت أنها قواعد مرتبطة بالتعليل النحوي عند مناقشة الأدلة المختلفة، فهي قواعد ضابطة يستند إليها النحوي في ترجيح الأوجه المختلفة، وقد توصلت الدراسة إلى النتائج التالية :

١- أن القواعد التوجيهية هي بمثابة المفتاح لفهم المادة النحوية وهي ضابطة للنصوص عند تعارضها للحكم عليها اعتمادًا على الأصول النحوية.

٢ – أن مصطلح قواعد التوجيه هو حديث لم يثبته القدامى في مؤلفاتهم النحوية.

٣ – جاء مصطلح القواعد التوجيهية بمسميات مختلفة ومرد ذلك لاختلافهم في وجهات النظر حول وظيفة كل مسمَّى.

٤ – ثمة فرق بين القواعد التوجيهية، والقواعد النحوية فالأولى التعليل النحوي، بينما الثانية هي التقعيد النحوي.

٥ – حاول الكثيرون التحايل على هذه القواعد لمناصرة مذهب معين على آخر.

٦ – احتكام النحاة لهذه القواعد التوجيهية يوضح حرصهم على سلامة اللغة.

٧ – ترجيح الحكم النحوي يتوقف على فهم المستدل لهذه القواعد من خلال إدراكه لوظيفته.

٨ – يكمن اعتبار هذه القواعد التوجيهية سببًا أدى إلى اختلاف النحاة ؛ لأنها فتحت أبوابًا للاجتهاد والمنطق.

المصادروالمراجع :

١ – الأصول، تمام حسان، عالم الكتبن القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

٢ – الاقتراح – جلال الدين السيوطي، علق عليه محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة،٢٠٠٦م.

٣– الإنصاف في مسائل الخلاف – كمال الدين أبو البركات بن الأنباري، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت ١٤٧٤هـ – ١٩٨٧م.

٤ – البحر المحيط – محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، ط٢ ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٥ – التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين – أبو البقاء العكبري، تحقيق عبد الرحمن السليمان العثيمين، جامعة أم القرى – ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م.

٦ – جدل النص والقاعدة، الأمين ملاوي، جامعة باتنة،٢٠٠٩.

٧ – حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية بن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني، دار الفكر ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

٨ – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تأليف محمد محي الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ط٢، د.ت.

٩ – شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب – ابن هشام الأنصاري، تحقيق محمد محي الدين، دار الكتب العملية، بيروت.

١٠ – شرح المفصل – موفق الدين بن يعيش بن على بن يعيش، إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة، د.ت.

١١ – القاموس المحيط – مجد الدين حمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط٦ ١٩٩٨م.

١٢ – قواعد التوجيه في النحو، رسالة ماجستير)، سعاد محمد جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا،٢٠٠٩.

١٣ – الكتاب – أبو بشر عمرو عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط٣ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

١٤ – كتاب الصناعتين – أبو هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الحلبي، د.ت.

١٥ – الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – أبو القاسم جار الله الزمخشري، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان – الرياض، ط١ ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

١٦ – لسان العرب – جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، طبعة مصورة من بولاق، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت.

١٧ – اللغة والنحو – حسن عون، مطبعة رويال، ط١ ١٩٥٢م.

١٨ – المقتضب – أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، ١٤١٥هـ –١٩٩٤م.